عبد السلام البسيوني

الأب

رؤية قرآنية ونبوية

وقراءة عصرية

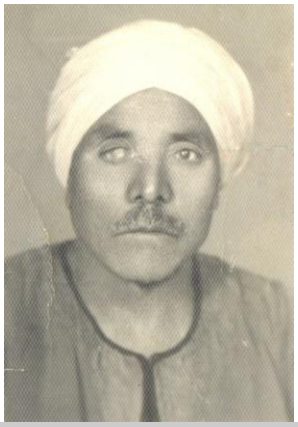

إلى أبي عليه رحمات الله ورضوانه

الرجل الحافظ الصبور الشكور

الذي شرفني الله بأبوته.. وأكرمني بالبنوة له

اللهم اجمعني به في مستقر رحمتك

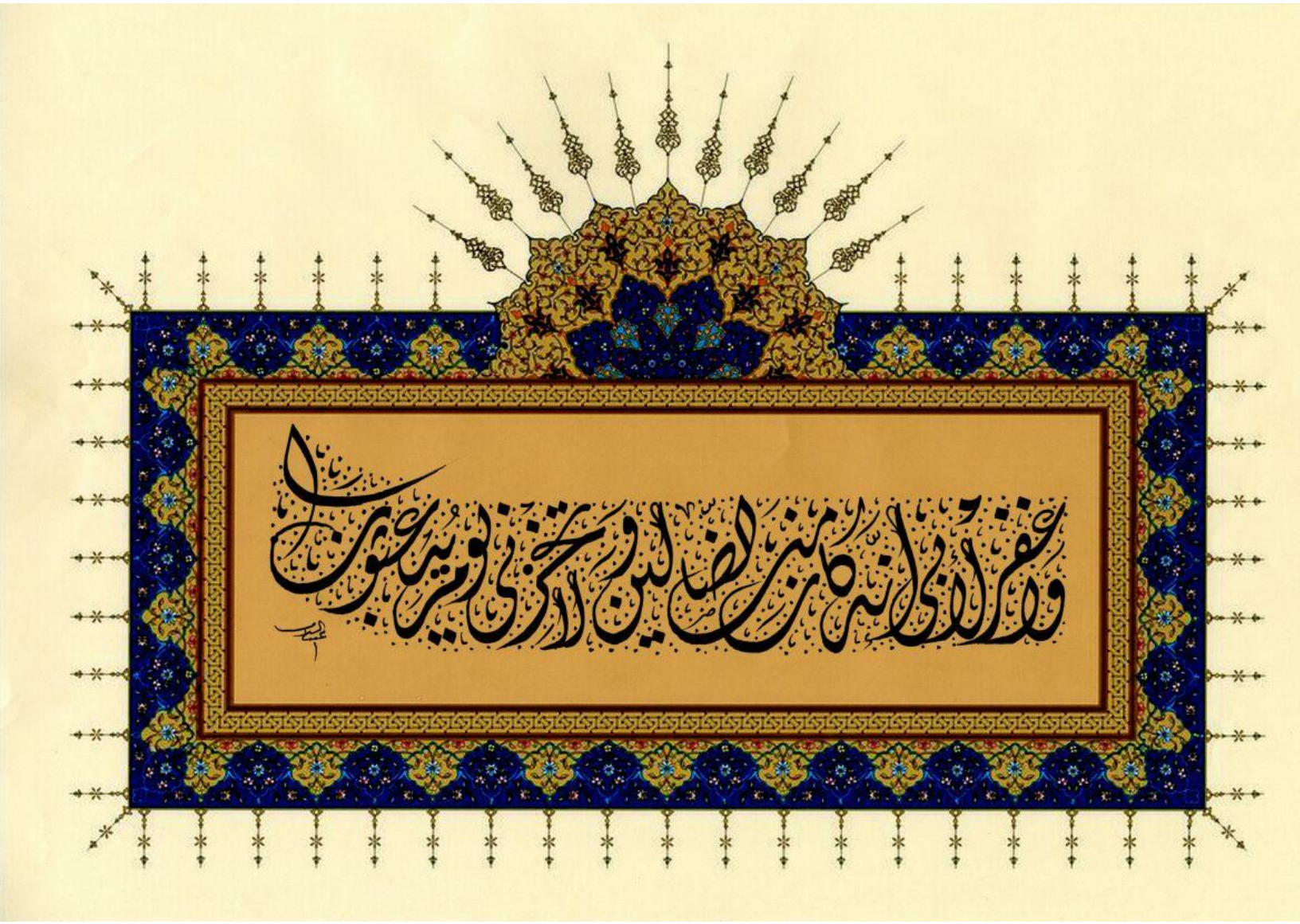

واغفر لأبي؛ إنه كان من الضالين* ولا تخزني يوم يبعثون*

من التنزيل:

بسم الله الرحمن الرحيم

أن اشكر لي ولوالديك؛ إليّ المصيرُ

(واجعلني من ورثة النعيم*

واغفر لأبي إنه كان من الضالين*

ولا تخزني يوم يبعثون)

ربنا اغفر لي ولوالدي وللمؤمنين يوم يقوم الحساب

مقدمة

الحمد لله، وأصلي على سيدي رسول الله، الذي علمنا أن نصلي على آله الكرام، وآل أبويه إبراهيم وإسماعيل، وأرشدنا للبر وحسن العهد، وأوصانا بآبائنا خيرًا وبرًّا، وحفظًا وتقربًا لرب العالمين تبارك وتعالى، وترك لنا من إرشاداته وأوامره وآدابه ما يجعلنا نزرع حب آبائنا في النفوس، ونحملهم على الرؤوس؛ إكرامًا، وعرفانًا، ومودة في القربى.

وقد لاحظت أن عناية الدعاة والواعظين بالأم أعلى، حتى إننا لنجد بعض الغمط لحق الأب وفضله، في زمن يتساهل فيه الأبناء مع آبائهم، وتفشو فيهم أدبيات غير رشيدة من السخرية بالأب في السينما والمسرح، واعتبار بره نوعًا من إساءة التربية في التنظير التربوي، وتحويله في بعض الأحيان إلى جهاز صراف آلي، مهمته الإنفاق لا أكثر، وبعد انتشار العقوق والإساءة، وسلوكنا مسالك قطيعة الرحم التي هي مَلعنة، ومَجلبة للفساد في الأرض..

لذا كان هذا الكتاب إطلالة (بانورامية) على الأب: النصوص حوله في كتاب الله تبارك وتعالى، والسنة المشرفة، والواقع المعيش، والأدب العربي، حكايات وأشعارًا، وكذا النظرة الغربية للأب..

وأزعم أنه جديد في بابه، سهل في إيراده، نافع في إيضاح الصورة، وسوق الدليل، خفيف في التعامل معه والإفادة منه.. وأسأل ربي تبارك وتعالى أن ينفع الله به الناس ويمكث في الأرض، وأن يكون برهان عرفانٍ وحب وتوقير لأبي عليه رحمات الله ورضوانه، وجزاه عني خير ما يجزي أبًا برًّا عالج ولدًا مثلي مقصرًا، اللهم آمين، وصلى الله وسلم وبارك على سيدي رسول الله، وآله وصحبه، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

أبو سهيل: عبد السلام البسيوني

الدوحة في: 2012/3/20

الموافق:28 من ربيع الآخر 1433

الفصل الأول: مداخل

= = إحصائية:

= = الأب في اللغة العربية:

= = التكنية بالأب:

= = لكل من عدة آباء:

= = الانتساب لغير الأب

= = لمن ينسب الإنسان يوم القيامة؟

إحصائية:

ورد جذر (أ ب و) في حديث القرآن الكريم عن الأب (116) مائة وست عشرة مرة، منها (27) سبع وعشرين مرة (ربعها تقريبًا) في سورة يوسف عليه السلام وحدها، وهذا لافت؛ ولا شك أن الصورة ثرية بالمواقف الأبوية في أحوال شتى، تحتاج الكثير من الدرس والتأمل!

وورد جذر (و ل د) في حديث القرآن عن الوالد – مفردًا ومثنًّى ومجموعًا – ثلاثًا وعشرين مرة.

كما وردت في الكتاب العزيز حكايات عن آباء مختلفين: الأب الذي يشد ابنه العاق إلى الله تعالى، ويدعوه فلا يجيب (نوح عليه السلام) والأب الذي يركل ابنه بعيدًا عن الطاعة ويدعوه للكفر والنار (آزر أبي نبي الله إبراهيم عليه السلام) والأب العابد المطيع لله تعالى، شديد الحرص على ذريته (إبراهيم عليه السلام) والأب الذي يرتبط بواحد من أبنائه ارتباطًا يمتد عشرات السنين – رغم غيابه عنه – حتى إنه يحس بوجوده، ويشم ريحه على البعد (يعقوب عليه السلام) وغيرهم، كما سيأتي.

وحفلت السنة بالحديث عن الآباء وحقوقهم وأحوالهم، كما جسدت سلوك سيدنا الحبيب المصطفى صلى الله تعالى عليه وسلم أبًا، في شفقته، وحبه الدافق لأولاده عليهم السلام، ورضي الله عنهم، كما حفلت السلوكيات البشرية، والأدب العربي بكثير من حكايا الآباء التي تحتاج إلى أن نقف أمامها متدبرين متأملين معتبرين..

الأب في اللغة العربية:

قال في اللسان (باختصار شديد): والأَبُ: أَصله أَبَوٌ، بالتحريك، فالذاهب منه واوٌ؛ لأَنك تقول في التثنية: أَبَوانِ، وبعض العرب يقول: أَبانِ؛ على النَّقْص، وفي الإِضافة: أَبَيْكَ، وإِذا جمعت بالواو والنون قلت: أَبُونَ، قال الشاعر:

فلما تَعَرَّفْنَ أَصْواتَنا بَكَيْن.. وفَدَّيْنَنا بالأَبِينا

قال: وعلى هذا قرأَ بعضهم: (.... وإِلَه أَبيكَ إِبراهيمَ وإِسمعيلَ وإِسحَق) البقرة:133؛ يريدُ جمع أَبٍ، أَي أَبِينَكَ، فحذف النون للإِضافة..

قال ابن بري: شاهدُ قولهم: أَبانِ – في تثنية أَبٍ – قول تُكْتَمَ بنت الغَوْثِ:

باعَدَني عن شَتْمِكُمْ أَبانِ عن كُلِّ ما عَيْبٍ مُهَذَّبانِ

والأَبَوانِ: الأَبُ والأُمُّ. قال ابن سيده: الأَبُ الوالد، والجمع أَبُونَ وآباءٌ وأُبُوٌّ وأُبُوَّةٌ؛ عن اللحياني؛ وقال الكسائي: ويجوز أَن يجمع الأَبُ بالنُّونِ، فيقال: هؤلاء أَبُونَكُمْ، أَي آباؤكم، وهم الأَبُونَ.

وفي حديث الأَعرابي الذي جاء يَسأَل عن شرائع الإِسْلام: فقال له النبي صلى الله تعالى عليه وسلم: (أَفْلَح وأَبيه إِن صدَق) البخاري وغيره؛ قال ابن الأَثير: هذه كلمة جارية على أَلْسُن العرب، تستعملها كثيرًا في خِطابها، وتُريد بها التأْكيد.

وقد نهى النبيُّ صلى الله تعالى عليه وسلم أَن يحلِف الرجلُ بأَبيهِ، فيحتمل أَن يكون هذا القولُ قبل النهي، ويحتمل أَن يكون جَرى منه على عادة الكلام الجاري على الأَلْسُن، ولا يقصد به القَسَم؛ كاليمين المعفوِّ عنها من قَبيل اللَّغْوِ، أَو أَراد به توكيدَ الكلام لا اليمين؛ فإِن هذه اللفظة تَجري في كلام العرب على ضَرْبَيْن: التعظيم وهو المراد بالقَسَم المنهِيِّ عنه، والتوكيد كقول الشاعر:

لَعَمْرُ أَبي الواشِينَ، لا عَمْرُ غيرِهِمْ لقد كَلَّفَتْني خُطَّةً لا أُرِيدُها

فهذا تَوْكيد لا قَسَم؛ لأَنه لا يَقْصِد أَن يَحْلِف بأَبي الواشين، وهو في كلامهم كثير.

وسَمَّى اللهُ عز وجل العَمَّ أَبًا، في قوله عز وجل: (قالُوا نَعْبُد إِلَهك، وإِلَه آبائِك: إبراهيمَ، وإِسْمَعِيل، وَإِسْحَق).

والنِّسْبةُ إِليه أَبَويّ؛ أَبو عبيد: تَأَبَّيْت أَبًا، أَي اتخذْتُ أَبًا، وتَأَمَّيْت أُمًّا، وتَعَمَّمْت عَمًّا. قال ابن الأَعرابي: فلان يأْبوك أَي يكون لك أَبًا؛ وأَنشد لشريك بن حَيَّان العَنْبَري، يَهْجو أَبا نُخَيلة:

يأَيُّهَذا المدَّعي شريكا	بَيِّنْ لَنا.. وحَلِّ عن أَبِيكا
إِذا انْتَفى أَو شَكّ حَزْنٌ فِيكا	وَقَدْ سَأَلْنا عنك مَنْ يَعْزُوكا
إِلى أَبٍ، فكلُّهم يَنْفِيكا	فاطْلُب أَبا نَخْلة مَنْ يَأْبُوكا
وادَّعِ في فَصِيلَةٍ تُؤْوِيكا	

وتَأَبَّاه: اتَّخَذه أَبًا، والاسم الأُبُوَّة؛ وأَنشد ابن بري لشاعر:

أَيُوعِدُني الحجَّاج، والحَزْنُ بينَنا	وقَبْلَك لم يَسْطِعْ لِيَ القَتْلَ مُصْعَبُ
تَهَدَّدْ رُوَيْدًا.. لا أَرى لَكَ طاعَةً	ولا أَنت ممَّا ساء وَجْهَك مُعْتَبُ
فإِنَّكُمُ والمُلْك.. يا أَهْلَ أَيْلَة	لَكالمُتأَبِّي.. وهْو ليس له أَبُ

وفي حديث أُم عطية، في صحيح النسائي، عن حفصة رضي الله عنهما: كانت إِذا ذكَرَتْ رسول الله، صلى الله تعالى عليه وسلم، قالت بِأَباهُ؛ قال ابن الأَثير: أَصله بأَبي هو.

ويقال: بَأْبَأْتُ الصَّبيَّ إِذا قلتَ له: بأَبي أَنت وأُمِّي، قيل: هو اسم فيكون ما بعده مرفوعًا، تقديره أَنت مَفْدِيٌّ بأَبي وأُمِّي، وقيل: هو فعل، وما بعده منصوب، أَي فَدَيْتُك بأَبي وأُمِّي، وحذف هذا المقدَّر تخفيفًا؛ لكثرة الاستعمال، وعِلْم المُخاطب به.

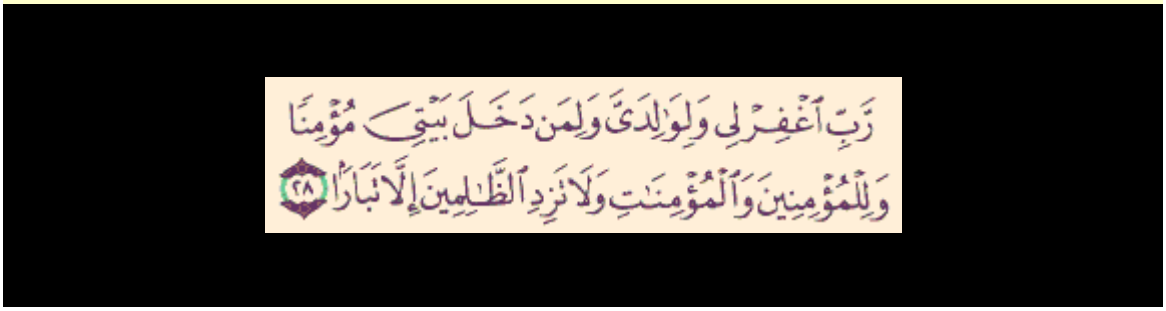

التكنية بالأب:

الكنية هي الاسم المبدوء بأب أو أم، وهي سنة عربية منذ ما قبل الإسلام، جرت بها عادة العرب، الذين كانوا يتكنون غالبًا بأكبر أبنائهم الذكور..

وهي نوع من التكريم، ورفع شأن المكنى، قال الشاعر:

أكنيه حين أناديه لأكرمه ولا ألقبه؛ والسوأة اللقبُ

وقد أقر النبي صلى الله تعالى عليه وعلى آله وصحبه وسلم سنة العرب في التكنية، ففي أبي داود عن هانئ بن يزيد رضي الله عنه: لما وفد إلى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم، مع قومه، سمعهم يكنونه بأبي الحكم، فدعاه رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فقال: إن الله هو الحكم، وإليه الحكم، فلم تكنى أبا الحكم؟ فقال:

إن قومي إذا اختلفوا في شيء أتوني فحكمت بينهم، فرضي كلا الفريقين.

فقال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم: ما أحسن هذا، فما لك من الولد؟ قال: لي شريح، ومسلم، وعبد الله، قال: فمن أكبرهم؟ قلت: شريح، قال: فأنت أبو شريح.

وقد نهى صلى الله تعالى عليه وسلم الناس أن يكني المسلمون أبناءهم بكنيته الشريفة صلى الله تعالى عليه وسلم، ففي البخاري وغيره عن أنس وغيره، رضي الله عنهم أجمعين: (كان النبي صلى الله تعالى عليه وسلم في السوق، فقال رجل: يا أبا القاسم، فالتفت إليه النبي صلى الله تعالى عليه وسلم، فقال: إنما دعوت هذا، فقال النبي صلى الله تعالى عليه وسلم: (سموا باسمي، ولا تكنوا بكنيتي).

ولفظه في مسلم عن جابر رضي الله عنه: ولد لرجل منا غلام، فسماه محمدًا، فقلنا: لا نكنيك برسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم، حتى تستأمره. قال: فأتاه، فقال: إنه ولد لي غلام فسميته برسول الله، وإن قومي أبوا أن يكنوني به، حتى تستأذن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم، فقال صلى الله تعالى عليه وسلم:

(سموا باسمي، ولا تكنوا بكنيتي؛ فإنما بعثت قاسمًا، أقسم بينكم).

وهل ذلك على إطلاقه؟ وهل هو في الاسم واللقب جميعًا؟ وهل هو في حياته صلى الله تعالى عليه وسلم وبعد مماته؟

قال في زاد المعاد في تعليل ذلك:

وكنى النبي صلى الله تعالى عليه وسلم صهيبًا بأبي يحيى، وكنى عليًّا رضي الله عنه بأبي تراب – إلى كنيته بأبي الحسن، وكانت أحب كنيتيه إليه – وكنى أخا أنس بن مالك – وكان صغيرًا دون البلوغ – بأبي عمير.

وكان هديه صلى الله تعالى عليه وسلم تكنية من له ولد، ومن لا ولد له، ولم يثبت عنه أنه نهى عن كنيةٍ؛ إلا الكنية بأبي القاسم، فصح عنه صلى الله تعالى عليه وسلم أنه قال: (تسموا باسمي، ولا تكنوا بكنيتي) فاختلف الناس في ذلك على أربعة أقوال:

أحدها: أنه لا يجوز التكني بكنيته مطلقًا، سواء أفردها عن اسمه أو قرنها به، وسواء محياه صلى الله تعالى عليه وسلم وبعد مماته.

وعمدتهم عموم هذا الحديث الصحيح وإطلاقه، وحكى البيهقي ذلك عن الشافعي، قالوا: لأن النهي إنما كان لأن معنى هذه الكنية. والتسمية مختصة به صلى الله تعالى عليه وسلم، وقد أشار إلى ذلك بقوله: (والله لا أعطي أحدًا، ولا أمنع أحدًا، وإنما أنا قاسم؛ أضع حيث أمرت) قالوا: ومعلوم أن هذه الصفة ليست على الكمال لغيره.

واختلف هؤلاء في جواز تسمية المولود بقاسم، فأجازه طائفة، ومنعه آخرون، والمجيزون نظروا إلى أن العلة: عدم مشاركة النبي صلى الله تعالى عليه وسلم فيما اختص به من الكنية، وهذا غير موجود في الاسم، والمانعون نظروا إلى أن المعنى الذي نهي عنه في الكنية، موجود مثله هنا في الاسم سواء، أو هو أولى بالمنع، قالوا: وفي قوله (إنما أنا قاسم) إشعار بهذا الاختصاص.

القول الثاني: أن النهي إنما هو عن الجمع بين اسمه وكنيته، فإذا أفرد أحدهما عن الآخر، فلا بأس.

قال أبو داود: باب: من رأى ألا يجمع بينهما، ثم ذكر حديث أبي الزبير عن جابر رضي الله عنه أن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم قال: (من تسمى باسمي فلا يتكن بكنيتي، ومن تكنى بكنيتي فلا يتسم باسمي) رواه الترمذي عن أبي هريرة، وقال حسن صحيح، ولفظه: نهى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم أن يجمع أحد بين اسمه وكنيته، ويسمي محمدًا أبا القاسم، قال أصحاب هذا القول: فهذا مقيد مفسر لما في الصحيحين، من نهيه عن التكني بكنيته قالوا: ولأن في الجمع بينهما مشاركة في الاختصاص بالاسم والكنية، فإذا أفرد أحدهما عن الآخر زال الاختصاص.

القول الثالث، جواز الجمع بينهما، وهو المنقول عن مالك رحمه الله..

واحتج أصحاب هذا القول بما رواه أبو داود والترمذي من حديث محمد ابن الحنفية، عن علي رضي الله عنه قال: قلت: يا رسول الله إن ولد لي ولد من بعدك أسميه باسمك، وأكنيه بكنيتك؟ قال: "نعم" قال الترمذي: حديث حسن صحيح.

وفي سنن أبي داود عن عائشة قالت: جاءت امرأة إلى النبي صلى الله تعالى عليه وسلم فقالت: يا رسول اللهإني ولدت غلامًا فسميته محمدًا، وكنيته أبا القاسم، فذكر لي أنك تكره ذلك؟ فقال: (ما الذي أحل اسمي وحرم كنيتي؟) أو (ما الذي حرم كنيتي وأحل اسمي؟) قال هؤلاء: وأحاديث المنع منسوخة بهذين الحديثين.

القول الرابع: إن التكني بأبي القاسم كان ممنوعًا منه في حياة النبي صلى الله تعالى عليه وسلم، وهو جائز بعد وفاته..

قالوا: وسبب النهي إنما كان مختصًّا بحياته، فإنه قد ثبت في الصحيح من حديث أنس رضي الله عنه قال: نادى رجل بالبقيع: يا أبا القاسم، فالتفت إليه رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم، فقال يا رسول الله، إني لم أعنك؛ إنما دعوت فلانًا، فقال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم: (تسموا باسمي ولا تكنوا بكنيتي) قالوا: وحديث علي فيه إشارة إلى ذلك، بقوله: إن ولد لي من بعدك ولد، ولم يسأله عمن يولد له في حياته، ولكن

قال علي رضي الله عنه في هذا الحديث: "وكانت رخصة لي" وقد شذ من لا يؤبه لقوله، فمنع التسمية باسمه صلى الله تعالى عليه وسلم قياسًا على النهي عن التكني بكنيته.

والصواب أن التسمي صلى الله تعالى عليه وسلم باسمه جائز، والتكني بكنيته ممنوع منه، والمنع في حياته أشد، والجمع بينهما ممنوع منه، وحديث عائشة رضي الله عنها غريب لا يعارض بمثله الحديث الصحيح، وحديث علي رضي الله عنه في صحته نظر، والترمذي فيه نوع تساهل في التصحيح، وقد قال علي: إنها رخصة له، وهذا يدل على بقاء المنع لمن سواه، والله أعلم.

قال في اللسان:

ومن المُكَنِّى بالأَب قولهم: أَبو الحَرِث كُنْيَةُ الأَسَدِ، أَبو جَعْدَة كُنْية الذئب، أَبو حصين كُنْيةُ الثَّعْلَب، أَبو ضَوْطَرى: الأَحْمَقُ، أَبو حاجِب: النار لا يُنْتَفَع بها، أَبو جُخادِب: الجَراد، وأَبو بَراقِش: لطائر مُبَرْقَش، وأَبو قَلَمُونَ: لثَوْب يَتَلَوَّن أَلْوانًا، وأَبو قُبَيْسٍ: جبَل بمكة، وأَبو دارِسٍ: كُنْية الفَرْج، من الدَّرْس وهو الحَيْض، وأَبو عَمْرَة: كُنْية الجُوع؛ وقال: حَلَّ أَبو عَمْرَة وَسْطَ حُجْرَتي. وأَبو مالِكٍ: كُنْية الهَرَم؛ قال:

أَبا مالِك، إِنَّ الغَواني هَجَرْنني أَبا مالِكٍ، إِني أَظنُّك دائِبا

وفي حديث رُقَيْقَة: هَنِيئًا لك أَبا البَطحاء: إِنَّما سمَّوْه أَبا البطحاء لأَنهم شَرفُوا به وعَظُمُوا بدعائه، وهدايته كما يقال للمِطْعام: أَبو الأَضْياف. وفي حديث وائل بن حُجْر: من محمد رسولِ الله إِلى المُهاجِر ابن أَبو أُمَيَّة؛ قال ابن الأَثير: حَقُّه أَن يقول ابنِ أَبي أُمَيَّة، ولكنه لاشْتهارِه بالكُنْية، ولم يكن له اسم معروف غيره، لم يجرّ، كما قيل: عليّ بن أَبو طالب.

وفي حديث عائشة رضي الله عنها: قالت عن حفصة رضي الله عنهم أجمعين: وكانت بنتَ أَبيها؛ أَي أَنها شبيهة به في قُوَّة النفس، وحِدَّة الخلُق، والمُبادَرة إِلى الأَشياء.

بسم الله الرحمن الرحيم
وقضى ربك ألا تعبدوا إلا إياه
وبالوالدين إحسانا
إهداء الإدارة العامة للتربية والتعليم بمنطقة مكة المكرمة - إدارة نشاط الطلاب - النشاط الفني
مسابقة الخط العربي الرابعة عشر ١٤٣٢هـ

لكل منا آباء عدة:

الحق أن لكل منا أكثر من أب، وأكثر من أم، عرفنا ذلك أم لم نعرف؛ فأمنا الكبرى هي حواء عليها السلام، زوج أبينا الأول آدم:

قال صلى الله تعالى عليه وسلم، فيما روى الألباني في غاية المرام، بسند صحيح أو حسن: الناس لآدم وحواء إن الله لا يسألكم عن أحسابكم ولا أنسابكم يوم القيامة؛ إن أكرمكم عند الله أتقاكم). وقال الشاعر:

الناس من جهة التمثال أكفاءُ	أبوهمُ آدمٌ.. والأم حواءُ
فإن يكن لهم في أصلهم شرفٌ	يفاخرون به.. فالطين والماءُ

وأمنا الثانية هاجر أم العرب رضي الله عنها..

ثم إن لنا بعد ذلك إحدى عشرة أمًّا، لهن أحكام الأمهات، هن نساء رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم، أمهات المؤمنين عليهم السلام، ورضي الله عنهن..

وهن اللواتي قال تعالى فيهن، مادحًا، فارضًا علينا لهن حقوق الأمهات: (النبي أولى بالمؤمنين من أنفسهم، وأزواجه أمهاتهم...)..

وبعد ذلك لنا الأم التي ولدتنا، والتي وصانا النبي صلى الله تعالى عليه وسلم به وشدد في الوصية (.... أمك، ثم أمك، ثم أمك...) رضي الله تعالى عن أمهاتنا جمعاوات..

والحال كذلك في آبائنا عليهم السلام، وهم:

1. أبونا الأول الذي ننسب إليه أجمعون:

الذي قال الله تعالى عنه: (يا بني آدم خذوا زينتكم/ يا بني آدم لا يفتننكم الشيطان/ ألم أعهد إليكم يا بني آدم ألا تعبدوا الشيطان) وما شابه من آيات.

2. أبو المسلمين إبراهيم عليه السلام:

وفيه قال الله تعالى: (ملة أبيكم إبراهيم، هو سماكم المسلمين من قبل).

وفي صحيح الترغيب عن ابن عباس رضي الله عنهما مرفوعًا: لما أتى إبراهيم خليل الله المناسك عرض له الشيطان عند جمرة العقبة، فرماه بسبع حصيات، حتى ساخ في الأرض، ثم عرض له عند الجمرة الثانية، فرماه بسبع حصيات، حتى ساخ في الأرض، ثم عرض له عند الجمرة الثالثة، فرماه بسبع حصيات، حتى ساخ في الأرض. قال ابن عباس: الشيطان ترجمون، وملة أبيكم إبراهيم تتبعون!

وفي صحيح أبي داود وغيره عن يزيد بن شيبان رضي الله عنه: (أتانا ابن مربع الأنصاري – ونحن بعرفة – في مكان يباعده عمرو عن الإمام، فقال: أما إني رسولُ رسولِ الله صلى الله تعالى عليه وسلم إليكم، يقول لكم: قفوا على مشاعركم؛ فإنكم على إرث من إرث أبيكم إبراهيم).

3. الأب: هو الذي ولد، أو نسل من صلبه:

يقول الله تعالى (يَأَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُواْ رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ، وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا، وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاء) ويقول تعالى: (ووالد وما ولد).

4. العم أب، على سبيل المجاز والتقريب:

قال تعالى: (أم كنتم شهداء إذ حضر يعقوب الموت، إذ قال لبنيه: ما تعبدون من بعدي؟ قالوا: نعبد إلهك، وإله آبائك: إبراهيم وإسماعيل وإسحق؛ إلهًا واحدًا) البقرة: 133.

وفي الترمذي عن عبد المطلب بن ربيعة بن الحارث رضي الله تعالى عنه، بسند حسن صحيح، أن سيدي العباس بن عبد المطلب رضي الله عنه، دخل على رسول الله صلى الله

تعالى عليه وسلم مغضبًا وأنا عنده، فقال: ما أغضبك؟ قال: يا رسول الله! ما لنا ولقريش! إذا تلاقوا بينهم تلاقوا بوجوه مبشرة، وإذا لقونا لقونا بغير ذلك، قال:

فغضب رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم، حتى احمر وجهه، ثم قال: والذي نفسي بيده: لا يدخل قلب رجل الإيمان حتى يحبكم لله ولرسوله..

ثم قال: يأيها الناس! من آذى عمي فقد آذاني، فإنما عم الرجل صنو أبيه.

وفي صحيح أبي داود، بسند صحيح، عن أبي هريرة رضي الله عنه، قال: بعث النبي صلى الله تعالى عليه وسلم عمر بن الخطاب على الصدقة، فمنع ابن جميل وخالد بن الوليد، والعباس، فقال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم: (ما ينقم ابن جميل إلا أن كان فقيرًا فأغناه الله، وأما خالد بن الوليد فإنكم تظلمون خالدًا؛ فقد احتبس أدراعه وأعتده في سبيل الله، وأما العباس عم رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فهي عليّ ومثلها)، ثم قال صلى الله تعالى عليه وسلم: (أما شعرت أن عم الرجل صنو الأب، أو صنو أبيه)!؟

5. والجد أب:

كما قال تعالى: (واتبعت ملة آبائي إبراهيم وإسحق ويعقوب؛ ما كان لنا أن نشرك بالله من شيء؛ ذلك من فضل الله علينا، وعلى الناس، ولكن أكثر الناس لا يشكرون) يوسف 38.

6. قد تطلِق الأعرافُ لقب الأبِ على المتبني:

وذلك كما كان الحال في الجاهلية القديمة، والجاهلية الحالية؛ وهذا غير شرعي؛ لقوله تعالى في نفي أبوة المتبني: (ما كان محمد أبا أحدٍ من رجالكم، ولكن رسول الله، وخاتم النبيين) الأحزاب:40، وقوله صلى الله تعالى عليه وسلم في البخاري وغيره، عن ابن عمر وعائشة وأبي هريرة رضي الله عنهم: (الولد للفراش، وللعاهر الحجر).

7. من العرف الاجتماعي: إطلاق لفظ الأب على الكبير سنًّا ومقامًا، وعلى المعلم والمربي:

وقد ورد في سنن أبي داود عن أبي هريرة رضي الله عنه مرفوعًا: (إنما أنا لكم بمنزلة الوالد أعلِّمكم).

وقد كان هذا من الأعراف السائدة في الأرياف المصرية، حين ينادي الشاب أي مسن يعرفه بلقب : (أبويا الحاج) أو: (أبويا فلان).

8. وقد ينادي المسنُّ أو الكبير قيمة، شابًّا غريبًا، بلفظ: يا بني، من باب التودد والحنو:

كما قال صلى الله تعالى عليه وسلم لأنس رضي الله عنه: (يا بُنيِّ: إذا دخلت على أهلك فسلم) رواه مسلم.

الانتساب لغير الأب!

مع تنوع موارد لفظة الأب فإنه لا يجوز أن ينسب الإنسان لغير أبيه الصلبي، الذي نسَله. وقد شدد سيدنا رسول الله صلى عليه وسلم تشديدًا عظيمًا: فقال صلى الله تعالى عليه وعلى آله وصحبه وسلم:

- (لا ترغبوا عن آبائكم؛ فمن رغب عن أبيه فهو كفر) البخاري، عن أبي هريرة رضي الله عنه.
- (..ومن ادعى إلى غير أبيه، أو انتمى إلى غير مواليه؛ فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين، لا يقبل الله منه يوم القيامة صرفًا ولا عدلًا) مسلم عن علي رضي الله عنه.
- (من ادعى إلى غير أبيه، أو انتمى إلى غير مواليه، فعليه لعنة الله المتتابعة إلى يوم القيامة) صحيح الترغيب، عن أنس رضي الله عنه.
- لما ادعي زياد، لقيت أبا بكرة فقلت له: ما هذا الذي صنعتم؟ إني سمعت سعد بن أبي وقاص يقول: سمع أذناي من رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وهو يقول: (من ادعى أبًا في الإسلام غير أبيه، يعلم أنه غير أبيه، فالجنة عليه حرام) فقال أبو بكرة: وأنا سمعته من رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم. سعد بن أبي وقاص رضي الله تعالى عنه، في مسلم.
- سمعت رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم في خطبته عام حجة الوداع يقول: (إن الله تبارك وتعالى، قد أعطى كل ذي حق حقه، فلا وصية لوارث. الولد للفراش، وللعاهر الحجر، وحسابهم على الله تعالى، ومن ادعى إلى غير أبيه، أو انتمى إلى غير مواليه، فعليه لعنة الله التابعة إلى يوم القيامة. لا تنفق امرأة من بيت زوجها إلا بإذن زوجها. قيل يا رسول الله: ولا الطعام؟ قال: ذاك أفضل أموالنا، وقال: العارية مؤداة. والمنحة مردودة. الدين مقضي. والزعيم غارم) أبو أمامة الباهلي رضي الله عنه في الترمذي.

بم ينادى الإنسان يوم القيامة؟

يعتقد عامة المصريين – وربما غيرهم – أن العبد ينادى يوم القيامة باسمه واسم أمه، وهذا من الأخطاء الشائعة، التي تخالف نصوص الشرع الحنيف، والأكيد أن الآدمي يدعى يوم القيامة باسمه واسم أبيه:

ففي البخاري من حديث ابن عمر رضي الله عنهما مرفوعًا: (إن الغادر يُرفع له لواء يوم القيامة، يُقال: هذه غدرة فلان ابن فلان).

وفي الجامع الصغير عن أبي الدرداء عنه بسند حسن، مرفوع: (إنكم تدعون يوم القيامة بأسمائكم، وأسماء آبائكم، فأحسنوا أسماءكم).

وفي الترغيب والترهيب وغيره بسند حسن، عن البراء رضي الله عنه: (.....فلا يمرون على ملأ من الملائكة إلا قالوا: ما هذا الروح الطيب؟ فيقولان: فلان ابن فلان – بأحسن أسمائه التي كان يسمى بها في الدنيا – حتى ينتهوا إلى السماء الدنيا.....).

وفي حادي الأرواح لابن القيم بسند صحيح، عن أنس رضي الله عنه: (فأتته امرأة فقالت: يا رسول الله، رأيت كأني أتيت، فأخرجت من المدينة، فأدخلت الجنة، فسمعت وجبة انفتحت لها الجنة، فنظرت، فإذا فلان ابن فلان، وفلان ابن فلان، فسمت اثني عشر رجلا.....) الحديث.

وقد بدأت فينا دعوة منقولة عمن لا يعرفون آباءهم، بنسبة الابن إلى أمه لا أبيه..

وهذا خيار موجود في الغرب، إذ تجيز القوانين نسبة الولد لأمه، أو لأبويه كليهما، حتى إن من رؤساء الوزارات من كان ينسب لأمه مثل (خوزيه ماريا أثنار) الإسباني، الذي تولى رئاسة الوزارة بين عامي (1996 و 2000) وتتولى نوال السعداوي كبر هذه الكبائر المتطرفة، وتسويقها؛ بزعم أنها من التحضر، ومن الحق البديهي للمرأة، وأصرت أن تنادى باسم أمها زينب (نوال زينب السيد السعداوي) تمامًا كما يفعل بعض أهل الغرب، الذين يكتبون في البطاقة اسم الشخص، فاسم أمه، فأبيه، على الترتيب.

الفصل الثاني: رؤية غربية للأب

أولاً: تأليه الأب في عقائد كثير من الشعوب؛ خصوصًا الغربية!

رفعت بعض العقائد الأب إلى منزلة الإله – تبارك، وتعالى، وعز وجل – وعبدوه، وصلوا له!

وقد قرأت في موقع كنيسة الإسكندرية الكاثوليكي عن الأب (الآب) تفاصيل ألخصها فيما يلي:

تتفق الكنائس عامة، والرسولية خاصة – كاثوليكية وأرثوذكسية – على:

الإله واحد مثلث الأقانيم: الأب والابن والروح القدس، وكلها متساوية في الكمالات!

وعن الروح القدس قال الشرقيون: من الأب بواسطة الابن ينبثق!

وقال الغربيون: من الأب والابن كليهما ينبثق!

لاهوت الثالوث بين الشرق والغرب
من لاهوت الثالوث حسب الشرق
– الله الواحد هو الآب الذي يُعطي الإلوهيَّة للابن.
– يشدد على أن الآب هو المبدأ الأصل.
– ينبثق الروح من الآب بواسطة الابن!
– الروح هو تدفق حب الآب والابن في الخليقة وفي تاريخ الإنسان.
لاهوت الثالوث حسب الغرب
– ينطلق من الطبيعة الإلهيَّة الواحدة، التي تربط بين الأقانيم الثلاثة.

– هذه الطبيعة تربطهم في المعرفة التي يملكها الآب لذاته.

– الآب يلد الابن الكلمة.

– من الحب المتبادل بين الآب والابن ينبثق الروح.

وفي مصر الفرعونية كان الأب الرب أيضًا:

في ترتيلة فرعونية http://www.annabaa.org/nbanews/64/109.htm جاء:

هو الحياة الأبدية

به يحيا الإنسان، ينفخ في أنفه نسمة الحياة

هو الأب والأم، أبو الآباء وأم الأمهات

يلد ولم يولد!

ينجب ولم ينجبه أحد!

يقول جاكوبسون: "إن الروح القدس عند المسيحيين يوازي "كع" عند المصريين، وبه يتحِد الآب بالابن. إن الولادة الإلهية للفرعون تتم عبر"كع"، من خلال أم بشرية للملك. غير أن هذه الأم، كما عند المسيحيين تبقى خارج إِطار التثليث. هكذا نجد عند الأقباط المصريين في فجر المسيحية هذا التأثر فقد نقلوا الأفكار المصرية القديمة حول "كع" وألبسوها لروح القدس. وفي بعض الكتب القبطية القديمة ككتاب (Sofia Pistis) الذي اكتشف في نجع حمادي عام 1945، والذي يعود للقرن الثالث الميلادي أن الأقباط كانوا يسمون الروح القدس ب "كع" كما كانوا يجعلونه أحيانًا شبيهًا بالمسيح. وفي النصوص المصرية القديمة وصف لولادة الابن الإلهي يجعلونه أحيانًا في حورس الإله

وكيف يقول الأب عن الابن: لسوف يُمارس ملكًا مباركًا في هذه الأرض لأني وضعت روحي فيه. ويقول للابن: "إنك ابن جسدي الذي أنجبت". وهنا لا بد من أن نقارن هذا مع ما ورد في رسالة بولس إلى العبرانيين (1/5): (أنت إبني أنا اليوم ولدتك).

كما كان الثالوث المصري المؤلف من أوزوريس وإيزيس وحوريس أساس الوثنية الفرعونية، فكان أزوريس هو الأب ؛ وحورس هو الابن في هذا الثالوث .

وفي العقيدة السومرية ألهوا الأب أيضًا في صورة (إنليل) الذي يمنح الربوبية لمن شاء:

أعطاني أبي السماء، وأعطاني الأرض!

إني ملكة السماء، وملكة السماء أنا

وما من إله قادر على منازعتي!

أعطاني إنليل السماء وأعطاني الأرض!

أعطاني إنليل الربّوبية!

أعطاني الملك

أعطاني القتال والمعركة

أعطاني الطوفان وأعطاني العاصفة

أعطاني السماء تاجًا

وربط الأرض إلى قدميَّ نعلًا

خلع علي طيلسان النواميس الإلهية!

وفي بابل تجسدت آلهة مثلثة من ضمنها الإله الأب:

فكان هناك الثالوث: أنو، بل، أيا، وكان " أيا" رمزًا للمعرفة، وكان والد بل (الآب) الذي كان يمثل النشاط العملي. وهناك ثلاثة آلهة بابلية أخرى هي سن (القمر)، وأداد (العاصفة)، وكان " أداد " هو ابن الآب "أنو". وفي حكم نبوخذ نصر صار " أداد " رب السماء والأرض، ثم اتضحت العلاقة بين الآب والابن في أيام حمورابي حيث نجد

"مردوك بن أيا" يأخذ القوة من الإله "بل" ويبعده إلى الظل. وكان " أيا" والدًا عامرًا بالمحبة لابنه الذي يعطيه قوته وحقوقه.

أما مردوك فهو أصلًا إله الشمس وكانت له مرتبة "الآب" بينما كان "أيا" وسيطًا بين الآب وبين البشر. وقد قال " أيا" أن كل ما يعرفه هو يعرفه ابنه أيضًا. ولقد ثبت أن الآلهة المثلثة كانت عقيدة لاهوتية أكثر مما كانت قوة حية. والواقع أن التثليث أقدم المعتقدات الدينية الوثنية وأعرقها..

وكان الأشوريون يؤمنون بالكلمة، ويسمونها: مردوخ ؛ ويعتقدون أن مردوخ هذا هو ابن اللّه البكر !

الأب في الثالوث الهندوسي:

وكان الهنود يقولون بثلاثة أقانيم يتجلي فيها الإله، وهي: "برهما" للخلق والتكوين، و"فشنو" للحفظ والقوامة، و"شيفا" للانتقام والإهلاك والإبادة .. والوسط فشنو هو الابن المنبثق والمتحول عن اللاهوتية في برهما!

وكذا في الصين والفرس، كما ذكر موقع المحبة المقدسة، في مقال عن التثليث في الأديان الأخرى، فقال:

نجد في أصول الأديان الوثنية شيئًا (!) ينبئ عن الثالوث، كان الثالوث الإلهي مؤلفًا من ثلاثة: براهما وفيشنو وسيفا، فبراهما هو الموجود غير المتناهي الأزلي، الذي أوجد المادة وظهر في إبداع العالم/ وفيشنو هو الحكمة الحافظة هدا العالم المخلوق/ وسيفا هو إله الموت والملاشاه فيلاشي كل ما يجد/ وفي زعمهم أن هؤلاء الثلاثة يتولون معا تدبير العالم!

وفي الصين قال الفليسوف لاو شو موضحًا عقيدة قومه في التثليث بقوله: "إن الذي تفتش عنه ولا تجده ي **i** / والذي تصغي له ولا تسمع صوته يدعى هي **hi**/ والذي تمتد

يدك ولا تتمكن من لمسه يدعى وي wei.. فتخيلوا في تقليدهم أولا المبدأ أو الأب "الذي تفتش عليه" ثانيًا: الكلمة أي الابن "الذي تصغي إليه "ثالثًا الروح القدس" الذي لا تتمكن من لمسه"!

الأديان الأرواحية التي عبدت أرواح الآباء والأجداد:

وقد أشار القرآن الكريم إلى أقوام من العرب وغيرهم كانوا يعبدون تقاليد آبائهم – أو آباءهم أنفسهم – ويحرصون على اتباعهم بشكل أعمى غير رشيد ولا مهتدٍ.. ومن ذلك قوله تعالى: الأعراف–28: (وإذا فعلوا فاحشة قالوا وجدنا عليها آباءنا، والله أمرنا بها)! وقال الله تعالى، الأعراف– 70: (قالوا أجئتنا لنعبد الله وحده، ونذر ما كان يعبد آباؤنا)!؟ وقال سبحانه: الأعراف:172–173: (وإذ أخذ ربك من بني آدم من ظهورهم ذريتهم، وأشهدهم على أنفسهم ألست بربكم؟ قالوا: بلى شهدنا، أن تقولوا يوم القيامة إنا كنا عن هذا غافلين* أو تقولوا: إنما أشرك آباؤنا من قبل، وكنا ذرية من بعدهم، أفتهلكنا بما فعل المبطلون) وفي يونس عليه السلام: 78: (قالوا أجئتنا لتلفتنا عما وجدنا عليه آباءنا)!؟ وفي الشعراء: –79: (قالوا بل وجدنا آباءنا كذلك يفعلون * قال أفرأيتم ما كنتم تعبدون * أنتم وآباؤكم الأقدمون * فإنهم عدو لي إلا رب العالمين * الذي خلقني فهو يهدين * والذي هو يطعمني ويسقين....) وفي الصافات: 69: (إنهم ألفوا آباءهم ضالين* فهم على آثارهم يهرعون) وفي الزخرف 23– 24: (وَكَذَلِكَ مَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ فِي قَرْيَةٍ مِّن نَّذِيرٍ إِلاَّ قَالَ مُتْرَفُوهَا إِنَّا وجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَى أُمَّةٍ وإِنَّا عَلَى آثَارِهِم مُّقْتَدُونَ* قَالَ أَوَ لَوْ جِئْتُكُم بِأَهْدَى مِمَّا وجَدتُّمْ عَلَيْهِ آبَاءَكُمْ قَالُوا إِنَّا بِمَا أُرْسِلْتُم بِهِ كَافِرُونَ)! وما شابه من الآيات!

وفي تعريف الأَرْوَاحيَّة (موسوعة الجياش) جاء أنها مصطلح يطلق على أي دين – غير الإسلام – تؤدي فيه أرواح موتى البشر أو أرواح الطبيعة دورًا مهمًّا. في هذه الأديان، قد تُقدَّم القرابين وتعقد الاحتفالات الخاصة لتكريم أرواح الموتى. كذلك قد يعبد أتباع

هذه الأديان الأرواح التي يعتقدون بوجودها في الحقول والتلال والأشجار والماء وعناصر الطبيعة الأخرى. وفي بعض الأديان يُظَنُّ أن هذه الأرواح قد تحل في أبدان الناس لتفصح عن احتياجاتها ورغباتها. ويحدث ذلك مثلاً في الطقوس الدينية للتقاليد الشعبية بجنوب شرقي آسيا.

ويقول جواد علي في المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام: وهناك أشكال عديدة للعبادة، تمثل تعدد وجهة نظر الإنسان بالقياس إلى مفهوم الألوهية لديه. فهناك عبادة تسمى عبادة آباء القبائل، حيث أسبغ على أجداد القبائل ما يسبغ عادةً على الآلهة من نعوت وصفات. وتجد هذه العبادة عند القبائل البدائية. وقد يكون هؤلاء الأجداد أجدادًا حقيقيين، وقد يكونون أشخاصًا خلقتهم الأساطير! ومهما يكن من شيء، فقد أعطي هؤلاء صفات الربوبية ونعوتها، ونظر إليهم نظرة من فيه قوى خارقة ذات هيمنة على العالم والخلق. وقد اصطلح على تسمية هذه العبادة ب All Fathers في الانكليزية وب Verehrung des Stammesvaters و ب Urvaters في الألمانية، لأنها تقوم على أساس عبادة الأجداد.

وحين كتب الأستاذ العقاد رحمه الله عن فلسفة الصيام: أشار إلى أن الصيام أحد العقائد الأرواحية التي تُحصي لها أصولٌ كثيرة في علم الأجناس البشرية وعلم مقابلة الأديان.

فهو في بعض مظاهره ضربٌ من عبادة الموتي أو عبادة الأرواح؛ فكان بعض الناس يجوعون باختيارهم حُزنا على موتاهم ، ثم تطور هذا الصوم فأصبح مفروضًا على الأحياء ترضيةً لأرواح الموتى لكيلا تغضب هذه الأرواح إذا تمتّع الأحياء بالطعام وبالشرب – وهي محرومة منه – ولهذا يقترن الصيام أحيانًا بتقديم الطعام عند قبور الموتي، كأنّما يريد الأحياء المتقربون إلى الأرواح أن يقولوا لها إنّهم لا يضنّون عليها بالطعام، ولا يستبيحون الأكل والشراب إلا بإذنٍ منها، وبعد الاستجابة لمطالبها!

ولا شك أننا يمكن أن نشتم هذا من عادة عوام المصريين من الخروج في الأعياد بالكعك والمعجنات إلى القبور، لتوزيعها على المقرئين والمتسولين!

ومن جملة الأديان حول العالم التي قدس أو يقدس أتباعها أرواح الآباء والأجداد:

طوائف من الشيعة المبتدعة الذين يوزعون شيئًا في عاشوراء يسمى (الوزيعة) – وهي غير الوزيعة في الجزائر أيام المولد النبوي، وإن كانت تشبهها مع فارق المعتقد – حيث يشترك أهل القبيلة والقرية – كل حسب استطاعته – لشراء الأغنام وأبقار؛ لتذبح في هذا اليوم، وتوزع على كل الأفراد أغنيائهم وفقرائهم وعلى الضيوف، مع اعتقادات خرافية منها أن أرواح الآباء والأجداد تحضر وتشاهد عملهم، وأنها ترضى عنهم بذلك!

الدرزية وأهلها الذين يتربون على تعظيم الآباء والأجداد تكاد تصل للعبادة؛ فلا يغضب أحدهم عندما تشتم أخته كما يغضب عندما يشتم قبر والده (وإن كان والده لا يزال حيًّا) كما يحلفون بقبور أصولهم وإن كانوا أحياء.

وكذا الكونفوشيوسية ديانة أهل الصين، التي ترجع إلى الفيلسوف الحكيم كونفوشيوس الذي ظهر في القرن السادس قبل الميلاد، داعيًا إلى إحياء الطقوس والعادات والتقاليد الدينية التي ورثها الصينيون عن أجدادهم، مضيفاًا إليها من فلسفته وآرائه في الأخلاق والمعاملات والسلوك القويم في نظره.

إنها تقوم على عبادة إله السماء أو الإله الأعظم، وتقديس الملائكة، وعبادة أرواح الآباء والأجداد. ومن مظاهر تقديس الصينيين أوراح أجدادهم الأقدمين، واعتقادهم ببقائها تقديم من الطعام القرابين لها وإدخال السرور عليها بأنواع الموسيقى، ويوجد في كل بيت معبد لأرواح الأموات ولآلهة المنزل!

وممن يعظمون الأب بعض وثنيي أفريقيا والمناطق الاستوائية في أميركا اللاتينية وجنوب شرقي آسيا.

ولأنني لا أريد استقصاء موضوع الأرواحيات وعبادة الآباء والأجداد ، فأظن أن في هذا المقدار كفاية.

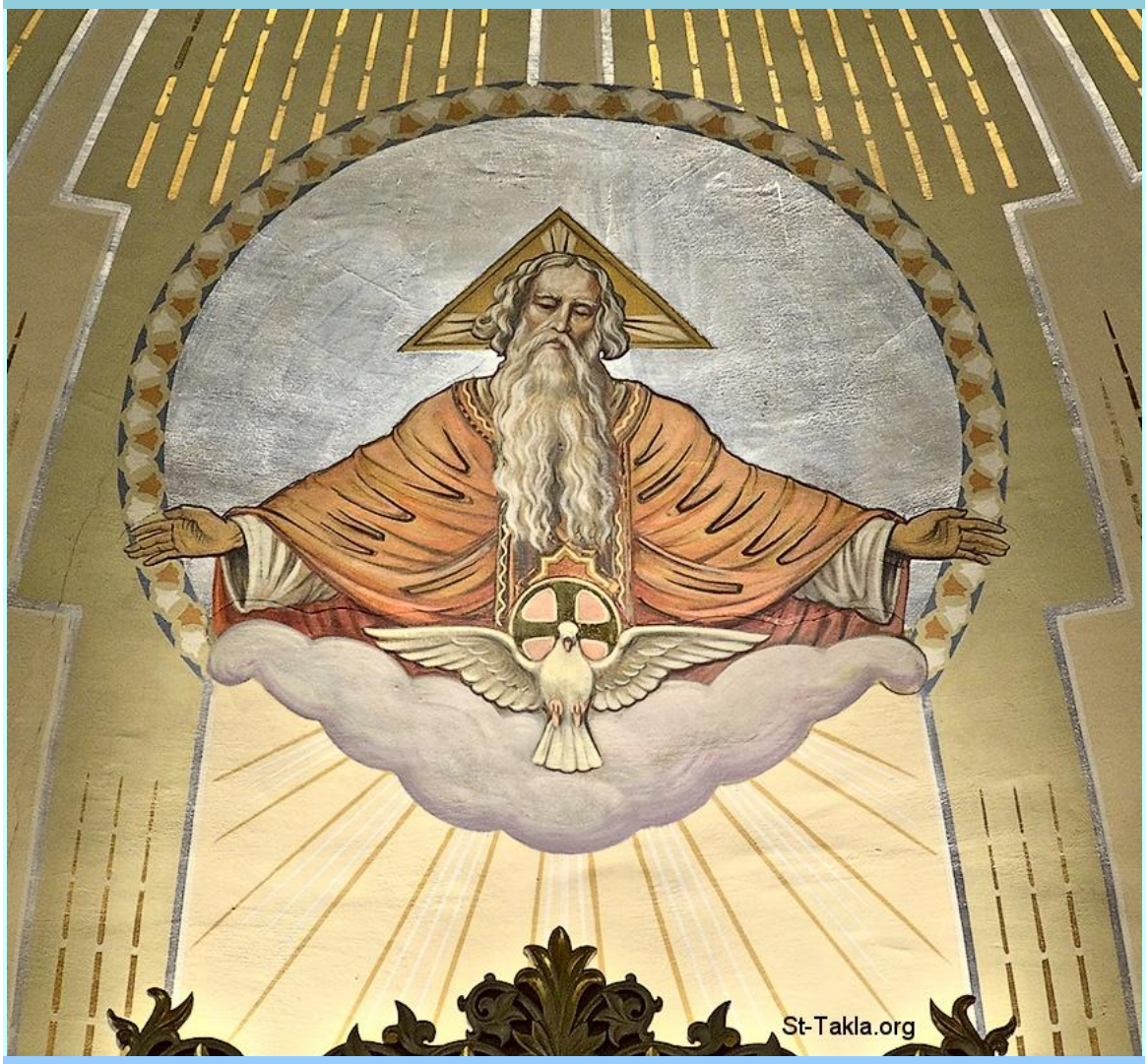

الرب الأب في العقيدة النصرانية

ثانيًا: تداعيات عن الآباء:

أ. عقدة إلكترا، أو عقدة الأب:

كما تحدث علماء النفس عن عقدة أوديب التي يعشق الصبي فيها أمه، تحدثوا عن عقدة الأب أو عقدة ألكترا.

وهو مصطلح أحدثه سيجموند فرويد، وأطلقه (كارل يونج) عام 1913، يشير به إلى التعلق اللاوعي للفتاة بأبيها، وغيرتها من أمها، وكرهها لها، واستوحي سيجموند فرويد هذا المصطلح من أسطوره إليكترا اليونانية، وهو يقابل عقدة عقدة أوديب لدى الذكر.

ذكر إبراهيم الحيدري (الحياة/ الثلاثاء، 28 أبريل 2009) أن «عقدة إلكترا – Electra Complex» تنشأ من العلاقة العاطفية بين البنت وأبيها، حيث تبدأ البنت تغار من أمها. وهكذا تنشأ ازدواجية في شخصيتها.

ويعود أصل هذه العقدة إلى أسطورة يونانية قديمة تقول إن إلكترا بنت أغاممنون ملك مسينا كانت قد حرّضت أخاها أورست على الانتقام، من أمها وعشيقها؛ لأنهما قتلا أباها أغاممنون. فسّر فرويد هذه المأساة بأنها رمز لميل الولد الى أمه، وأن هذا الميل هو نزعة غريزية كامنة في الإنسان. وقد استوحاها فرويد من هذه الأسطورة وعممها على الجنس البشري. وقد دحضت هذه النظرية من جانب عدد كبير من علماء النفس المعاصرين، ومن الأنثروبولوجيين، وخاصة ما قام به الانثروبولوجي المعروف مالينوفسكي في دراسته الميدانية حول سكان جزر التروبرياند في المحيط الباسيفيكي في جنوب شرقي آسيا. في كتابه «الجنس والكبت في مجتمع متوحش» (1927) قدم مالينوفسكي نقدًا لنظرية التحليل النفسي الفرويدية في تصورها كيفية تأثير مرحلة الطفولة في الشخصية.

ب: من أنواع الآباء:

الآباء لا شك أنواع في طباعهم، وتطبيقاتهم للأبوة ومقتضياتها ومشاعرها، وقد أشرت لبعضها عندما تحدثت عن الأب في القرآن والسنة..

فلا شك أن من الآباء الأب العاطفي مفرط الحب لأبنائه، الذي يخاف عليهم (نسمة الهواء) ويبالغ في أبوته إلى حد المرض، حتى بعد يصير ابنه أبًا، وجدًّا، ويظل عليه قلقًا، وبه شفيقًا، وله متابعًا..

يقابله الأب جاف المشاعر، الذي لا يبالي بأبنائه، ولا أحوالهم: لا ينفق، ولا يداوي، ولا يعلم، ولا يتحسس الأخبار، وربما لا يعرف في أي صف يدرس ابنه ولا أية مدرسة.. (حقيقة واقعة لا خيال).

بعضهم عف نظيف موسوس في جانب العرض والأخلاق، يبالغ في الحجب، والمنع والمحاسبة، حتى على رنة الهاتف، يقابله المستبيح (واسع الذمة) في قضية العرض، الذي لا يبالي من دخل على أهله وبناته، ويفخر بما يقترف أبناؤه، باعتباره تحررًا، وانفتاحًا، وسعة أفق، وكسرًا للجمود!

بعضهم صراف آلي كريم وناجح: ينفق ويسخو، ويشتري، ويهدي، ثم هو بعد ذلك غير موجود، وغير مطلوب: تلك مهمته، ولا دخل له بما وراء ذلك، وصورته في قلوب أبنائه أنه جهاز ATM لا يزيد، ولا يطلب من شيء أكثر من ذلك..

يقابله آخر شحيح كز، لا تبض يده بقطرة خير، ولا تهب ريحه رخاء وسعة، ولا يجود بيده أو لسانه.

بعضهم صارم عسكري الطابع، يؤاخذ على الهمسة والنظرة، ويعنف في قوله وفعله على السهو واللغو.. يقابله آخر متسيب، ليس عنده موانع ولا محاذير، ولا ضوابط وقيم، ولا حرام ولا عيب، ولا دين ولا آخرة، وكل شيء عنده (مش مهم) ولا ممنوع.

بعضهم ديِّن متشدد صارم، يضع النافلة موضع الفريضة، والظن قبل الحقيقة، ويريد الابن أن يكون صدِّيقًا – وهو ليس نبيًّا ليكون ابنه صديقًا – وآخر فاسد مفسد ضائع مضيع، لا يبالي أن يكون ولده شيطانًا، أو مرابيًا، أو لصًّا، أو ما شئت من الخلل!

بعضهم عنيف سبّاب ضرّاب، نعّاق زعاق.. وبعضهم رخو بليد، لو مادت تحت رجليه الأرض لم ينتبه، ولم يبال!

بعضهم منظم دقيق إلى حد الوسوسة والإغراق، وآخر فوضوي بلا نظام، ولا انضباط، ولا إحساس بأهمية الترتيب والتوسط.

بعضهم مستريب شكاك مراقب متحسس متجسس، وآخر مستهين مفرط لا مبالٍ ولا مفكر في مسؤولية، ولا واجب، ولا محاسبة!

بعضهم متعلم متنور متحضر، وبعضهم أمي مغلق بدوي لا يدري أسفل الوادي من أعلاه، ولا يعرف ما أولوياته ولا موازناته.

بعضهم أب بالصدفة: فقط أحب أن يتزوج، وظن الأمر شهوة أو نزوة، ولا شيء عليه إلا السفاد وقضاء الوقت في الحب والأجواء الرومانسية ليفاجًا بأن الزواج مسؤولية وهم وواجب، فرفض، كيف يقبل وهو غير مستعد لاحتمال مسؤولية وأداء واجب..

وبعضهم فكر وقدر، وشقق وعمّق، واشترط وأفرط، فكان قدر الله عليه امرأة تكبله بالولد، وتعنته إذا تكلم أو سكت، وتلاحظه إذا نام أو صحا، وترسم حوله دائرة لا يستطيع تجاوزها، أو يفكر في ذلك مجرد تفكير.

بعضهم مهتم فقط بالمدرسة والنجاح فيها – حتى لو كان الابن معوقًا عقليًّا – وآخر لا يبالي بالابن: أدرس أم نعس، بسل أم فشل!

وبين الطرفين الذميمين دائمًا وسط حميد، يوازن في مشاعره وإنفاقه وعلاقاته وأحواله، هو الأولى بالتوفيق والنجاح في وظيفة الأبوة، مسدد في إقامة صرح شامخ في البنوة! ورحم الله من قال:

عليك بأوساط الأمور.. فإنها	طريقٌ إلى نهج الصواب قويمُ
فسامح ولا تستوف حقك كله	وأبق فلم يستقص قط كريمُ
ولا تغل في شيء من الأمر واقتصد	كلا طرفي قصد الأمور ذميمُ

ج: اختلاف المفاهيم بين الأجيال طبيعة بشرية إيجابية

مقتنع أنا أن هناك ثوابت إنسانية ودينية غير قابلة للتغيير، في العقائد والقيم، وهي قليلة، لكن كثيرًا من الأمور الكائنة (ينبغي) أن تتغير بتغير الأجيال والأحوال، وإلا بقي الناس متخلفين، دون تطوير ولا تحسين في حياتهم، ومالوا إلى الجمود، فالتخلف، فالموت..

وما تقوم الحضارات إلا على رفض الكائن، والسعي لتطويره، وتثويره؛ وصولًا إلى ما هو أبدع وأروع وأمتع!

أعتقد أن هذه حقيقة صادمة يعاني منها الآباء الديناصورات من أمثالي، ويعاني منها أبناء هذه النوعية من الآباء، الذين (قالوا: إنا وجدنا آباءنا على أمة، وإنا على آثارهم مقتدون)! وهو ما يحدث صدامًا بين الأجيال، ينتهي دائمًا بانتصار الجديد، بقوة العقل، أو قوة الأمر الواقع!

في إحدي سفرياتي طلب ابني مني أن أشتري له حذاء معينًا، فسألته: كيف تريد شكله؛ فأنا لا أعرف ذوق جيلكم!؟

فقال في ابتسامة ماكرة: انظر إلى أحلى شكل يعجبك يا أبي.. وهات..... غيره!

اندهشت من رده، لكني استوعبته بسرعة، وضحكت، متجرعًا مرارة الكلمة، وسألت الله حسن الخاتمة، وأن يعيننا على هذا الجيل ابن الإيه!

كثير من الآباء صداميون مع أبنائهم، وأنا أحدهم، بسبب عدم قدرتهم على قراءة معطيات الواقع وتقلباته، وعدم انفرادهم – كما كان الحال أيامنا – بتربية الأبناء؛ لذا يكثر الخلل، ومشاكل التواصل بين الجيلين..

وهذه أقصوصة تعكس ما أريد قوله كتبها قاص باكستاني اسمه منظر إمام، وترجمها حسين أبو سعود، عنوانها: آخر زمن؛ أسوقها – ببعض التصرف – فاقرأ وتأمل:

رفع الشيخ رأسه، وجال بنظره في أطراف الغرفة، وكان أولاده الثلاثة يتحلقون حوله، وعلامات الحزن تبدو على ملامحهم المتقدة، إشفاقًا على إطراقة أبيهم، وكان الشيخ يعلم بان أولاده يحبونه كثيرًا، ولكن كثرة خصامهم وشجارهم كانت مصدرًا لقلقه؛ فالله وحده يعلم ماذا كان يحدث لو لم يكن الأب بينهم!

وكان الرجل قد أحسّ بدنو أجله، ففكر بنصيحة مناسبة يسديها لأولاده؛ لعلهم يتركون الخصام، ويتجهون نحو التفاهم والاتحاد والوئام.

لمعت عيناه بالفرح، بعد أن تذكر قصة ذلك الأب الذي أحضر عددًا من العصي الصلبة، وطلب من أولاده أن يكسروها، ففشلوا جميعًا.

تنفس الشيخ العجوز الصعداء، وأحس بالطمأنينة، وعلا البشر وجهه المليء بالأخاديد والتجاعيد، واستدار نحو ولده الأصغر قائلًا:

– فخري..

– نعم يا أبي.

– اذهب إلى السوق وأحضر عددًا من العصي.

– عصي!

– نعم ، نعم عصي.. أريد حزمة من العصي.

– ولكن من أين آتي بالعصي، الزمن زمن الغاز الطبيعي والنفط؟

– لا أدري، أحضرها من أي مكان.

أذعن فخري لأمر أبيه الصارم، وبحركة رياضية مليئة بالنشاط خرج من المنزل، فاقترب الولد الأكبر من أبيه وسأله بتعجب عن سبب طلبه للعصي..

شعشعت أنوار الحكمة على وجه الأب وقال:

– أريد أن ألقنكم درسًا في الاتحاد، والتآخي، وقيمة ارتباط بعضكم ببعض.

ازدادت حيرة الابن الأكبر ونظر إلى أخيه الآخر دون أن ينبس ببنت شفة!

وبعد مدة وجيزة دلف الابن الأصغر إلى الداخل، ومعه عدد من العصي القوية، والغضب يقطر من عينيه، فسأله الأخ الأكبر:

– ما الحكاية يا فخري؟ هل تشاجرت مع أحد ؟

– كلا، ولكن الحقير باعني العصي بثمن باهظ، و.... و..

لم يدع الشيخ ابنه يكمل حديثه، وطلب منه أن يربط تلك العصي بحبل، فقال فخري:

– أتيت بها مربوطة يا أبي.

– حسنًا حاول الآن أن تكسر هذه الحزمة من العصي.

– ماذا ؟ لقد تعبت في الحصول على هذه العصي يا أبي، والآن تطلب مني أن أكسرها!؟ قالها بتعجب!

فقال الأب بحزم: نعم.. نعم.. أقول لك أرني الآن كيف تكسر هذه الحزمة!

وضع فخري الحزمة في وسط الغرفة، وبعد بحركة بهلوانية صرخ صرخة ارتجت لها أركان الغرفة، وهوى بقبضته على الحزمة، فانكسرت، وتبعثرت قطع العصي هنا وهناك وقال: أمرك يا أبي العزيز؛ لقد كسرتها جميعًا.

وقف الأب مشدوهًا، لا يدري ماذا يصنع، ثم قال بحيرة:

– ما هذا!؟ كيف انكسرت الحزمة؟!

– أجاب فخري بانكسار متصنع: ماذا أقول يا أبي العزيز، لعلك لا تدري بأني حاصل على الحزام الأسود في الكاراتيه منذ ثلاث سنوات...

ثالثًا: من أروع ما قيل في الأب:

ترجمتها عن الإنجليزية

ثانيًا: من أروع ما قيل في الأب:

- نعرف قيمة الملح عندما نفقده، وقيمة الأب عندما يموت! مثل هندي.
- الأب صراف أوجده الخالق ليعطي الأبناء المال. مثل فرنسي
- الأطفال هم ثروة الآباء الفقراء! مثل إنجليزي.
- إذا كان الولد أميًّا فاللوم على أبيه. مثل صيني.
- أب واحد خير من مائة مدير مدرسة. مثل إنجليزي.
- يزأر الأسد ولكنه لا يلتهم صغاره. مثل بلغاري.
- لا يغفو قلب الأب، إلا بعد أن تغفو جميع القلوب. ريشيليو.

- من لا يستطيع أن يقوم بواجب الأبوة، لا يحق له أن يتزوج وينجب أبناء. جان جاك روسو.
- ليس هناك فرح أعظم من فرح الابن بمجد أبيه، ولا أعظم من فرح الأب بنجاح ابنه. سوفوكليس.
- الأب هو الشخص الذي يتوقع أبناؤه أن يكون جيدًا كما رسم له. كارول كوتس.
- ليس أرق على السمع من كلام الأب يمدح ابنه. ميناندر.
- الأب وحده الذي لا يحسد ابنه على موهبته. جوته.
- أب واحد خير من عشرة مربين! جان جاك روسو.
- صورة الأب ترسمها ثروته!
- الأب هو الشخص الذي يجعل الحياة لابنه أحسن مما هي له.
- الأب هو الشخص الذي عليه أن يتحمل ألم المخاض دون تخدير!
- الأب هو الشخص الذي يربي ابنته لتكون امرأة شابة، فإذا صارت حاول ردها عن ذلك. إنيد بانولد.
- الأب هو الشخص الذي يمسك يدك في الزحام، ويتأكد من أنك تفعل ما قالته أمك، ويمسح شعرك حينما تمرض، ويمشط هذا الشعر عندما يتشعث حينما تنشغل أمك، ويسمح لك بأكل الآيس كريم على الإفطار حين تكون أمك بعيدة، ويسمح لك بالمشي بعيدًا عن الطريق، ويخبرك أنك ستفعل ذلك ثانية فيما بعد.
- يبدأ الأب في الإحساس بالسن حيما يبدأ إحساسه بأنه يشبه أباه. جابريل ماركيز.
- يكون الرجل أطول ما يكون حينما ينحني لمساعدة طفل.
- الأبناء والحديقة يعكسون جهد الرجل في عزق الأرض والعناية بها أثناء الموسم!
- ليست رغبة الأب في الإنجاب شيئًا كبيرًا؛ بل رغبته في أن يستنسخ نفسه ليظل العالم مستمتعًا به أنموذجًا عظيمًا! هيلين رولاند.

- يعرف الأب معنى حديث الأبوة حين يزاحمه الحمام ابنه حينما يكون هو فيه، متظاهرًا بإحساسه بالوحدة..
- المشاعر التي لا يمكن أن يعبر عنها أبي في كلمات يمكن أن يشعر طفله أو حصانه أو كلبه برقتها! فريًا ستارك.
- المكان الوحيد الذي يمكن أن يحس فيه الأب بالخصوصية في الحمام، حينما يحلق ذقنه في محطة البنزين. الكوميديان بل كوسبي.
- الصديق العابر لا يعرف اسم والديك... أما الصديق الحق فيحمل أرقام هاتفيهما في قائمة عناوين هاتفه!
- الرجل الغني الحق هو الذي يجري أبناؤه نحوه حينما يكون كفاه خاليين!
- الابن الحكيم يصنع أبًا سعيدًا!
- الأب الغضوب هو أقسى ما يكون على نفسه! ببليليوس سايرس.
- أي أحمق يمكن أن ينجب؛ لكن الرجل الحقيقي هو من يمكن أن يكون أبًا! السير فيليب وايتمور.
- ألا يمكن أن يكون مثل كتاب واحد من مجلدين!؟ مارسيلين فالمور.
- كن بأبيك رحيمًا؛ ففي صغرك أحبك من قلبه، وطرب لأول كلمة لفظها لسانك، وطرب لها طربًا نقيًا وعظيما! مارجريت كورتني.
- خير لك أن يلفظك الرجال من أن يبغضك الأطفال! رتشارد هنري دانا.
- حقًا: مبارك ذلك الرجل الذي يسمع كثيرًا من الأصوات الرقيقة تناديه: أبي! ليديا م. تشايلد.
- مع الزمن يتأكد الرجل أن أباه ربما كان محقًا، لأن عنده صبيًا يعتقد أنه مخطئ! تشارلز وودوورث.
- يتعلم الأطفال الابتسام من آبائهم. شينيشي سوزوكي.

- اجن ما عندك من محصول، استفد مما عندك من تميز، أحسن تقدير أفراد عائلتك على ما هم عليه، حتى لو كانوا بعيدين عما ريد لهم من الخير؛ فإن الأرانب لا تطير، والنسور لا تسبح، وستكون البطات مثيرة للضحك لو حاولت تسلق شيء ما، والسناجب بلا ريش، فتوقف عن المقارنة فإن الغابة تسع الجميع. تشاك سويندول!
- لا تنجب طفلًا إذا عجزت أن تكون أبًا. شعار اللجنة السكانية الوطنية.
- لم يخبرني أبي كيف أعيش؛ لقد عاش وتركني أراقبه وهو يعيش. كلارنس بدنجتون كلاّند.
- كان يهدر هديرًا حين يكون مسرورًا، وكان يضحك عاليًا حين يكون خائفًا حتى الموت!
- مدين أنا بحياتي لأبي، ومدين أنا بحياتي الطيبة لمعلمي. الإسكندر الأكبر.
- لا أستطيع التفكير في حاجة من حاجات الطفولة أهم من الحاجة لحماية الأب... سيجموند فرويد.
- أنا مدينة بكل شيء في حياتي تقريبًا لأبي، إنها علاقة عاطفية بيني وبين تلك الأشياء الصغيرة التي تعلمتها في مدينة صغيرة، في منزل شديد التواضع، والتي جعلتني أفوز في الانتخابات.. مارجريت تاتشر.
- أنا أتكلم وأتكلم وأتكلم، ولم أعلم – خلال خمسين عامًا – ما علمنيه أبي بالقدوة خلال أسبوع واحد! ماريو كومو.
- لقد شاهدت رجلًا ضئيل الحجم، خشن اليدين، يعمل خمس عشرة ساعة أو ست عشرة في اليوم، ورأيت الدم يسيل من قدميه فعلا,, كان أميًّا وحيدًا، لا يملك اللغة التي يتواصل بها مع الناس، ومع هذا فقد علمني اليقين والعمل ببلاغة المثال والقدوة.. ماريو كومو.
- لو لم يكن الماضي معلمًا للحاضر، ولو لم يعلم الأب ابنه فلا على التاريخ ألا يواصل مسيرته؛ لأن العالم سيكون قد أهدر فرصة عظيمة. راسل هوبان.

- لا يهمني من كان أبي، بقدر ما يهمني كيف كان تأثيره فيّ. آن ساكستون.
- ولد حكيم حقًّا من يعرف أباه!
- إنه لأب حكيم حقًّا من يعرف ابنه. وليم شكسبير.
- ليس اللحم والدم؛ بل إنه القلب الذي يجعل منا أبًا وابنًا. جوهان شيلر.
- لعله يسوؤك أن تراهم يكبرون، لكن يعجل بقتلك ألا تراهم يفعلون! بربارا كنجسلفر.
- فقط حينما تكبر وتتسلل من وراء ظهره لتقيم بيتك، وتعيش حياتك، ستعرف كم كان أبوك عظيمًا، وتقدر أبوته حق قدرها. وتشعر معنى الاعتزاز الناجم عن الحب. مرجريت ترومان.
- لقد مات أبي من سنين، ولا أزال – إذا حدث لي شيء مهم – أتحدث إليه سرًّا – ولا أظن أنه يسمعني – لكي يريحني أكثر أن أظن ذلك! يوسفيتس.
- لقد أعطاني أبي ما لا يقدر عليه أحد.. لقد آمن بقدراتي. جيم فالفانو.
- اعتاد أبي أن يلاعب أخي ويلاعبني في الحديقة، فكانت أمي تقول محتجة: إنكم تدمرون العشب، وكان أبي يرد دائمًا: نحن لا نربي العشب؛ بل نربي أبناءنا. هارمون كيلبرو.
- بقدر ما هي عجوز، فإنها لا تزال تفتقد أباها! جلوريا نايلور.
- ذات ليلة سمع الأب ابنه يدعو : اللهم اجعلني مثل أبي، وفي جوف تلك الليلة دعا الأب: اللهم اجعلني ذلك الرجل الذي يريده ابني!
- يستطيع الأبوان أن يقولا ما شاءا، لكنهما لن يعلما الأبناء أبدًا؛ ما لم يفعلا ما يقولان!
- الأب مسكين داخل الأسرة، إنه عائل الجميع، وعدو الجميع! ج. أوجست استرندبيرج.
- الأبوان اللذان لا يعلّمان ابنهم ما عليه فعله، مساويان في الإثم للابن الذي يهملهما. كونفوشيوس.
- اسم الأب هو اسم ثانٍ مرادف للحب. فاني فيرن.

- **حين نكون صغارًا نرى آباءنا حمقى، فإذا كبرنا وصرنا أعقل وجدنا أبناءنا يروننا كذلك! ألكساندر بوب.**
- **الآباء أحوج إلى القدوة منهم للنقد. جوزيف جوبرت.**

الفصل الثالث:

الصورة القرآنية والنبوية للأب:

1 – من صفات الأب وطبيعته 2 – حرمة الأب 3 – من حقوق الأب.

4 – من المحاذير في معاملة الأب 5 – واجبات الأب 6 – من بر الأب.

8 – من خطايا الآباء

الصورة القرآنية والنبوية للأب:

أولًا:

من صفات الأب وطبيعته:

- **الأب حساس نحو أبنائه، يرتبط نفسيًّا وعاطفيًّا؛ لدرجة الإحساس بهم عن بعد:**

قال تعالى حكاية عن سيدنا يعقوب عليه السلام: (وَلَمَّا فَصَلَتِ الْعِيرُ قَالَ أَبُوهُم: إِنِّي لأَجِدُ رِيحَ يُوسُفَ لولا أن تُفنِّدون).

- **صلاح الأب ينعكس بركة على الأبناء:**

قال تعالى ممتنًّا على سيدنا يوسف عليه السلام: (وكذلك يجتبيك ربُّك، ويعلمُك من تأويلِ الأحاديثِ، ويُتِمُّ نعمتَه عليك وعلى آلِ يعقوبَ؛ كَمَا أَتَمَّهَا عَلَى أَبَوَيْكَ مِن قَبْلُ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَقَ).

وأرسل ربنا تبارك وتعالى نبيين صالحين لرعاية مصالح غلامين يتيمين: (كان أبوهما صالحًا؛ فأراد ربُّك أن يبلغا أشُدَّهما، ويستخرجا كنزَهما، رحمةً من ربك)!

وأرسل ربنا تبارك وتعالى نبيين صالحين لحماية أبوين مؤمنين من تمرد وتفرعن ابنٍ لهما ملحد، قال تعالى في قصة موسى والخضر في سورة الكهف: (وَأَمَّا الْغُلامُ فَكَانَ أَبَوَاهُ مُؤْمِنَيْنِ، فَخَشِينَا أن يرهقَهما طغيانًا وكفرًا* فأردنا أن يبدلَهما ربُّهما خيرًا منه زكاةً، وأقربَ رُحْمًا).

- **وفساد الأب يعود شرًّا على الأبناء:**

فبذنب واحد عمله أبونا آدم على السلام – ناسيًا مدلَّسًا عليه – خرج من الجنة، وتبعه في ذلك أبناؤه، قال تعالى: (يَا بَنِي آدَمَ لا يَفْتِنَنَّكُمُ الشَّيْطَانُ كَمَا أَخْرَجَ أَبَوَيْكُمْ مِنَ الْجَنَّةِ).

- **العاصي سيتخلى عن أبيه يوم القيامة:**

يقول الله تبارك وتعالى: يَأَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمْ، وَاخْشَوْا يَوْمًا لَا يَجْزِي وَالِدٌ عَن وَلَدِهِ، وَلَا مَوْلُودٌ هُوَ جَازٍ عَن وَالِدِهِ شَيْئًا؛ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ، فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ الْحَيَاةُ الدنيا، ولا يغرنكم بالله الغَرورُ) ويقول تعالى: (يوم يفر المرء من أخيه* وَأُمِّهِ وَأَبِيهِ).

- لا تدري أين يكون الخير، هل من العناية بأبيك الذي غذاك، أم من أبنائك الذين تغذوهم:

يقول تبارك وتعالى: (آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ لا تَدْرُونَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ لَكُمْ نَفْعًا).

- عند الكفر وقدر الله على العبد بالنار، لم ينفعه أبوه:

يقول تعالى: (يأيها الناسُ اتَّقُوا رَبَّكُمْ، وَاخْشَوْا يَوْمًا لا يَجْزِي وَالِدٌ عَن وَلَدِهِ، ولا مَوْلُودٌ هُوَ جَازٍ عَن وَالِدِهِ شَيْئًا...).

- الأب الصالح ينفع أبناءه في الآخرة ما لم يكونوا كافرين:

يقول تبارك وتعالى: (والذين آمنوا واتبعتهم ذريتهم – بإيمان – ألحقنا بهم ذريتهم، وما ألتناهم من عملهم من شيء).

- الولد الصالح ينفع أباه في الآخرة أيضًا:

يقول تبارك وتعالى: (جَنَّاتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا وَمَنْ صَلَحَ مِنْ آبَائِهِمْ) (ربنا وَأَدْخِلْهُمْ جَنَّاتِ عَدْنٍ الَّتِي وَعَدْتَهُمْ، وَمَنْ صَلَحَ مِنْ آبَائِهِمْ).

وفي الترغيب والترهيب عن أمنا عائشة رضي الله عنها أن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم دخل عليها فقال: (ما من مسلمين يموت لهما ثلاثة من الولد لم يبلغوا الحنث إلا جيء بهم يوم القيامة حتى يوقفوا على باب الجنة، فيقال لهم: ادخلوا الجنة [فيقولون] حتى تدخل آباؤنا، فيقال لهم: ادخلوا الجنة أنتم وآباؤكم).

- من الحقائق أن كل امرئ مسؤول عن عمله:

يقول صلى الله تعالى عليه وسلم فيما رواه ابن عمر رضي الله عنهما، كما في صحيح الجامع: (لا ترجعوا بعدي كفارًا، يضرب بعضكم رقاب بعض، ولا يؤخذ الرجل بجريرة أبيه، ولا بجريرة أخيه).

وفي صحيح ابن ماجه عن عمرو بن الأحوص رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم يقول في حجة الوداع: (ألا لا يجني جان إلا على نفسه، لا يجني والد على ولده، ولا مولود على والده).

- الأب والأم بابان واسعان للجنة:

يقول صلى الله تعالى عليه وسلم، فيما رواه ابن عمر رضي الله عنه كما في مسلم: (رغم أنف، ثم رغم أنف، ثم رغم أنف..) قيل: من؟ يا رسول الله! قال: (من أدرك أبويه عند الكبر – أحدهما أو كليهما – فلم يدخل الجنة).

- دعاء الأب مستجاب:

فعن أبي هريرة رضي الله عنه – كما في سنن أبي داود – (ثلاث دعوات مستجابات لا شك فيهن: دعوة الوالد ودعوة المسافر ودعوة المظلوم).

- مكافأة فضل الأب صعبة:

- ففي مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه مرفوعًا: (لا يجزي ولد والدًا إلا أن يجده مملوكًا، فيشتريه، فيعتقه).

- الأب يربي ابنه كيف شاء؛ فله الغنم وعليه الغرم:

يقول سيدنا رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم: (ما من مولود إلا يولد على الفطرة، فأبواه يهودانه، أو ينصرانه، أو يمجسانه، كما تنتج البهيمة بهيمة جمعاء، هل تحسون فيها من جدعاء؟ ثم يقول أبو هريرة رضي الله عنه: {فطرة الله التي فطر الناس عليها} متفق عليه. وفي التبيان للنووي بسند صحيح: (كان أنس بن مالك – رضي الله عنه – إذا ختم القرآن جمع أهله ودعا).

- اليتيم في العربية من بني آدم من فقد أباه:

اليتم في اللغة هو الانفراد، واليتيم من بني آدم من فقد أباه صغيرًا، ولم يبلغ الحلم ذكرًا كان أم أنثى. وفي صحيح الجامع وغيره، عن سيدنا علي رضي الله عنه، مرفوعًا: (لا يتم بعد الاحتلام، ولا صمات يوم إلى الليل).

ثانيًا: حرمة الأب:

جعل الله تبارك وتعالى هامشًا واضحًا من الإحشام والإكرام الواجبين على أبنائه، لا يجوز تجاوزه، ولا الافتئات عليه. ومن ذلك:

- إرضاؤه التزام شرعي وأخلاقي:

ففي الترغيب والترغيب وصحيح الأدب المفرد، وصحيح الجامع، عن سيدنا عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما: (رضا الله في رضا الوالد وسخط الله في سخط الوالد).

- من الكبائر عقوق الوالد:

وفي البخاري عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنه مرفوعًا: (جاء أعرابي إلى النبي صلى الله تعالى عليه وسلم فقال: يا رسول الله، ما الكبائر؟ قال: (الإشراك بالله)، قال: ثم ماذا؟ قال: (ثم عقوق الوالدين)، قال: ثم ماذا؟ قال: (اليمين الغموس)، قلت: وما اليمين الغموس؟ قال: (الذي يقتطع مال امرئ مسلم، هو فيها كاذب)،

- للأب حرمة خاصة، توجب احترام خصوصياته، وصيانة عرضه:

يقول الله تبارك وتعالى: (وَلا تَنكِحُوا مَا نَكَحَ آبَاؤُكُمْ مِنَ النِّسَاءِ؛ إِلا مَا قَدْ سَلَفَ؛ إنه كان فاحشةً، ومَقْتًا، وساء سبيلا).

- وهو بالنسبة لنساء أبنائه محرم مؤبد:

يقول الله تبارك وتعالى: (وَلا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلا لِبُعُولَتِهِنَّ، أَوْ آبَائِهِنَّ، أَوْ آبَاءِ بُعُولَتِهِنَّ....).

- ومن حرمته تحريم بناته وأخواته على أولاده:

ففي البخاري رحمه الله، عن سيدي جابر بن عبد الله رضي الله عنه: (نهى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم أن تنكح المرأة على عمتها أو خالتها). قال ابن الملقن في شرح البخاري: (إنكم إذا فعلتم ذلك قطعتم أرحامكم [يعني الجمع بين المرأة وعمتها...].

وفي أبي داود عن ابن عباس رضي الله عنهما مرفوعًا: (كره أن يجمع بين العمة والخالة وبين الخالتين والعمتين). والكراهية هنا هي التحريم.

- **لا يضار الأب بسبب ابنه:**

(لا تضار والدة بولده، ولا مولود له بولده) البقرة:233/ وفي صحيح الجامع وغيره مرفوعًا، عن سيدي عمر رضي الله عنه، بسند صحيح: (لا يقاد الوالد بالولد).

- **لا يُقتل الابن بأبيه:**

- فقد روى الألباني في صحيح الجامع عن عمر رضي الله عنه: (لا يقاد الوالد بالولد).

وعنه رضي الله عنه في (الإلمام بحديث الأحكام) لابن دقيق العيد، قال لأحدهم:

لولا أني سمعت رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم يقول: (لا يقاد الأب من ابنه) لقتلتك، هلم هات ديته، فأتاه بها فدفعها إلى ورثته، وترك أباه.

ثالثًا: من حقوق الأب:

- **الأب ذو حق كبير بعد الله تعالى ورسوله صلى الله تعالى عليه وسلم:**

أخرج مسلم رحمه الله تعالى، عن سيدي أنس بن مالك رضي الله عنه مرفوعًا: (لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه من ولده ووالده والناس أجمعين).

- **الأب يرث ويورث:**

يقول تبارك وتعالى: (لِلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَالأَقْرَبُونَ، وَلِلنِّسَاءِ نَصِيبٌ مِمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَالأَقْرَبُونَ؛ مما قل منه أو كثُر؛ نصيبًا مفروضًا) ويقول تعالى: (وَلأَبَوَيْهِ لِكُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا السُّدُسُ مِمَّا تَرَكَ إِنْ كَانَ لَهُ وَلَدٌ.....).

- **الابن ينفق على أبيه:**

قال الله تعالى: (قُلْ مَا أَنفَقْتُمْ مِن خَيْرٍ:فَلِلْوَالِدَيْنِ، وَالأَقْرَبِينَ، وَالْيَتَامَى....).

وفي مسند أحمد بإسناد صحيح، أن رجلًا أتى النبي صلى الله تعالى عليه وسلم يخاصم أباه فقال: يا رسول الله: إن هذا قد احتاج إلى مالي، فقال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم: (أنت ومالك لأبيك).

وفي أبي داود ومسند أحمد بإسناد صحيح سيدي عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما أن أعرابيًّا أتى النبي صلى الله تعالى عليه وسلم فقال: إن لي مالًا وولدًا، وإن والدي يريد أن يجتاح مالي، قال: (أنت ومالك لوالدك، إن أولادكم من أطيب كسبكم؛ فكلوا من كسب أولادكم).

وفي الصحيحة عن أمنا عائشة رضي الله عنها مرفوعًا: (إن أولادكم هبة الله لكم، يهب لمن يشاء إناثًا، ويهب لمن يشاء الذكور، فهم وأموالهم لكم إذا احتجتم إليها).

- **الأب يسمي أبناءه:**

يقول تبارك وتعالى (مِلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَاهِيمَ؛ هُوَ سَمَّاكُمُ الْمُسْلِمِينَ مِنْ قَبْلُ.....).

وقد سمى النبي صلى الله عليه وسلم ابنه باسم أبيه إبراهيم، فقال صلى الله عليه وسلم: "ولد لي الليلة غلام فسميته باسم أبي إبراهيم صلى الله عليه وسلم" رواه مسلم.

وفي تحفة المحتاج عن أمي عائشة رضي الله تعالى عنها، بسند صحيح أو حسن: (عق رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الحسن والحسين، يوم السابع، وسماهما، وأمر أن يماط عن رؤوسهما الأذى).

وفي البخاري عن أنس رضي الله تعالى عنه: كان ابن لأبي طلحة يشتكي ، فخرج أبو طلحة، فقبض الصبي، فلما رجع أبو طلحة قال: ما فعل ابني، قالت أم سليم: هو أسكن ما كان، فقربت إليه العشاء فتعشى، ثم أصاب منها، فلما فرغ قالت: وار الصبي. فلما أصبح أبو طلحة أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخبره، فقال: (أعرستم الليلة). قال: نعم، قال صلى الله عليه وسلم: (اللهم بارك لهما). فولدت غلامًا. قال لي أبو طلحة: احفظه حتى تأتي به النبي صلى الله عليه وسلم، فأتى به النبي صلى الله عليه وسلم وأرسلت معه بتمرات، فأخذه النبي صلى الله عليه وسلم فقال: (أمعه شيء؟) . قالوا: نعم، تمرات ، فأخذها النبي صلى الله عليه وسلم فمضغها، ثم أخذ من فيه، فجعلها في في الصبي وحنكه به، وسماه عبد الله.

قال الشيخ بكر أبو زيد رحمه الله في: (تسمية المولود): كما أنه ثبت عن جماعة من الصحابة رضي الله عنهم أنهم كانوا يعرضون مواليدهم على النبي صلى الله عليه وسلم فيسميهم، وهذا يدل على أن على الأب عرض المشورة في التسمية على عالم بالسنة أو من أهل السنة يثق بدينه وعلمه، ليدله على الاسم الحسن بمولوده.

- **الأب يربي أبناءه على دينه:**

ففي البخاري عن أبي هريرة رضي الله عنه مرفوعًا: يصلى على كل مولود متوفىً – وإن كان لغية – من أجل أنه ولد على فطرة الإسلام، يدعي أبواه الإسلام، أو أبوه خاصة، وإن كانت أمه على غير الإسلام، إذا استهل صارخًا صلي عليه، ولا يصلى على من لا يستهل، من أجل أنه سقط، فإن أبا هريرة رضي الله عنه كان يحدث: قال النبي صلى الله تعالى عليه وسلم: ما من مولود إلا يولد على الفطرة، فأبواه يهودانه أو ينصرانه أو

يمجسانه، كما تنتج البهيمة بهيمة جمعاء، هل تحسون فيها من جدعاء، ثم يقول أبو هريرة رضي الله عنه: {فطرة الله التي فطر الناس عليها} الآية، البخاري.

- الإحسان إلى الوالدين فريضة:

يقول الله تعالى: (وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ: لا تَعْبُدُونَ إِلا اللَّهَ، وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا).

ويقول الله تعالى: (وَاعْبُدُوا اللَّهَ وَلا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا)..

ويقول الله تعالى: (قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ: أَلا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا، وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا)..

ويقول الله تعالى: (وَقَضَى رَبُّكَ أَلا تَعْبُدُوا إِلا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا)..

ويقول الله تعالى: (وَبَرًّا بِوَالِدَيْهِ وَلَمْ يَكُنْ جَبَّارًا عَصِيًّا) والنصوص في هذا المعنى كثيرة لا تحصر.

- الأب يزوِّج ابنته، ولا تزوج نفسها دون موافقته:

يقول صلى الله تعالى عليه وسلم، فيما رواه الترمذي وغيره عن أمنا عائشة رضي الله عنها، مرفوعًا: (أيما امرأة نكحت بغير إذن وليها، فنكاحها باطل، فنكاحها باطل، فنكاحها باطل، فإن دخل بها فلها المهر؛ بما استحل من فرجها، فإن اشتجروا فالسلطان ولي من لا ولي له).

ويقول صلى الله تعالى عليه وسلم فيما رواه سيدنا عبد الله بن عباس رضي الله عنهما، وأخرجه الألباني في صحيح أبي داود وغيره: (الثيب أحق بنفسها من وليها، والبكر يستأمرها أبوها)..

وفي صحيح الجامع عن أمنا عائشة رضي الله عنها وغيرها مرفوعًا: (لا نكاح إلا بولي، وشاهدي عدل).

وفي عمدة التفسير لأحمد شاكر وغيره، عن سيدي أبي هريرة رضي الله تعالى عنه: (لا تزوج المرأة المرأة، ولا تزوج المرأة نفسها، فإن الزانية هي التي تزوج نفسها).

وفي إرواء الغليل عن ابن سيرين رحمه الله قال: (قال أبو هريرة كنا نعد التي تنكح نفسها هي الزانية).

- الأب يطاع:

يقول الله تعالى حكاية عن نبي الله إسماعيل: (قالَ: يَا أَبَتِ: افْعَلْ مَا تُؤْمَرُ، سَتَجِدُنِي إِن شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّابِرِينَ).

ويقول تعالى عن إخوة يوسف عليه السلام: (وَلَمَّا دَخَلُوا مِنْ حَيْثُ أَمَرَهُمْ أَبُوهُمْ مَا كَانَ يُغْنِي عَنْهُم من الله من شيء).

وفي عمدة التفسير بسند صححه الشيخ شاكر رحمه الله أن غلامًا يهوديًّا كان يضع للنبي صلى الله تعالى عليه وسلم وضوءه، ويناوله نعليه، فمرض، فأتاه النبي صلى الله تعالى عليه وسلم، فدخل عليه، وأبوه قاعد عند رأسه، فقال له النبي صلى الله تعالى عليه وسلم: يا فلان، قل: لا إله إلا الله فنظر إلى أبيه، فسكت أبوه.

فأعاد عليه النبي صلى الله تعالى عليه وسلم، فنظر إلى أبيه، فقال أبوه: أطع أبا القاسم، فقال الغلام: أشهد أن لا إله إلا الله، وأنك رسول الله، فخرج النبي صلى الله تعالى عليه وسلم وهو يقول: الحمد لله الذي أخرجه من النار).

- لا طاعة للأب أو غيره في الكفر والعصيان:

يقول الله تبارك وتعالى: (يأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَتَّخِذُوا آبَاءَكُمْ وَإِخْوَانَكُمْ أَوْلِيَاءَ، إن استحبوا الكفر على الإيمان.....).

ويقول الله تبارك وتعالى: (وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لأَبِيهِ وَقَوْمِهِ إِنَّنِي بَرَاءٌ مِمَّا تَعْبُدُونَ).

ويقول الله تبارك وتعالى: (لا تجد قومًا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ؛ وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ....).

ويقول الله تبارك وتعالى: (يأيها الذين آمنوا لا تتخذوا عدوي وعدوكم أولياء، تلقون إليهم بالمودة وقد كفروا بما جاءكم من الحق.....).

- **الأب يداوَى:**

فكما يتكفل الأب بالنفقة على ابنه، والعناية بأمره، ويحرم عليه تضييعه، فإن على الابن أن يتكفل بنفقات أبيه وعلاجه إذا كان الأب عاجزًا عن أدائها بنفسه. وترك الأب للمرض – مع القدرة – عقوق، وذنب عظيم. وقد يدل على ذلك قول الله تبارك وتعالى، حكاية عن يوسف عليه السلام: (اذْهَبُوا بِقَمِيصِي هَذَا فَأَلْقُوهُ عَلَى وَجْهِ أَبِي يأت بصيرًا....).

فإن كان للأب آباء كثيرون وجب عليهم جميعًا ببوصفهم لا بأعيانهم، علاج أبيهم، تقسم القيمة عليهم، حتى يستوفى العلاج. ومن تطوع منهم فهو خير.

ومما ورد في ذلك أن رجلا كان رجل له أربعة بنين، أحدهم بارٌّ به محب، فمرض الأب، فقال هذا البار: إما أن تمرضوه وليس لكم من ميراثه شيء، وإما أن أمرضه وليس لي من ميراثه شيء.

قالوا: بل تمرضه وليس لك من ميراثه شيء. فمرضه حتى مات ولم يأخذ من ميراثه شيئًا.

قال: فأتي في النوم فقيل له: ائت مكان كذا وكذا فخذ منه مائة دينار. فقال: أفيها بركة؟ قالوا: لا. فلما أصبح ذكر لك لامرأته فقالت: خذها فإن من بركتها أن نكتسي منها ونعيش بها، فأبى أن يأخذها.

فلما أمسى أتي في النوم فقيل له: ائت مكان كذا وكذا فخذ منه عشرة دنانير. فقال: أفيها بركة؟ قالوا: لا.

فلما أصبح ذكر لك لامرأته فقالت له مثل ذلك، فأبى أن يأخذها.

فأتي في الليلة الثالثة فقيل له: ائت مكان كذا وكذا وخذ منه دينارًا. فقال: أفيه بركة؟ قالوا: نعم. قال: فذهب فأخذ الدينار، ثم خرج به إلى السوق، فإذا هو برجل يحمل حوتين. فقال: بكم هما؟ قال: بدينار.

فأخذهما منه وانطلق بهما إلى بيته، فلما شقهما وجد في بطن كل واحد منهما درة لم ير الناس مثلها، فبعث الملك يطلب درة يشتريها، فلم توجد إلا عنده، فباعها بثلاثين وقرًا ذهبًا.

فلما رآها الملك قال: ما تصلح هذه إلا بأخت فاطلبوا أختها ولو أضعفتم الثمن. فجاؤوه وقالوا: أعندك أختها ونعطيك ضعف ما أعطيناك؟ قال: نعم. فأعطاهم الثانية بضعف ما باع به الأولى!

- **الأب يُنصح:**

يقول الله تبارك وتعالى، حكاية عن إبراهيم عليه السلام: (إِذْ قَالَ لأَبِيهِ: يَا أَبَتِ: لِمَ تَعْبُدُ مَا لا يَسْمَعُ وَلا يُبْصِرُ)؟

ويقول الله تبارك وتعالى: (وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لأَبِيهِ آزَرَ أَتَتَّخِذُ أَصْنَامًا آلِهَةً؟ إني أراك وقومك في ضلال مبين).

- **الأب يعان:**

يقول الله تبارك وتعالى، حكاية عن إبراهيم وإسماعيل عليهما السلام: (وإذ يرفع إبراهيم القواعدَ من البيتِ وإسماعيلُ، ربنا تقبل منا....)

ويقول الله تبارك وتعالى، حكاية عن ابنتي شعيب عليهما السلام: (قالَتَا لا نَسْقِي حَتَّى يُصْدِرَ الرِّعَاءُ، وَأَبُونَا شَيْخٌ كَبِيرٌ).

وفي مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه مرفوعًا: (رغم أنف، ثم رغم أنف، ثم رغم أنف.. قيل: من يا رسول الله!؟ قال: من أدرك أبويه عند الكبر، أحدهما أو كليهما، فلم يدخل الجنة).

- الأب يؤدِّب:

في البخاري، عن سيدي ابن عمر، رضي الله عنهما مرفوعًا: (كلكم راع وكلكم مسؤول، فالإمام راع وهو مسؤول، والرجل راع على أهله وهو مسؤول، والمرأة راعية على بيت زوجها وهي مسؤولة، والعبد راع على مال سيده وهو مسؤول، ألا فكلكم راع وكلكم مسؤول).

وفي الترغيب والترهيب، عن سيدي ابن عباس رضي الله عنهما، بسند صحيح أو حسن، مرفوعًا: (أكرموا أولادكم وأحسنوا أدبهم).

وفي إرواء الغليل، ومجموع النووي وغيرها عن سيدي سبرة بن معبد الجهني رضي الله عنه مرفوعًا: (علموا الصبي الصلاة لسبع سنين، واضربوه عليها ابن عشر، وفرقوا بينهم في المضاجع).

وفي السلسلة الصحيحة عن سيدي النعمان بن بشير رضي الله تعالى عنه قال: جاء أبو بكر يستأذن على النبي صلى الله تعالى عليه وسلم، فسمع عائشة وهي رافعة صوتها على رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم، فأُذن له فدخل، فقال يا بنة أم رومان – وتناولها –: أترفعين صوتك على رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم؟

فحال النبي بينه وبينها، فلما خرج أبو بكر جعل النبي صلى الله تعالى عليه وسلم يقول لها – يترضاها –: ألا ترين أني قد حلت بين الرجل وبينك؟ ثم جاء أبو بكر فاستأذن عليه، فوجده يضاحكها، فأذن له فدخل، فقال له أبو بكر: يا رسول الله: أشركاني في سلمكما،كما أشركتماني في حربكما!

وفي مسلم عن سيدي جابر بن عبد الله رضي الله عنهما: دخل أبو بكر يستأذن على رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم. فوجد الناس جلوسًا ببابه. لم يؤذن لأحد منهم.

قال: فأذن لأبي بكر، فدخل. ثم أقبل عمر فاستأذن، فأذن له، فوجد النبي صلى الله تعالى عليه وسلم جالسًا – حوله نساؤه – واجمًا ساكتًا، فقال: لأقولن شيئًا أضحك النبي صلى الله تعالى عليه وسلم. فقال: يا رسول الله! لو رأيت بنت خارجة! سألتني النفقة فقمت إليها فوجأت عنقها!

فضحك رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم، وقال: "هن حولي – كما ترى – يسألنني النفقة. فقام أبو بكر إلى عائشة يجأ عنقها!

فقام عمر إلى حفصة يجأ عنقها! كلاهما يقول: تسألن رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ما ليس عنده!؟

- **الأب يستشار ويستنصح:**

في البخاري عن أنس رضي الله تعالى عنه، قال: كان غلام يهودي يخدم النبي صلى الله عليه وسلم فمرض، فأتاه النبي صلى الله عليه وسلم يعوده، فقعد عند رأسه، فقال له: أسلم . فنظر إلى أبيه وهو عنده، فقال له: أطع أبا القاسم صلى الله عليه وسلم، فأسلم، فخرج النبي صلى الله عليه وسلم وهو يقول: (الحمد لله الذي أنقذه من النار).

وفي مسلم عن سيدي جابر بن عبد الله رضي الله عنهما: (اعتزل رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم نساءه شهرًا أو تسعًا وعشرين، ثم نزلت عليه هذه الآية: {يأيها النبي: قل لأزواجك..... } حتى بلغ: {للمحسنات منكن أجرًا عظيمًا}. قال: فبدأ بعائشة. فقال: (يا عائشة! إني أريد أن أعرض عليك أمرًا أحب ألا تعجلي فيه حتى تستشيري أبويك). قالت: وما هو؟ يا رسول الله! فتلا عليها الآية. قالت: أفيك يا رسول الله أستشير أبوي؟ بل أختار الله ورسوله والدار الآخرة!

وفي شرح ثلاثيات مسند أحمد، والصحيح المسند للوادعي عن سعد بن طارق الأشجعي رضي الله عنه: (يا أبت: إنك قد صليت خلف رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم، وأبي بكر وعمر وعثمان وعلي، هنا بالكوفة قريبًا من خمس سنين؛ أكانوا يقنتون؟ قال: أي بني محدث) .

وفي ذلك يروون أن شُريحٌ القاضي الذي كان قاضيًا على عهد عمر بن الخطاب رضي الله عنه، سأله ابنه يومًا: يا أبت، إنّ بيني وبين قومٍ خُصومةً، فانظر فيها، فإن كان الحقّ لي قاضيْتهم، وإن كان لهم صالحتهم، فقال شُرَيح: انْطلق، وقاضهم، فمضى إلى خُصومه، يدعوهم للمقاضاة، فلما مثلوا بين يدي شُرَيح، قضى لهم على ولده! خلاف ما قال لابنه فقال الولد لأبيه: فضَحْتني يا أبت! فقال شُرَيح: يا بنيّ، والله لأنت أحبّ إليّ من ملء الأرض من أمثالهم، ولكنّ الله أعزّ عليّ منك، لقد خشيتُ أن أُخبرك بأنّ الحقّ لهم فتُصالحهم صلحًا يفوّت عليهم بعض حقّهم، فقلتُ لك ما قلتُ!

- دين الأب يُسد؛ سواء كان لله تعالى أم لعباده:

في البخاري عن سيدي جابر بن عبد الله رضي الله تعالى عنهما أن أباه قتل يوم أحد شهيدًا، قال: فاشتد الغرماء في حقوقهم، فأتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم فكلمته، فسألهم أن يقبلوا ثمر حائطي، ويحللوا أبي، فأبوا، فلم يعطهم رسول الله صلى الله عليه وسلم حائطي، ولم يكسره لهم، ولكن قال: (سأغدو عليك). فغدا علينا حين أصبح، فطاف في النخل ودعا في ثمره بالبركة، فجددتها، فقضيتهم حقوقهم، وبقي لنا من ثمرها بقية، ثم جئت رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو جالس فأخبرته بذلك، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لعمر: (اسمع – وهو جالس – يا عمر) فقال: ألا يكون؟ قد علمنا أنك رسول الله، والله إنك لرسول الله.

روى مسلم عن سيدي أبي هريرة رضي الله تعالى عنه أن رجلًا قال للنبي صلى الله عليه وسلم: إن أبي مات وترك مالا ولم يوص، فهل يكفر عنه أن أتصدق عنه؟ قال (نعم).

وروى البيهقي بسند صحيح، عن سيدي عبد الله بن الزبير رضي الله عنهما، قال: جاء رجل من خثعم إلى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم، فقال: إن أبي أدركه الإسلام وهو شيخ كبير، لا يستطيع ركوب الرحل، والحج مكتوب عليه، أفأحج عنه؟ قال: (أنت أكبر ولده)؟ قال: نعم، قال: (أرأيت لو كان على أبيك دين فقضيته عنه، أكان ذلك يجزئ عنه)؟ قال: نعم، قال: (فاحجج عنه).

وفي الصحيحة عن سيدي ابن عباس رضي الله تعالى عنهما أن رجلا أتى النبي صلى الله عليه وسلم، فقال: إن أبي مات ولم يحج، أفأحج عنه؟ قال: (أرأيت لو كان على أبيك دين، أكنت قاضيه؟) قال: نعم، قال: (حج عن أبيك).

وأخرج الإمام أحمد عن عَمْرُو بْنُ شُعَيْبٍ عَنْ أَبِيهِ عَنْ جَدِّهِ: (.....أَمَّا أَبُوكَ فَلَوْ كَانَ أَقَرَّ بِالتَّوْحِيدِ فَصُمْتَ وَتَصَدَّقْتَ عَنْهُ نَفَعَهُ ذَلِكَ).

- **خدمة الأب نوع من الجهاد في سبيل الله تعالى:**

قال الإمام ابن حزم في المحلى بالآثار: وإن كان الأب والأم محتاجين إلى خدمة الابن أو الابنة – الناكح أو غير الناكح – لم يجز للابن ولا للابنة الرحيل، ولا تضييع الأبوين أصلًا، وحقهما أوجب من حق الزوج والزوجة – فإن لم يكن بالأب والأم ضرورة إلى ذلك فللزوج إرحال امرأته حيث شاء؛ مما لا ضرر عليهما فيه.

برهان ذلك: قول الله عز وجل: (أن اشكر لي ولوالديك) فقرن تعالى الشكر لهما بالشكر له عز وجل. وقوله تعالى: (وإن جاهداك على أن تشرك بي ما ليس لك به علم فلا تطعهما، وصاحبهما في الدنيا معروفًا) فافترض الله عز وجل أن يصحب الأبوين بالمعروف – وإن كانا كافرين يدعوانه إلى الكفر – ومن ضيعهما فلم يصحبهما في الدنيا معروفًا. وقوله تعالى: (وبالوالدين إحسانًا؛ إما يبلغن عندك الكبر أحدهما أو كلاهما فلا تقل لهما أف ولا تنهرهما وقل لهما قولاً كريمًا* واخفض لهما جناح الذل من الرحمة).

في البخاري عن سيدي عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما، قال: جاء رجل إلى النبي صلى الله تعالى عليه وسلم فاستأذنه في الجهاد، فقال: (أحي والداك) قال: نعم، قال: (ففيهما فجاهد).

وعنه رضي الله عنه، كما في مسلم، قال: أقبل رجل إلى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فقال: أبايعك على الهجرة والجهاد، أبتغي الأجر من الله تعالى، فقال صلى الله تعالى عليه وسلم: (فهل من والديك أحد حي)؟ قال: نعم، بل كلاهما حي، فقال صلى

الله تعالى عليه وسلم: (أفتبتغي الأجر من الله)؟ قال: نعم، قال: (فارجع إلى والديك فأحسن صحبتهما).

- وبر الأب باب إلى الجنة واسع:

ففي الصحيحين – واللفظ لمسلم – عن سيدي عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال: بينما ثلاثة نفر يتمشون أخذهم المطر، فأووا إلى غار في جبل، فانحطت على فم غارهم صخرة من الجبل، فانطبقت عليهم، فقال بعضهم لبعض: انظروا أعمالًا عملتموها صالحة لله، فادعوا الله تعالى بها، لعل الله يفرجها عنكم..

فقال أحدهم: اللهم! إنه كان لي والدان شيخان كبيران، وامرأتي، ولي صبية صغار أرعى عليهم، فإذا أرحت عليهم، حلبت فبدأت بوالدي فسقيتهما قبل بَني، وأنه نأى بي ذات يوم الشجر، فلم آت حتى أمسيت، فوجدتهما قد ناما، فحلبت كما كنت أحلب، فجئت بالحلاب، فقمت عند رؤوسهما – أكره أن أوقظهما من نومهما، وأكره أن أسقي الصبية قبلهما – والصبية يتضاغون عند قدمي، فلم يزل ذلك دأبي ودأبهم حتى طلع الفجر، فإن كنت تعلم أني فعلت ذلك ابتغاء وجهك، فافرج لنا منه فرجة، نرى منها السماء، ففرج الله منه فرجة، فرأوا منها السماء..... الحديث.

وفي صحيح الأدب المفرد، والترغيب والترهيب، عن عبد الله بن عمر رضي الله تعالى عنهم قال: (قال رضا الرب في رضا الوالد وسخط الرب في سخط الوالد).

- الدعاء الصالح له قربة وفائدة:

ففي مسلم وغيره عن سيدي أبي هريرة رضي الله عنه، مرفوعًا: (إذا مات الإنسان انقطع عنه عمله إلا من ثلاثة: إلا من صدقة جارية، أو علم ينتفع به، أو ولد صالح يدعو له).

- لا حرج في الأكل من بيت الأب؛ بل هو مأذون فيه شرعًا:

يقول الله تبارك وتعالى: (لَيْسَ عَلَى الأَعْمَى حَرَجٌ، وَلا عَلَى الأَعْرَجِ حَرَجٌ، وَلا عَلَى الْمَرِيضِ حَرَجٌ، وَلا عَلَى أَنفُسِكُمْ؛ أَن تَأْكُلُوا مِن بُيُوتِكُمْ، أَوْ بُيُوتِ آبَائِكُمْ.....) النور:61.

- على الابن أن يرفع خسيسة أبيه، ويعتز بأبوته:

يقول الله تبارك وتعالى: (فَلَمَّا دَخَلُوا عَلَى يُوسُفَ آوَى إِلَيْهِ أَبَوَيْهِ، وقال: ادخلوا مصرَ إن شاء اللهُ آمنين* وَرَفَعَ أَبَوَيْهِ عَلَى الْعَرْشِ.....). يوسف:99–100.

ومن طريف ما يروى في ذلك في كتب الأدب، ما ورد عن بلال ابن جرير قال رجل لوالدي: من أشعر الناس؟ قال جرير له: قم حتى أعرفك الجواب، فأخذه بيده، وجاء به إلى أبيه عطية – وقد أخذ عنزًا له فاعتقلها – وجعل يمص ضرعها، فصاح به: يا أبت؟ فخرج شيخ دميم رث الهيئة، وقد سال لبن العنز على لحيته، فقال أبي للرجل: أترى هذا؟ قال: نعم قال: أفتدري لم كان يشرب من ضرع العنز؟ قال: لا، قال: مخافة أن يسمع صوت الحليب، فيُطلب منه لبن، ثم قال: أشعر الناس من فاخر بمثل هذا الأب ثمانين شاعرًا، وقارعهم به، وغلبهم جميعًا!

رابعًا: من المحاذير في معاملة الأب:

- لا يجوز أن يغالي الأبناء في حب الأب، حتى يتبعوه في خيره وشره، وإيمانه وكفره: كما تبع بعض العميان عوائد آبائهم وأجدادهم:

يقول الله تبارك وتعالى، عن عبدة ميراث الآباء: (بل قالوا إنا وجدنا آباءنا على أمة وإنا على آثارهم مهتدون* وكذلك ما أرسلنا من قبلك في قرية من نذير إلا قال مترفوها: إنا وجدنا آباءنا على أمة، وإنا على آثارهم مقتدون* قال: أولو جئتكم بأهدى مما وجدتم عليه آباءكم؟ قالوا: إنا بما أرسلتم به كافرون) الزخرف/22–24. وآيات كثيرة مشابهة.

- أن يتسبب في الإساءة إليه ولو عن غير قصد:

ففي البخاري عن سيدي عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما مرفوعًا: (إن من أكبر الكبائر أن يلعن الرجل والديه، قيل: يا رسول الله: وكيف يلعن الرجل والديه؟ قال: يسب الرجل أبا الرجل، فيسب أباه، ويسب أمه فيسب أمه).

- أن يسبه مباشرة أو يلعنه:

ففي صحيح مسلم: قلنا لعلي بن أبي طالب رضي الله عنه: أخبرنا بشيء أسره إليك رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم، فقال: ما أسر إلي شيئًا كتمه الناس، ولكني سمعته صلى الله تعالى عليه وسلم يقول: (لعن الله من ذبح لغير الله، ولعن الله من آوى محدثًا، ولعن الله من لعن والديه، ولعن الله من غير المنار).

وفي المسند، وصحيح الجامع، وغيرهما، عن سيدي عبد الله بن عباس رضي الله عنهما، مرفوعًا: (ملعون من سب أباه، ملعون من سب أمه، ملعون من ذبح لغير الله، ملعون من غير تخوم الأرض، ملعون من كمّه أعمى عن طريق، ملعون من وقع على بهيمة، ملعون من عمل بعمل قوم لوط)!

وفي مسلم عن سيدي المعرور بن سويد رضي الله عنه قال: مررنا بأبي ذر بالربذة، وعليه برد، وعلى غلامه مثله؛ فقلنا: يا أبا ذر: لو جمعت بينهما كانت حلة. فقال: إنه كان بيني وبين الرجل من إخوتي كلام، وكانت أمه أعجمية، فعيرته بأمه، فشكاني إلى النبي

صلى الله عليه وسلم، فلقيت النبي صلى الله عليه وسلم، فقال: (يا أبا ذر: إنك امرؤ فيك جاهلية). قلت: يا رسول الله! من سب الرجال سبوا أباه وأمه. فقال صلى الله عليه وسلم: (يا أبا ذر! إنك امرؤ فيك جاهلية، هم إخوانكم، جعلهم الله تحت أيديكم، فأطعموهم مما تأكلون، وألبسوهم مما تلبسون، ولا تكلفوهم ما يغلبهم؛ فإن كلفتموهم فأعينوهم)!

- **التبرؤ من الانتساب له كبيرة وجريمة:**

ففي مسلم وغيره عن سيدي أبي ذر رضي الله عنه، مرفوعًا: (ليس من رجل ادعي لغير أبيه وهو يعلمه، إلا كفر، ومن ادعى ما ليس له فليس منا، وليتبوأ مقعده من النار، ومن دعا رجلا بالكفر، أو قال: عدو الله، وليس كذلك، إلا حار عليه).

- **الحلف به مخالفة عقيدية:**

فقد بوب البخاري رحمه الله باب: لا تحلفوا بآبائكم، وفيه: عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما أن رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم أدرك عمر بن الخطاب وهو يسير في ركب يحلف بأبيه، فقال صلى الله تعالى عليه وسلم: (ألا إن الله ينهاكم أن تحلفوا بآبائكم؛ من كان حالفا فليحلف بالله أو ليصمت).

وفي صحيح ابن ماجه، عن سيدي ابن عمر رضي الله عنهما قال: سمع النبي صلى الله عليه وسلم رجلًا يحلف بأبيه، فقال صلى الله عليه وسلم: (لا تحلفوا بآبائكم؛ من حلف بالله فليصدق، ومن حُلف له بالله فليرض، ومن لم يرض بالله فليس من الله).

وفي المسند عن سعد بن عبيدة بسند صحيح، قال: كنت جالسًا عند عبد الله بن عمر رضي الله عنهما، فجئت سعيد بن المسيب، وتركت عنده رجلًا من كندة، فجاء الكندي مروعًا، فقلت: ما وراءك؟ قال: جاء رجل إلى عبد الله بن عمر آنفًا، فقال: أحلف بالكعبة فقال ابن عمر: احلف برب الكعبة؛ فإن عمر كان يحلف بأبيه، فقال له النبي صلى الله عليه وسلم: (لا تحلف بأبيك؛ فإنه من حلف بغير الله فقد أشرك).

- **لا يقدم عليه غيره سوى الأم:**

ففي الترمذي والترغيب وغيرهما عَنْ سيدي عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ رضي الله تعالى عنه، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله تعالى عليه وسلم: (إذا فعلت أمتي خمس عشرة خصلة فقد حل بها البلاء). قيل: وما هي يا رسول الله؟ قال: إذا كان المغنم دولا، وإذا كانت الأمانة مغنمًا، والزكاة مغرمًا، وأطاع الرجل زوجته، وعق أمه، وبر صديقه، وجفا أباه، وارتفعت الأصوات في المساجد، وكان زعيم القوم أرذلهم، وأكرم الرجل مخافة شره، وشربت الخمر، ولبس الحرير، واتخذت القينات والمعازف، ولعن آخر هذه الأمة أولها، فليرتقبوا عند ذلك ريحًا حمراء، أو خسفًا، أو مسخًا).

وفي صحيح الأدب المفرد عن عروة رضي الله عنه، أن سيدي أبا هريرة أبصر رجلين فقال لأحدهما: ما هذا منك؟ فقال: أبي، فقال: لا تسمه باسمه، ولا تمش أمامه، ولا تجلس قبله).

- **الفخر بالآباء من أمر الجاهلية:**

في صحيح الجامع، وصحيح الترغيب، عن سيدي أبي هريرة رضي الله عنه مرفوعًا: (لينتهين أقوام يفتخرون بآبائهم الذين ماتوا، إنما هم فحم جهنم، أو ليكونن أهون على الله من الجعل الذي يدهده الخرء بأنفه، إن الله قد أذهب عنكم عبية الجاهلية وفخرها بالآباء، إنما هو مؤمن تقي، وفاجر شقي. الناس كلهم بنو آدم، وآدم خلق من التراب).

في أبي داود عن سيدي أبي هريرة رضي الله عنه مرفوعًا: (إن الله عز وجل قد أذهب عنكم عبية الجاهلية، وفخرها بالآباء: مؤمن تقي، وفاجر شقي. أنتم بنو آدم، وآدم من تراب. ليدعن رجال فخرهم بأقوامٍ إنما هم فحم من فحم جهنم، أو ليكونن أهون على الله من الجعلان التي تدفع بأنفها النتن)!

وأخرج أحمد بإسناد صحيح عن سيدي أبي بن كعب رضي الله عنه قال: انتسب رجلان على عهد رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم، فقال أحدهما: أنا فلان بن فلان، فمن أنت لا أم لك!؟ فقال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم: (انتسب رجلان على عهد موسى عليه السلام، فقال أحدهما: أنا فلان ابن فلان حتى تسعة، فمن أنت لا أم

لك؟ قال: أنا فلان ابن فلان ابن الإسلام، قال: فأوحى الله إلى موسى عليه السلام: أن هذين المنتسبين، أما أنت أيها المنتمي إلى تسعة من النار، فأنت عاشرهم، وأما أنت يا هذا المنتسب إلى اثنين في الجنة فأنت ثالثهما في الجنة).

- **لا تدعه يدعو عليك فدعوته مجابة:**

ففي صحيح الجامع، عن سيدي أبي هريرة، وسيدي عقبة بن عامر رضي الله عنهما، مرفوعًا: (ثلاث دعوات مستجابات، لا شك فيهن: دعوة الوالد على ولده، ودعوة المسافر، ودعوة المظلوم

وفي صحيح الجامع بسند حسن عن سيدي أنس بن مالك رضي الله عنه مرفوعًا: (ثلاث دعوات لا ترد: دعوة الوالد لولده، ودعوة الصائم، ودعوة المسافر).

خامسًا: واجبات الأب:

- **الله تعالى يوصي الآباء بأبنائهم:**

يقول الله تبارك وتعالى: (يوصيكم الله في أولادكم....) النساء:11.

وقال تعالى: (يأيها الذين آمنوا قوا أنفسكم وأهليكم نارًا، وقودُها الناسُ والحجارة..) التحريم:6.

وفي البخاري عن سيدي جابر رضي الله عنه قال: (عادني النبي صلى الله تعالى عليه وسلم وأبو بكر في بني سلمة ماشيين، فوجدني النبي صلى الله تعالى عليه وسلم لا أعقل، فدعا بماء فتوضأ منه ثم رش علي فأفقت، فقلت: ما تأمرني أن أصنع في مالي يا رسول الله، فنزلت: {يوصيكم الله في أولادكم}.

وفي مسلم عن سيدي النعمان بن بشير رضي الله عنه، قال: نحلني أبي نحلًا، ثم أتى بي إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ليشهده، فقال صلى الله عليه وسلم: (أكل ولدك أعطيته هذا؟) قال: لا. قال صلى الله عليه وسلم: (أليس تريد منهم البر مثل ما تريد من ذا؟) قال: بلى. قال صلى الله عليه وسلم: (فإني لا أشهد). قال ابن عون: فحدثت به محمدًا، فقال: إنما تحدثنا أنه قال: (قاربوا بين أولادكم).

وفي الصحيحة عن سيدي النعمان بن بشير رضي الله عنه، مرفوعًا: (اعدلوا بين أولادكم، اعدلوا بين أولادكم، اعدلوا بين أولادكم).

وفي البخاري عن سيدي عبادة بن الصامت رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال، وحوله عصابة من أصحابه: (بايعوني على ألا تشركوا بالله شيئًا، ولا تسرقوا، ولا تزنوا، ولا تقتلوا أولادكم، ولا تأتوا ببهتان تفترونه بين أيديكم وأرجلكم، ولا تعصوا في معروف، فمن وفى منكم فأجره على الله، ومن أصاب من ذلك شيئًا فعوقب في الدنيا فهو كفارة له، ومن أصاب من ذلك شيئًا ثم ستره الله فهو إلى الل ، إن شاء عفا عنه وإن شاء عاقبه). فبايعناه صلى الله عليه وسلم على ذلك.

وروى أبو داود عن عمرو بن شعيب رضي الله تعالى عنه مرفوعًا: (مروا أولادكم بالصلاة وهم أبناء سبع سنين، واضربوهم عليها وهم أبناء عشر، وفرقوا بينهم في المضاجع).

وروى أبو داود عن سيدي جابر بن عبد الله رضي الله تعالى عنه رضي الله تعالى عنهما مرفوعًا: (لا تدعوا على أنفسكم، ولا تدعوا على أولادكم، ولا تدعوا على خدمكم، ولا تدعوا على أموالكم؛ لا توافقوا من الله تبارك وتعالى ساعة نيل فيها عطاء فيستجيب لكم). والوصايا كثيرة جدًّا، أكتفي بهذه منها.

- ويجب عليه أن يعلمهم، ويأخذ بهم إلى الجنة، ودلالتهم على الطاعة:

يقول الله تبارك وتعالى: (والذين آمنوا واتبعتهم ذريتهم بإيمان ألحقنا بهم ذريتهم، وما ألتناهم من عملهم من شيء، كل امرئ بما كسب رهين) الطور:21.

ويقول الله تبارك وتعالى: (يأيها الذين آمنوا قوا أنفسكم وأهليكم نارًا، وقودُها الناس والحجارة) التحريم:6.

وفي سنن أبي داود مرفوعًا: (مروا أولادكم بالصلاة وهم أبناء سبع سنين، واضربوهم عليها، وهم أبناء عشر، وفرقوا بينهم في المضاجع).

وأخرج الطبراني عن سيدي ابن عباس رضي الله تعالى عنهما قال: - أظنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (إذا دخل الرجل الجنة سأل عن أبويه وزوجته وولده، فيقال إنهم لم يبلغوا درجتك. فيقول: يا رب، قد عملت لي ولهم، فيؤمر بإلحاقهم به، وقرأ ابن عباس: (والذين آمنوا واتبعتهم ذريتهم بإيمان ألحقنا بهم ذريته....).

- ومن ذلك أن يديم وصيتهم بوصايا جامعة؛ كما فعل لقمان عليه السلام:

يقول الله تعالى حاكيًا وصيته مع ابنه: (وإذ قال لقمان لابنه – وهو يعظه –: يا بنيّ: لا تُشرك باللّه؛ إن الشرك لظلم عظيم* ..... يا بُنيّ: إنّها إن تَكُ مِثقَال حبّةٍ مِنْ خَردلٍ، فَتكنُ فِي صَخْرةٍ، أو في السَّمواتِ، أو في الأَرضِ، يَأتِ بِهَا اللّهُ؛ إنّ اللّهَ لطيف خبير* يا بُنيّ: أقم الصَّلاة، وَأْمُر بالمعْرُوفِ، وانهَ عنِ المنكَرِ، واصبِرْ على مَا أَصابَكَ؛ إنّ

ذَلِكَ مِنْ عَزمِ الأُمُورِ* ولا تصعّر خدَّكَ للنَّاسِ، ولا تَمشِ في الأَرضِ مَرَحًا؛ إنّ اللّهَ لا يُحِبُ كُلّ مُختَالٍ فَخُورٍ* واقصِدْ فِي مشْيِكَ، واغْضُض مِن صَوتِكَ، إنّ أنكَرَ الأَصواتِ لصَوتُ الحمِيرِ). لقمان:5 وما بعدها.

وكم من آباء وصوا أبناءهم وصايا يحفل بها التراث العربي، والمواقع المعيش.

- ويجب عليه مراعاة الزمان، والانتباه إلى تغير الأحوال، ويراعي الثوابت والمتغيرات:

لا شك أن هناك ثوابت شرعية وقيمية غير قابلة للتغير والحلحلة، ومتغيرات في الأساليب والوسائل، يعيشها كل جيل، وربما يتميز بها عمن قبله، لذا ينسبون لسيدنا علي رضي الله تعالى عنه قوله: لا تقسروا أبناءكم على أخلاقكم؛ فإنهم خلقوا لزمان غير زمانكم) ولعل هذه المقولة محسوسة في واقعنا المعيش بقوة.

- ويجب عليه المحافظة على حياة الولد:

يقول الله تبارك وتعالى: (وَلا تَقْتُلُوا أَوْلادَكُمْ مِنْ إِمْلاقٍ؛ نَحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ) الأنعام/151. ويقول الله تبارك وتعالى: (وَلا تَقْتُلُوا أَوْلادَكُمْ خَشْيَةَ إِمْلاقٍ؛ نَحْنُ نَرْزُقُهُمْ وَإِيَّاكُمْ، إِنَّ قَتْلَهُمْ كَانَ خِطْئًا كَبِيرًا) الإسراء/31.

ويقول تعالى: (وإذا الموؤدة سئلت* بأي ذنب قتلت) التكوير:8-9.

وفي البخاري عن سيدي عبادة بن الصامت رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم قال – وحوله عصابة من أصحابه –: (بايعوني على ألا تشركوا بالله شيئًا، ولا تسرقوا، ولا تزنوا، ولا تقتلوا أولادكم، ولا تأتوا ببهتان تفترونه بين أيديكم وأرجلكم، ولا تعصوا في معروف، فمن وفى منكم فأجره على الله، ومن أصاب من ذلك شيئا فعوقب في الدنيا فهو كفارة له، ومن أصاب من ذلك شيئًا ثم ستره الله فهو إلى الله، إن شاء عفا عنه، وإن شاء عاقبه) فبايعناه على ذلك.

- ويجب عليه أن يغني أولاده إن استطاع:

في البخاري وغيره، عن سيدي سعد ابن أبي وقاص رضي الله تعالى عنه قال: كان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم يعودني عام حجة الوداع، من وجع اشتد بي، فقلت:

إني قد بلغ بي من الوجع، وأنا ذو مال، ولا يرثني إلا ابنة، أفاتصدق بثلثي مالي؟ قال: لا. قلت: بالشطر؟ فقال: لا. ثم قال: الثلث والثلث كبير، أو كثير، إنك أن تذر ورثتك أغنياء، خير من أن تذرهم عالة يتكففون الناس، وإنك لن تنفق نفقة تتبغي بها وجه الله إلا أجرت بها، حتى ما تجعل في في امرأتك. فقلت: يا رسول الله، أخلف بعد أصحابي؟ قال: إنك لن تخلف فتعمل عملا صالحا إلا ازددت به درجة ورفعة، ثم لعلك أن تخلف حتى ينتفع بك أقوام، ويضر بك آخرون، اللهم أمض لأصحابي هجرتهم ولا تردهم على أعقابهم، لكن البائس سعد بن خولة، يرثي له رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم أن مات بمكة.

وفي صحيح الترغيب والترهيب، عن سيدي ابن عمرو رضي الله عنهما مرفوعًا: (كفى بالمرء إثمًا أن يضيع من يقوت).

- ويجب عليه ألا يؤذيهم ولو بالدعاء عليهم:

في مسلم رحمه الله تعالى: سرنا مع رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم في غزوة بطن بواط – وهو يطلب المجدي بن عمرو الجهني – وكان الناضح يعقبه منا الخمسة والستة والسبعة، فدارت عقبة رجل من الأنصار على ناضح له. فأناخه فركبه، ثم بعثه فتلدن عليه بعض التلدن، فقال له: شأ، لعنك الله. فقال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم: (من هذا اللاعن بعيره)؟ قال: أنا يا رسول الله! قال: (انزل عنه، فلا تصحبنا بملعون؛ لا تدعوا على أنفسكم، ولا تدعوا على أولادكم، ولا تدعوا على أموالكم، لا توافقوا من الله ساعة يسأل فيها عطاء، فيستجيب لكم).

- ويجب عليه أن يسعى على الأولاد ومن يعول، وسعيه جهاد:

روى سيدي كعب بن عجرة رضي الله تعالى عنه، كما في صحيح الترغيب، وصحيح الجامع، وغيرهما:

مر على النبي صلى الله عليه وسلم رجل، فرأى أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم من جلده ونشاطه، فقالوا: يا رسول الله: لو كان هذا في سبيل الله!؟ فقال رسول الله

صلى الله عليه وسلم: إن كان خرج يسعى على ولده صغارًا فهو في سبيل الله، وإن كان خرج يسعى على أبوين شيخين كبيرين فهو في سبيل الله، وإن كان خرج يسعى على نفسه يعفها فهو في سبيل الله، وإن كان خرج يسعى رياء ومفاخرة فهو في سبيل الشيطان)!

وفي الجامع الصغير عن سيدي أنس رضي الله تعالى عنه قال: (من بات كالًا من طلب الحلال بات مغفورًا له).

وفي الصحيحين عن أمي عائشة رضي الله تعالى عنها، قالت: دخلت هند بنت عتبة، امرأة أبي سفيان رضي الله تعالى عنهما، على رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقالت: يا رسول الله! إن أبا سفيان رجل شحيح، لا يعطيني من النفقة ما يكفيني ويكفي بني – إلا ما أخذت من ماله بغير علمه – فهل علي في ذلك من جناح؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (خذي من ماله بالمعروف، ما يكفيك ويكفي بنيك).

وروى الإمامامان أحمد وأبو داود أن مولى لعبد الله بن عمرو رضي الله عنهم قال له: إني أريد أن أقيم هذا الشهر هاهنا ببيت المقدس، فقال له: تركت لأهلك ما يقوتهم هذا الشهر؟ قال: لا، قال: فارجع إلى أهلك، فاترك لهم ما يقوتهم، فإني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: (كفى بالمرء إثمًا أن يضيع من يقوت).

وفي البخاري من حديث سيدي أبي مسعود الأنصاري رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (إذا أنفق المسلم نفقة على أهله وهو يحتسبها كانت صدقة له).

- **ويجب عليه أن يعدل فيهم:**

في البخاري عن سيدي النعمان بن بشير رضي الله عنهما: (أعطاني أبي عطية، فقالت عمرة بنت رواحة: لا أرضى حتى تشهد رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم، فأتى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فقال: إني أعطيت ابني من عمرة بنت رواحة عطية، فأمرتني أن أشهدك يا رسول الله، قال: (أعطيت سائر ولدك مثل هذا). قال: لا، قال: (فاتقوا الله واعدلوا بين أولادكم). قال: فرجع فرد عطيته.

سادسًا: من بر الأب:

- **حسن العشرة، وطيب المصاحبة، والإحسان:**

في الصحيحين مرفوعًا: جاء رجل إلى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فقال: يا رسول الله، من أحق الناس بحسن صحابتي؟ قال: (أمك)، قال: ثم من؟ قال: (ثم أمك)، قال: ثم من؟ قال: (ثم أمك)، قال: ثم من؟ قال: (ثم أبوك).

وفي صحيح الأدب المفرد، والسلسلة الصحيحة وغيرهما بسند صحيح، عن سيدي المقدام بن معد يكرب، مرفوعًا: (إن الله يوصيكم بأمهاتكم، ثم يوصيكم بأمهاتكم، ثم يوصيكم بآبائكم، ثم يوصيكم بالأقرب فالأقرب).

- **حمايته من الأذى النفسي والبدني:**

فهؤلاء إخوة يوسف، يخشون ان يصدموا أباهم عليه السلام، بالتفريط في أخيهم الثاني، فكان أن قالوا: (يأيها العزيز إن له أبًا شيخًا كبيرًا؛ فخذ أحدنا مكانه) يوسف :78. وهاهو الأخ الأكبر يقيم اعتصامًا أو إضرابًا حتى يطمئن على أخيه، وقال إنه لن ينهي الاعتصام (حتى يأذن لي أبي، أو يحكم الله لي، وهو خير الحاكمين) يوسف:80.

- **ذكره بالخير دائمًا:**

يقول الله تبارك وتعالى: (فَاذْكُرُوا اللَّهَ كَذِكْرِكُمْ آبَاءَكُم، أَوْ أَشَدَّ ذِكْرًا). في ابن كثير في تفسير هذه الآية: قال سعيد بن جبير، عنسيدي ابن عباس رضي الله تعالى عنهما قال: كان أهل الجاهلية يقفون في الموسم، فيقول الرجل منهم: كان أبي يطعم ويحمل الحمالات [يتحمل الديات] ليس لهم ذكر غير فعال آبائهم. فأنزل الله على محمد صلى الله عليه وسلم: (فاذكروا الله كذكركم آباءكم أو أشد ذكرًا).

- **الأب محل كبير للدعاء:**

يقول الله تبارك وتعالى: (وَمَا كَانَ اسْتِغْفَارُ إِبْرَاهِيمَ لأَبِيهِ إِلا عَن مَوْعِدَةٍ وعدها إياه) التوبة:114، ويقول تعالى: (رَبَّنَا اغْفِرْ لِي، وَلِوَالِدَيَّ، وَلِلْمُؤْمِنِينَ يَوْمَ يَقُومُ الْحِسَابُ)

إبراهيم:41، ويقول تعالى: (واغْفِرْ لأَبِي؛ إِنَّهُ كَانَ مِنَ الضَّالِّينَ) الشعراء:86، ويقول تعالى: (رَبِّ اغْفِرْ لِي، وَلِوَالِدَيَّ، وَلِمَن دَخَلَ بَيْتِيَ مُؤْمِنًا، وللمؤمنين والمؤمنات...) نوح:28.

- **الأب محل للشكر والثناء:**

يقول الله تبارك وتعالى: (أن اشكر لي، ولوالديك، وللمؤمنين يوم يقوم الحساب). ويقول تعالى: (رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ، وَعَلَى وَالِدَيَّ، وأن أعمل صالحًا ترضاه.....).

- **التأدب معه في حياته:**

في صحيح الأدب المفرد عن عروة رضي الله عنه: رأي أبو هريرة رضي الله عنه رجلا مع آخر، فقال: من هذا الذي معك؟ فقال أبي: قال أبو هريرة: لا تمش أمامه، ولا تجلس قبله، ولا تدعه باسمه، ولا تستسب له؛ بأن تسب أحدًا بأبيه، فيسب الآخر أباك.

- **استئذانه:**

يقول الله تبارك وتعالى على لسان أخي يوسف الأكبر: (فَلَنْ أَبْرَحَ الأَرْضَ حَتَّى يَأْذَنَ لِي أَبِي، أَوْ يَحْكُمَ اللَّهُ لِي.....).

وفي الأدب المفرد عن سيدي جابر رضي الله عنه قال: (يستأذن الرجل على ولده وأمه – وإن كانت عجوزًا – وأخيه، وأخته، وأبيه).

وفي مصنف ابن أبي شيبة عن هِشَامُ بْنُ عُرْوَةَ ، عَنْ أَبِيهِ رضي الله تعالى عنه، فِي الرَّجُلِ يَأْخُذُ مِنْ مَالِ وَلَدِهِ قَالَ: صَنَعَ رَجُلٌ فِي مَالِهِ شَيْئًا وَلَمْ يَسْتَأْذِنْ أَبَاهُ، قَالَ هِشَامٌ: قَالَ أَبِي: فَسَأَلَ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَوْ أَبَا بَكْرٍ أَوْ عُمَرَ فَقَالَ: (ارْدُدْ عَلَيْهِ؛ فَإِنَّمَا هُوَ سَهْمٌ مِنْ كِنَانَتِكَ).

- **الاستئذان عليه:**

يقول الله تبارك وتعالى في سورة النور:58–59: (يأيها الذين آمنوا: ليستأذنكم الذين ملكت أيمانكم، والذين لم يبلغوا الحلم، منكم ثلاث مرات: من قبل صلاة الفجر، وحين تضعون ثيابكم من الظهيرة، ومن بعد صلاة العشاء؛ ثلاث عورات لكم، ليس عليكم ولا

عليهم جناح بعدهن، طوافون عليكم بعضكم على بعض، كذلك يبين الله لكم الآيات، والله عليم حكيم * وإذا بلغ الأطفال منكم الحلم فليستأذنوا، كما استأذن الذين من قبلهم، كذلك يبين الله لكم آياته، والله عليم حكيم).

- **التلطف في خطابه:**

يقول الله تبارك وتعالى على لسان سيدنا إبراهيم لأبيه الكافر: (إِذْ قَالَ لأَبِيهِ: يَا أَبَتِ لِمَ تَعْبُدُ مَا لا يَسْمَعُ وَلا يُبْصِرُ، ولا يغني عنك شيئًا)؟ ويقول الله تبارك وتعالى على لسان سيدنا إسماعيل لأبيه المؤمن: (قَالَ: يَا أَبَتِ افْعَلْ مَا تُؤْمَرُ، سَتَجِدُنِي إِن شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّابِرِينَ) ويقول الله تبارك وتعالى على لسان ابنتي شعيب الرجل المسن الذي يحتاج لمعونة: (قَالَتْ إِحْدَاهُمَا يَا أَبَتِ اسْتَأْجِرْهُ....).

- **طلب دعائه:**

يقول الله تبارك وتعالى على لسان إخوة يوسف العققة: (قَالُوا: يَا أَبَانَا اسْتَغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا؛ إِنَّا كُنَّا خَاطِئِينَ* قال: سوف أستغفر لكم ربي....).

وفي سنن أبي داود وغيره، عن سيدي أبي هريرة رضي الله عنه مرفوعًا: (ثلاث دعوات مستجابات لا شك فيهن دعوة الوالد ودعوة المسافر ودعوة المظلوم).

وفي مجمع الزوائد وغيره بسند صحيح مرفوعًا عن سيدي ثوبان رضي الله عنه قال: بخ بخ لخمس ما أثقلهن في الميزان: لا إله إلا الله، والله أكبر، وسبحان الله، والحمد لله، والولد الصالح يتوفى فيحتسبه والده).

- **ظن الإساءة والتقصير بالوالد شر:**

يقول الله تبارك وتعالى على لسان إخوة يوسف العققة: (إِذْ قَالُوا لَيُوسُفُ وَأَخُوهُ أَحَبُّ إِلَى أَبِينَا مِنَّا، ونحن عصبةٌ؛ إن أبانا لفي ضلال مبين) (اقْتُلُوا يُوسُفَ أَوِ اطْرَحُوهُ أَرْضًا يَخْلُ لَكُمْ وَجْهُ أَبِيكُمْ، وتكونوا من بعده قومًا صالحين) (قالوا: تالله إنك لفي ضلالك القديم)!

وفي البخاري عن أمنا عائشة رضي الله عنها: لما أمر رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم بتخيير أزواجه، بدأ بي، فقال: (إني ذاكرا لك أمرًا، فلا عليك ألا تعجلي حتى

تستأمري أبويك)، قالت: وقد علم أن أبوي لم يكونا يأمراني بفراقه، قالت: ثم قال: إن الله جل ثناؤه قال: يأيها النبي قل لأزواجك إن كنتن تردن الحياة الدنيا وزينتها – إلى – أجرًا عظيما)، قالت: فقلت: ففي أي هذا أستأمر أبوي، فإني أريد الله ورسوله والدار الآخرة، قالت: ثم فعل أزواج النبي صلى الله تعالى عليه وسلم مثل ما فعلت.

- **احترامه، واعتبار منزلته أمام الناس:**

ففي البخاري عن ابن عمر رضي الله عنه قال: قال ذلى الله عليه وسلم: (أخبروني بشجرة مثلها مثل المسلم، تؤتي أكلها كل حين بإذن ربها، ولا تحتّ ورقها)، فوقع في نفسي أنها النخلة، فكرهت أن أتكلم، وثم أبو بكر وعمر. فلما لم يتكلما، قال النبي صلى الله تعالى عليه وسلم: (هي النخلة)، فلما خرجت مع أبي قلت: يا أبتاه، وقع في نفسي أنها النخلة، قال: ما منعك أن تقولها، لو كنت قلتها كان أحب إلي من كذا وكذا، قال: ما منعني إلا أني لم أرك ولا أبا بكر تكلمتما فكرهت.

- **الحزن عليه إن أصابه بلاء وضر:**

ففي البخاري عن سيدي أنس رضي الله عنه قال: لما ثقل النبي صلى الله تعالى عليه وسلم جعل يتغشاه، فقالت فاطمة عليها السلام: واكرب أباه، فقال لها: (ليس على أبيك كرب بعد اليوم)، فلما مات قالت: يا أبتاه، أجاب ربا دعاه، يا أبتاه، من جنة الفردوس مأواه، يا أبتاه، إلى جبريل ننعاه، فلما دفن قالت فاطمة عليها السلام: يا أنس، أطابت أنفسكم أن تحثوا على رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم التراب!؟

- **إكرامه بعد موته:**

في أبي داود وغيره عن أبي أسيد الساعدي رضي الله عنه، قال: جاء أعرابي الى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم، فقال: يا رسول الله: هل بقي من برّ أبوي شيء أبرهما به بعد موتهما؟ فقال: (نعم: الصلاة عليهما، والاستغفار لهما، وإنفاذ عهدهما من بعدهما، وصلة الرحم التي لا توصل إلا بهما، وإكرام صديقهما).

وفي مسلم وغيره، عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: قال صلى الله تعالى عليه وسلم (..... أبر البر أن يصل الرجل ود أبيه).

- **سداد ديونه:**

ففي البخاري عن سيدي جابر بن عبد الله رضي الله عنهما قال: إن أباه قتل يوم أحد شهيدًا وعليه دين، فاشتد الغرماء في حقوقهم، فأتيت النبي صلى الله تعالى عليه وسلم، فسألهم أن يقبلوا تمر حائطي ويحللوا أبي، فأبوا، فلم يعطهم النبي صلى الله تعالى عليه وسلم حائطي، وقال: (سنغدو عليك)، فغدا علينا حين أصبح، فطاف في النخل ودعا في ثمرها بالبركة، فجددتها فقضيتهم، وبقي لنا من تمرها.

وفي صحيح سنن النسائي عن سيدي جابر بن عبد الله رضي الله عنهما قال: توفي أبي وعليه دين، فعرضت على غرمائه أن يأخذوا الثمرة بما عليه، فأبوا، ولم يروا فيه وفاء، فأتيت رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم، فذكرت ذلك له. فقال صلى الله تعالى عليه وسلم: (إذا جددته فوضعته في المربد فآذني)، فلما جددته، ووضعته في المربد، أتيت رسول الله، صلى الله تعالى عليه وسلم فجاء، ومعه أبو بكر، وعمر، فجلس عليه، ودعا بالبركة ثم قال صلى الله تعالى عليه وسلم: (ادع غرماءك فأوفهم)، قال: فما تركت أحدًا له على أبي دين إلا قضيته، وفضل لي ثلاثة عشر وسقًا، فذكرت ذلك له فضحك صلى الله تعالى عليه وسلم، وقال: (ائت أبا بكر وعمر فأخبرهما ذلك)، فأتيت أبا بكر وعمر، فأخبرتهما، فقالا: قد علمنا إذ صنع رسول الله ما صنع أنه سيكون ذلك.

- **تنفيذ وصاياه:**

ففي البخاري عن سيدي أبي سعيد رضي الله عنه أنه ذكر رجلًا فيمن سلف، أو فيمن كان قبلكم، أعطاه الله مالًا وولدًا، فلما حضرت الوفاة قال لبنيه: أي أب كنت لكم؟ قالوا: خير أب، قال: فإنه لم يبتئر، أو لم يبتئز عند الله خيرًا، وإن يقدر الله عليه يعذبه، فانظروا إذا مت فأحرقوني، حتى إذا صرت فحمًا فاسحقوني، أو قال: فاسحكوني، فإذا كان يوم ريح عاصف فأذروني فيها، فقال نبي الله صلى الله تعالى عليه وسلم: فأخذ

مواثيقهم على ذلك وربي، ففعلوا ثم أذروه في يوم عاصف، فقال الله عز وجل: كن، فإذا هو رجل قائم، قال الله: (أي عبدي ما حملك على أن فعلت ما فعلت)؟ قال: مخافتك، أو: فرقٌ منك، قال: فما تلافاه أن رحِمه عندها!

- إكرام من ينسبون للأب من العمات والأعمام والإخوة، إكرامًا له:

**** في الإخوة قال الله تعالى: (وَلَمَّا جَهَّزَهُمْ بِجَهَازِهِمْ قَالَ: ائْتُونِي بِأَخٍ لَكُمْ مِنْ أَبِيكُمْ) وقال سيدنا يوسف عليه السلام: (رب اغفر لي ولأخي، وأدخلنا في رحمتك....) (هارون أخي* اشدد به أزري* وأشركه في أمري* كي نسبحك كثيرًا* ونذكرك كثيرًا)

**** في الأعمام والعمات: في السلسلة الصحيحة عن سيدي ابن عباس رضي الله عنهما قال صلى الله تعالى عليه وسلم لعمه العباس: (أنت عمي، وبقية آبائي، والعم والد).

وفي سنن الترمذي بسند حسن صحيح، عن عبدالمطلب بن ربيعة بن الحارث رضي الله عنه، أن العباس بن عبد المطلب، دخل على رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم مغضبًا وأنا عنده، فقال: ما أغضبك؟ قال: يا رسول الله! ما لنا ولقريش! إذا تلاقوا بينهم، تلاقوا بوجوه مبشرة، وإذا لقونا لقونا بغير ذلك، قال: فغضب رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم حتى احمر وجهه، ثم قال: (والذي نفسي بيده، لا يدخل قلب رجل الإيمان حتى يحبكم لله ولرسوله)، ثم قال: (يأيها الناس! من آذى عمي فقد آذاني، فإنما عم الرجل صنو أبيه).

وعن عائشة. قالت: جاء عمي من الرضاعة يستأذن علي، فأبيت أن آذن له حتى أستأمر رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم. فلما جاء رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم قلت: إن عمي من الرضاعة استأذن علي فأبيت أن آذن له. فقال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم: (فليلج عليك عمك) قلت: إنما أرضعتني المرأة ولم يرضعني الرجل. قال: (إنه عمك. فليلج عليك).

سابعًا: الأب بعد الموت:

- **الأبناء يشفعون لآبائهم لدخول الجنة:**

في مجمع الزوائد بسند مرفوعٍ رجاله ثقات: يقال للولدان يوم القيامة: ادخلوا الجنة، فيقولون: يا ربنا: يدخل آباؤنا وأمهاتنا.فيقول الله عز وجل: ما لي أراهم محبنطئين؟ ادخلوا الجنة، فيقولون: يا رب: آباؤنا، فيقول ادخلوا الجنة أنتم وآباؤكم

وفي صحيح سنن النسائي، عن سيدي أبي هريرة، رضي الله عنه مرفوعًا: (ما من مسلمين يموت بينهما ثلاثة أولاد، لم يبلغوا الحنث، إلا أدخلهما الله بفضل رحمته إياهم الجنة؛ يقال لهم ادخلوا الجنة) فيقولون: حتى يدخل آباؤنا، فيقال: (ادخلوا الجنة أنتم وآباؤكم تحبرون).

- **من أشكال بر الأب بعد موته:**

في أبي داود عن أبي أسيد مالك بن ربيعة الأنصاري رضي الله عنه قال: جاء أعرابي إلى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم، فقال: يا رسول الله: هل بقي من برّ أبوي شيء أبرهما به بعد موتهما؟

فقال صلى الله تعالى عليه وسلم: (نعم؛ الصلاة عليهما/ والاستغفار لهما/ وإنفاذ عهدهما من بعدهما/ وصلة الرحم التي لا توصل إلا بهما/ وإكرام صديقهما).

- **الله تعالى يتولى الصالحين وأبناءهم بعد موتهم:**

يقول تعالى في سورة الكهف عن الولد العاق الشرس مع والديه:

(وأما الغلام فكان أبواه مؤمنين؛ فخشينا أن يرهقهما طغيانًا وكفرًا* فأردنا أن يبدلهما ربهما خيرًا منه زكاة، وأقرب رُحْمًا) 80.

ويقول تعالى في سورة الكهف عن الولدين اليتيمين، اللذين كان أبوهما صالحًا، فأرسل الله تعالى نبيين لحفظ مالهما:

(وأما الجدار فكان لغلامين يتيمين في المدينة، وكان تحته كنز لهما، وكان أبوهما صالحًا، فأراد ربك أن يبلغا أشدهما، ويستخرجا كنزهما؛ رحمة من ربك، وما فعلته عن أمري...) 82!

وفي صحيح ابن ماجه، وغيره بسند حسن، عن سيدي جابر بن عبد الله رضي الله عنهما قال: لما قتل عبد الله بن عمرو بن حرام، يوم أحد، لقيني رسول الله، فقال: يا جابر! ألا أخبرك ما قال الله لأبيك؟ أو: أفلا أبشرك بما لقي الله به أباك؟ قال: بلى: يا رسول الله! قال: ما كلم الله أحدًا قط إلا من وراء حجاب، وكلم أباك كفاحًا، فقال: يا عبدي! تمن علي أعطك، قال: يا رب! تحييني فأقتل فيك ثانية، فقال الرب سبحانه: إنه سبق مني أنهم إليها لا يرجعون، قال: يا رب! فأبلغ من ورائي، قال فأنزل الله تعالى: {ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله أمواتا بل أحياء عند ربهم يرزقون}.

ثامنًا: من خطايا الآباء:

ليس الأب كائنًا معصومًا، ولا بعيدًا عن الخطأ والخطيئة، بل إن الإسلام دين واقعي، يقدمه كما هو: متدينا ومارقًا/ حييًا وفاجرًا/ عطوفًا وقاسيًا/ سخيًّا وكزًّا/ مرضيًّا عنه ومغضوبًا عليه... وله في كل أحيانه حقوقه، وعلسه مسؤوليته، فماذا قال القرآن الكريم والسنة المشرفة عن خطايا الآباء المسلمين؟

- **الجور في الوصية:**

في أبي داود والترمذي عن أبي هريرة رضي الله عنه مرفوعًا: (إن الرجل ليعمل – والمرأة – بطاعة الله ستين سنة، ثم يحضرهما الموت، فيضاران في الوصية، فتجب لهما النار! قال: وقرأ علي أبو هريرة من ها هنا: (من بعد وصية يوصى بها أو دين غير مضار) حتى بلغ (ذلك الفوز العظيم) النساء:12–13.

- **ألا يعدل بين أبنائه:**

ففي مسلم عن سيدي النعمان بن بشير رضي الله عنهما أن أمه بنت رواحة سألت أباه بعض الموهوبة من مال لابنها، فالتوى بها سنة، ثم بدا له، فقالت: لا أرضى حتى تُشهد رسول الله صلى الله عليه وسلم على ما وهبت لابني. فأخذ أبي بيدي – وأنا يومئذ غلام – فأتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: يا رسول الله: إن أم هذا – بنت رواحة – أعجبها أن أشهدك على الذي وهبت لابنها. فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (يا بشير: ألك ولد سوى هذا؟) قال: نعم. فقال: (أكلهم وهبت لهم مثل هذا؟) قال: لا. قال: (فلا تشهدني إذًا؛ فإني لا أشهد على جور).

- **أن يكون قاسي المعاملة:**

في سورة مريم عن آزر أبي سيدنا إبراهيم عليه السلام، أنه هدده بالرجم والطرد: (لئن لم تنته لأرجمنك، واهجرني مليًّا)!

وفي البخاري عن أم المؤمنين عائشة رضي الله تعالى عنها، قالت: جاء أعرابي إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقال: تقبلون الصبيان؟ فما نقبلهم! فقال النبي صلى الله عليه وسلم: (أو أملك لك أن نزع الله من قلبك الرحمة).

- أن يكون سبابًا:

في مسلم عن سيدي ابن مسعود رضي الله تعالى عنه مرفوعًا: (سباب المسلم فسوق، وقتاله كفر . قال زبيد : فقلت لأبي وائل : أنت سمعته من عبد الله يرويه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ قال : نعم .

وفي صحيح سنن الترمذي عن سيدي ابن مسعود رضي الله تعالى عنه، قال: (ليس المؤمن بالطعان ولا اللعان ولا الفاحش ولا البذيء).

- ألا ينفق ولا يربي:

ففي البخاري عن سيدي ابن عمر رضي الله تعالى عنهما، أنه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: (كلكم راع ومسؤول عن رعيته، فالإمام راع وهو مسؤول عن رعيته، والرجل في أهله راع وهو مسؤول عن رعيته، والمرأة في بيت زوجها راعية، وهي مسؤولة عن رعيتها، والخادم في مال سيده راع وهو مسؤول عن رعيته). قال: فسمعت هؤلاء من رسول الله صلى الله عليه وسلم، وأحسب النبي صلى الله عليه وسلم قال: (والرجل في مال أبيه راع، وهو مسؤول عن رعيته، فكلكم راع وكلكم مسؤول عن رعيته).

وفي مسلم عن سيدي بن عمرو رضي الله تعالى عنهما، قال: كنا جلوسًا مع عبد الله بن عمرو؛ إذ جاءه قهرمان له، فدخل، فقال: أعطيت الرقيق قوتهم؟ قال: لا. قال: فانطلق فأعطهم، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (كفى بالمرء إثما أن يحبس عمن يملك قوته) .

- أن ينكر نسب ابنه؛ ما لم يكن هناك سبب:

ففي البخاري عن سيدي سهل بن سعد الساعدي رضي الله تعالى عنه أن رجلا أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: يا رسول الله: أرأيت رجلًا رأى مع امرأته رجلًا،

أيقتله فتقتلونه، أم كيف يفعل؟ فأنزل الله فيهما ما ذكر في القرآن من التلاعن، فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم: (قضى الله فيك وفي امرأتك). وكانت حاملاً، فأنكر حملها، وكان ابنها يدعى إليها، ثم جرت السنة في الميراث: أن يرثها وترث منه، ما فرض الله لها.

وفي حكاية سيدنا نوح، وابنه الكافر قال الله تبارك وتعالى في سورة هود: (ونادى نوح ربه فقال: رب إن ابني من أهلي، وإن وعدك الحق، وأنت أحكم الحاكمين* قال: يا نوح إنه ليس من أهلك؛ إنه عمل غير صالح، فلا تسألني ما ليس لك به علم؛ إني أعظك أن تكون من الجاهلين) 46-47.

وفي الدار قطني بسند صحيح عن سيدي أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال: (....وأيما رجل جحده ولده ، وهو ينظر إليه ، احتجب الله منه وفضحه على رؤوس الأولين والآخرين).

وفي ابن حبان بسند صحيح عن سيدي أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال: (أيما امرأة أدخلت على قوم من ليس منهم فليست من الله في شيء، ولن يدخلها الله جنته، وأيما رجل جحد ولده، وهو ينظر إليه، احتجب الله عنه، وفضحه على رؤوس الأولين والآخرين).

وفي صحيح سنن ابن ماجه عن سيدي ابن عمرو رضي الله تعالى عنهما قال: (كفر بامرئ ادعاء نسب لا يعرفه، أو جحده؛ وإن دق).

- **ألا يعين أبناءه على الحق والخير:**

وفي صحيح البخاري عن سيدي ابن عمر رضي الله تعالى عنهما أنه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: (كلكم راع ومسؤول عن رعيته ، فالإمام راع وهو مسؤول عن رعيته، والرجل في أهله راع وهو مسؤول عن رعيته، والمرأة في بيت زوجها راعية، وهي مسؤولة عن رعيتها، والخادم في مال سيده راع وهو مسؤول عن رعيته). قال: فسمعت

هؤلاء من رسول الله صلى الله عليه وسلم، وأحسب النبي صلى الله عليه وسلم قال: (والرجل في مال أبيه راع، وهو مسؤول عن رعيته، فكلكم راع وكلكم مسؤول عن رعيته).

وأثر عن سيدي ابن عمر رضي الله تعالى عنهما أنه قال: كان عمر إذا نهى الناس عن شيء جمع أهله، وقال: إني قد نهيت الناس عن كذا وكذا، وإنهم إنما ينظرون إليكم نظر الطير إلى اللحم؛ فإن وقعتم وقعوا، وإن هبتم هابوا، وايم الله لا أوتى برجل منكم فعل الذي نهيت عنه إلا أضعفت عليه العقوبة – لمكانه مني – فمن شاء فليتقدم، ومن شاء فليتأخر.

- وأشدها أن يكون كافرًا بالله، وذلك بأن:

= = أن يكون امرأ سوء في أخلاقه وسلوكه: (يا أخت هارون: ما كان أبوك امرأ سوْء...) مريم 28.

= = أن يكون من الضالين (واغفر لأبي؛ إنه كان من الضالين) الشعراء:86.

= = أن يتخذ من دون الله آلهة: (وإذ قال إبراهيم لأبيه آزر: أتتخذ أصنامًا آلهة؟) الأنعام 74/ (لم تعبد ما لا يسمع، ولا يبصر، ولا يغني عنك شيئًا) مريم:42/ (...إذ قال لأبيه وقومه: ما هذه التماثيل التي أنتم لها عاكفون!؟) الأنبياء: 52.

= = أن يستحب الكفر على الإيمان: (يَأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ: لاَ تَتَّخِذُواْ آبَاءَكُمْ وَإِخْوَانَكُمْ أَوْلِيَاء؛ إِنِ اسْتَحَبُّواْ الْكُفْرَ عَلَى الإِيمَانِ، وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ) التوبة:23.

= = غياب العقل والفكر: (أو لم كان آباؤهم لا يعقلون شيئًا ولا يهتدون)البقرة:170/ (ما لهم به من علم ولا لآبائهم) الكهف:5.

الفصل الرابع

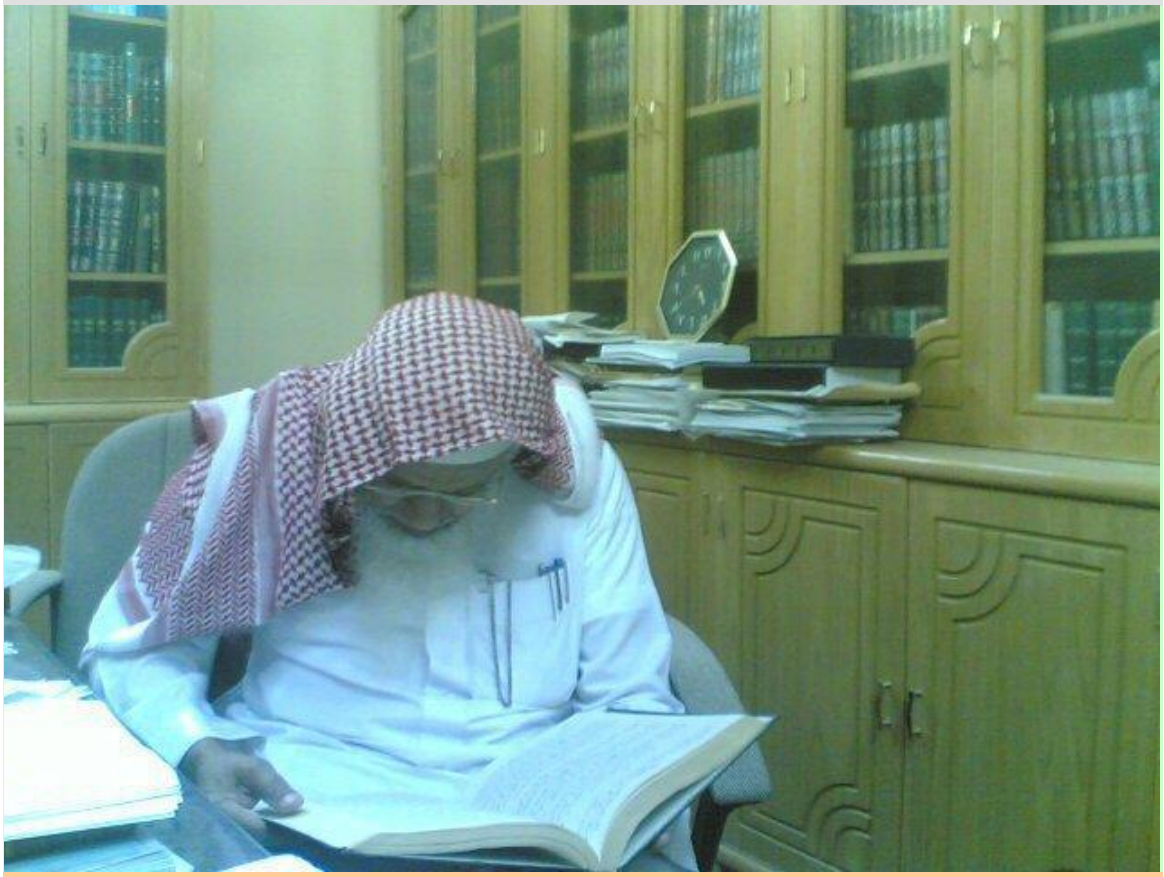

النبي صلى الله عليه وسلم أبًا

الفصل الرابع: النبي صلى الله تعالى عليه وسلم أبًا:

أنجب سيدي رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم سبعة أبناء: ثلاثة ذكورًا، وأربعًا إناثًا، فأما الذكور فهم:

- القاسم عليه السلام، وهو الذي يكنى به الرسول صلى الله تعالى عليه وسلم، وأمه الطاهرة العظيمة خديجة بنت خويلد القرشية رضي الله عنها.
- وعبد الله عليه السلام، وهو الطاهر والطيب، وأمه أيضًا خديجة رضي الله عنها.
- وإبراهيم عليه السلام، أصغر أولاده صلى الله تعالى عليه وسلم الذي توفي عن ثمانية عشر شهرًا على الأشهر، وأمه سيدتي مارية المسلمة رضي الله عنها، وكلهم ماتوا صغارًا رضي الله عنهم.

وأما بناته صلى الله تعالى عليه وسلم فهن:

- زينب عليها السلام، ورضي الله عنها.
- ورقية عليها السلام، ورضي الله عنها.
- أم كلثوم عليها السلام، ورضي الله عنها.
- وفاطمة عليها السلام، ورضي الله عنها، وهي أحبهن إليه صلى الله تعالى عليه وسلم، وكلهن من خديجة عليها السلام ورضي الله عنها..

ولم يعقب صلى الله تعالى عليه وسلم من أزواجه الأخريات.

وقد كبرت بناته عليهن السلام وتزوجن في كنف رجل عظيم، وأب هو خير الآباء صلى الله تعالى عليه وسلم، الذي جاء ليغير نظرة العالم كله للإناث، ويراهن هبة من الله تعالى، وأنهن خير ما يكنز المرء، وباب واسع إلى الجنة، وهو الذي قال صلى الله تعالى عليه وسلم، كما في صحيح مسلم: (من عال جارتين حتى تبلغا جاء يوم القيامة أنا وهو كهاتين وضم أصابعه).

وكان يُسَّر ويستبشر صلى الله عليه وسلم ويفرح لمولد بناته رضي الله عنهن فقد سُرَّ ب(أم أبيها) فاطمة عليها السلام ورضي الله عنها، ولقبها ب(الزهراء) أي الوضيئة ذات الوجه المشرق.

كان سيدي رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم أبا عطوفًا حنونًا، مفارقًا لعوائد البدو وأهل الجاهلية، الذين كانوا أجلافًا غلاظ الأكباد، فكان يبكي، وكان يلاعب.... وكان يقبل، ويعانق أبناءه، ويتلطف معهم بشكل لافت، يعد في زماننا أو بلغتنا أنموذجًا على التحضر، والبر، وإحسان التربية، والعناية بالأبناء:

ففي البخاري وغيره، عن أمي عائشة عليها السلام ورضي الله عنها، قالت: جاء أعرابي إلى النبي صلى الله تعالى عليه وسلم فقال: تقبلون الصبيان؟ فما نقبلهم، فقال النبي صلى الله تعالى عليه وسلم: (أو أملك لك أن نزع الله من قلبك الرحمة).

ونصه في مسلم، عنها عليها السلام ورضي الله عنها، قالت: قدم ناس من الأعراب على رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم، فقالوا: أتقبلون صبيانكم؟ فقالوا: نعم. فقالوا: لكنا والله ما نقبل. فقال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم: (أوأملك إن كان الله نزع منكم الرحمة؟).

وفي البخاري وغيره عن سيدي أبي هريرة رضي الله عنه قال: قبل رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم الحسن بن علي، وعنده الأقرع بن حابس التميمي جالسًا، فقال الأقرع: إن لي عشرة من الولد ما قبلت منهم أحدًا، فنظر إليه رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم، ثم قال: (من لا يرحم لا يرحم).

وكان صلى الله تعالى عليه وسلم لصيقًا بأولاد أبنائه وبناته يحملهم حتى في الصلاة..

ففي مسلم عن أبي قتادة الأنصاري الحارث بن ربعي رضي الله تعالى عنه قال: رأيت النبي صلى الله تعالى عليه وسلم يؤم الناس، وأُمامة بنت أبي العاص – وهي ابنة زينب بنت النبي صلى الله تعالى عليه وسلم – على عاتقه؛ فإذا ركع وضعها، وإذا رفع من السجود أعادها!

وفي صحيح سنن النسائي عن سيدي شداد بن الهاد الليثي رضي الله تعالى عنه، قال: خرج علينا رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم في إحدى صلاتي العشاء، وهو حامل حسنًا أو حسينًا، فتقدم رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم، فوضعه، ثم كبر للصلاة، فصلى، فسجد بين ظهراني صلاته سجدة أطالها، قال أبي: فرفعت رأسي، وإذا الصبي على ظهر رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وهو ساجد، فرجعت إلى سجودي، فلما قضى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم، قال الناس: يا رسول الله! إنك سجدت بين ظهراني صلاتك سجدة أطلتها! حتى ظننا أنه قد حدث أمر، أو أنه يوحى إليك! قال: كل ذلك لم يكن؛ ولكن ابني ارتحلني، فكرهت أن أعجله، حتى يقضي حاجته)!

وفي سنن أبي داود، عن سيدي بريدة بن الحصيب رضي الله عنه، قال: خطبنا رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فأقبل الحسن والحسين رضي الله عنهما، عليهما قميصان أحمران، يعثران ويقومان، فنزل صلى الله تعالى عليه وسلم، فأخذهما، فصعد بهما المنبر، ثم قال صلى الله تعالى عليه وسلم: [صدق الله (إنما أموالكم وأولادكم فتنة] رأيت هذين فلم أصبر) ثم أخذ صلى الله تعالى عليه وسلم في الخطبة.

وكان صلى الله تعالى عليه وسلم يعلن حبه أولاده:

وفي صحيح سنن الترمذي عن سيدي البراء بن عازب رضي الله عنه أن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم أبصر حسنا وحسينا فقال: (اللهم إني أحبهما فأحبهما).

وكان صلى الله تعالى عليه وسلم يهش لهم ويستقبلهم:

فقد أخرج الترمذي عن أمي عائشة رضي الله تعالى، عنها قالت: ما رأيت أحدًا أشبه سمتًا ودلًا وهديا برسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم في قيامها وقعودها من فاطمة بنت رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم. وكانت إذا دخلت على النبي صلى الله تعالى عليه وسلم قام إليها فقبلها، وأجلسها في مجلسه، وكان النبي صلى الله تعالى عليه وسلم إذا دخل عليها قامت من مجلسها فقبلته، وأجلسته في مجلسها..... الحديث.

وكان صلى الله تعالى عليه وسلم يرقيهم ويعوذهم:

ففي البخاري عن سيدي ابن عباس عليهما السلام ورضي الله عنهما قال: (كان النبي صلى الله تعالى عليه وسلم يعوذ الحسن والحسين، ويقول: (إن أباكما كان يعوذ بها إسماعيل وإسحق: أعوذ بكلمات الله التامة، من كل شيطان وهامة، ومن كل عين لامة).

وكان صلى الله تعالى عليه وسلم ينزههم عن الدنايا، وينشئهم على العزة:

ففي البخاري عن سيدي أبي هريرة رضي الله عنه، قال: كان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم يؤتى بالتمر عند صرام النخل، فيجيء هذا بتمره، وهذا من تمره، حتى يصير عنده (ما جيء به) كومًا من تمر، فجعل الحسن والحسين رضي الله عنهما يلعبان بذلك التمر، فأخذ أحدهما تمرة فجعله في فيه، فنظر إليه رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فأخرجها من فيه، فقال: أما علمت أن آل محمد صلى الله تعالى عليه وسلم لا يأكلون الصدقة!؟

وسن لنا فيهم صلى الله تعالى عليه وسلم العقيقة والأذان والتسمية وغيرها:

ففي تحفة المحتاج عن أمي عائشة رعليها السلام ورضي الله عنها قالت: عق رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم عن الحسن والحسين يوم السابع، وسماهما، وأمر أن يماط عن رؤوسهما الأذى.

وكان صلى الله تعالى عليه وسلم يضمهم ويشمهم:

ففي صحيح سنن ابن ماجه رحمه الله عن سيدي يعلى العامري، قال: جاء الحسن والحسين يسعيان إلى النبي صلى الله تعالى عليه وسلم فضمهما إليه، وقال: (إن الولد مبخلة مجبنة).

وكان صلى الله تعالى عليه وسلم يبشرهم دائمًا بالخير:

ففي صحيح الجامع عن سيدي حذيفة رضي الله عنه مرفوعًا: (إن هذا ملك لم ينزل الأرض قط قبل هذه الليلة، استأذن ربه أن يسلم علي، ويبشرني بأن فاطمة سيدة نساء أهل الجنة، و أن الحسن والحسين سيدا شباب أهل الجنة).

وكان صلى الله تعالى عليه وسلم يركبهم دابته معه:

ففي مسلم وغيره، عن سلمة رضي الله عنه، قال: لقد قدت بنبي الله صلى الله تعالى عليه وسلم والحسن والحسين بغلته الشهباء، حتى أدخلتهم حجرة النبي صلى الله تعالى عليه وسلم؛ هذا قدامه، وهذا خلفه).

وكان صلى الله تعالى عليه وسلم يشعرهم بمعنى العائلة:

ففي مسلم عن أمي عائشة عليها السلام ورضي عنها قالت: خرج النبي صلى الله تعالى عليه وسلم غداة وعليه مرط مرحل، من شعر أسود. فجاء الحسن بن علي فأدخله، ثم جاء الحسين فدخل معه، ثم جاءت فاطمة فأدخلها، ثم جاء علي فأدخله، ثم قال (إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيرًا) الأحزاب/ 33.

وفي در السحابة وغيره عن سيدي سعد ابن أبي وقاص رضي الله عنه قال: دخلت على رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم، والحسن والحسين يلعبان على بطنه، فقلت يا رسول الله أتحبهما؟ قال صلى الله تعالى عليه وسلم: ومالي لا أحبهما وهما ريحانتاي؟!

وفي البخاري عن سيدي ابن عمر رضي الله تعالى عنهما، وسأله رجل عن دم البعوض، فقال: ممن أنت؟ فقال: من أهل العراق، قال: انظروا إلى هذا، يسألني عن دم البعوض، وقد قتلوا ابن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم، وسمعت النبي صلى الله تعالى عليه وسلم يقول: (هما ريحانتاي من الدنيا)!

وفي صحيح الجامع عن سيدي يعلى بن مرة رضي الله عنه، مرفوعًا: (حسين مني، وأنا منه، أحب الله من أحب حسينا، الحسن والحسين من الأسباط).

وقالت عائشة رضي الله عنها: اجتمع نساء النبي صلى الله تعالى عليه وسلم فلم يُغادر منهن امرأة، فجاءت فاطمة تمشي كان مشيتها مشية رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم، فقال: مرحبا بابنتي، فأجلسها عن يمينه أو عن شماله، ثم أنه أسرّ إليها حديثًا، فبكت فاطمة، ثم إنه سارّها، فضحكت أيضا، فقلت لها: ما يبكيك؟ فقالت: ما كنت لأفشي سرّ رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم، فقلت: ما رأيت كاليوم فرحًا أقرب من

حزن، فقلت لها حين بَكَتْ: أخصّك رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم بحديثه دوننا ثم تبكين، وسألتها عما قال، فقالت: ما كنت لأفشي سرّ رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم حتى إذا قُبض سألتها، فقالت: إنه كان حدثني أن جبريل كان يعارضه بالقرآن كل عام مرة، وأنه عارضه به في العام مرتين، ولا أراني إلا قد حضر أجلي، وإنك أول أهلي لحوقًا بي، ونعم السلف أنا لك، فبكيت لذلك، ثم إنه سارّني، فقال: ألا ترضين أن تكوني سيدة نساء المؤمنين، أو سيدة نساء هذه الأمة، فضحكت لذلك، رواه البخاري ومسلم،

وكان صلى الله تعالى عليه وسلم يقوم لها وتقوم له، ويُقبّلها وتُقبّله رضي الله عنها،

وَأَخْرَجَ يَعْقُوب بْن سُفْيَان بِسَنَدٍ مَوْصُول إِلَى أَنَس قَالَ:)أَبْطَأَ عَلَى رَسُول اللَّه صلى الله تعالى عليه وسلم خَبَرهمَا، فَقَدِمَتْ اِمْرَأَة فَقَالَتْ لَهُ: لَقَدْ رَأَيْتهمَا وَقَدْ حَمَلَ عُثْمَان اِمْرَأَته عَلَى حِمَار، فَقَالَ:صَحِبَهُمَا اللَّه إِنَّ عُثْمَان لأَوَّل مَنْ هَاجَرَ بِأَهْلِهِ بَعْد لُوط

وكان صلى الله تعالى عليه وسلم يرق لهم عند النازلة:

ففي الصحيح المسند للوادعي، عن أمي عائشة الصديقة عليها السلام ورضي الله عنها، قالت: لما بعث أهل مكة في فداء أسراهم، بعثت زينب بنت رسول الله صلى الله تعالى عليه وعلى آله وسلم في فداء أبي العاص بن الربيع بمال، وبعثت فيه بقلادة لها كانت لخديجة أدخلتها بها على أبي العاص، حين بنى بها. فلما رآها رسول الله صلى الله تعالى عليه وعلى آله وسلم رق لها رقة شديدة وقال: إن رأيتم أن تطلقوا لها أسيرها، وتردوا عليها الذي لها فافعلوا، فقالوا: نعم يا رسول الله، فأطلقوه، وردوا عليها الذي لها.

وكان صلى الله تعالى عليه وسلم يبعد عنهم ما يزعجهم:

ففي مسلم عن سيدي المسور بن مخرمة رضي الله عنه أن علي ابن أبي طالب رضي الله عنه خطب بنت أبي جهل، وعنده فاطمة بنت رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم، فلما سمعت بذلك فاطمة أتت النبي صلى الله تعالى عليه وسلم، فقالت له: إن قومك يتحدثون أنك لا تغضب لبناتك؛ وهذا علي ناكحًا ابنة أبي جهل!

قال المسور: فقام النبي صلى الله تعالى عليه وسلم، فسمعته حين تشهد، ثم قال صلى الله تعالى عليه وسلم: (أما بعد: فإني أنكحت أبا العاص ابن الربيع، فحدثني فصدقني، وإن فاطمة بنت محمد مضغة مني، وإنما أكره أن يفتنوها، وإنها والله لا تجتمع بنت رسول الله وبنت عدو الله عند رجل واحد أبدًا) فترك علي رضي الله عنه الخطبة.

وكان صلى الله تعالى عليه وآله وسلم يسعى في عافيتهم:

فقد روت أمي عائشة رضي الله تعالى عنها – كما في در السحابة بسند رجاله رجال الصحيح – أن رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم لما قدم المدينة خرجت ابنته زينب عليها السلام ورضي الله عنها من مكة مع كنانة أو ابن كنانة، فخرجوا في طلبها، فأدركها هبار بن الأسود، فلم يزل يطعن بعيرها برمحه، حتى صرعها، وألقت رضي الله عنها ما في بطنها، وهريقت دمًا، فتخلت. واشتجر فيها بنو هاشم وبنو أمية، فقال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم لزيد بن حارثة: (ألا تنطلق فتجيء بزينب)؟ قال: بلى يا رسول الله، قال صلى الله تعالى عليه وسلم: (فخذ خاتمي فأعطها إياه) فانطلق زيد، فلم يزل يتلطف، فلقي راعيًا، فقال: لمن ترعى؟ قال: لأبي العاص. فقال: لمن هذه الغنم؟ قال: لزينب بنت محمد. ثم قال: هل لك أن أعطيك شيئًا تعطيها إياه ولا تذكره لأحد؟ قال: نعم. فأعطاه الخاتم، وانطلق الراعي، وأدخل غنمه، وأعطاها الخاتم فعرفته، فقالت: من أعطاك هذا؟ قال: رجل، قالت: فأين تركته؟ قال: بمكان كذا وكذا. فسكتت، حتى إذا كان الليل خرجت إليه، فلما جاءته قال لها: اركبي بين يدي على بعيري، قالت: لا، ولكن اركب أنت بين يدي: فركب وركبت وراءه؛ حتى أتت. فكان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم يقول: هي خير بناتي، أصيبت فيّ.....

ويزين صلى الله تعالى عليه وسلم الإناث منهم ويدللهن:

ففي در السحابة عن أمي عائشة الصديقة عليها السلام ورضي الله عنها، قالت: أهدي لرسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم قلادة من جزع، ملمعة بالذهب، ونساؤه مجتمعات في بيت كلهن، وأمامة بنت زينب بنت رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم –

وهي بنت أبي العاص ابن الربيع – جارية تلعب في جانب البيت بالتراب، فقال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم: (كيف ترين هذه)؟ فنظرنا إليها، فقلنا يا رسول الله ما رأينا أحسن من هذه قط، ولا أعجب.فقال صلى الله تعالى عليه وسلم: (اردنها إليّ) فلما أخذها قال: (والله لأضعنها في رقبة أحب أهل البيت إليّ) قالت عائشة رضي الله عنها: فأظلمت عليَّ الأرض بيني وبينه؛ خشية أن يضعها في رقبة غيري منهن، ولا أراهن إلا قد أصابهن مثل الذي أصابني، ووجمن جميعًا، فأقبل بها، حتى وضعها في رقبة أمامة بنت أبي العاص، فسري عنا.

وكان صلى الله تعالى عليه وسلم يدعو لهم:

ففي آداب الزفاف، عن سيدي بريدة رضي الله عنه، قال: قال نفر من الأنصار لعلي رضي الله تعالى عنه: عندك فاطمة، فأتى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فسلم عليه، فقال: ما حاجة ابن أبي طالب؟ فقال: يا رسول الله! ذكرت فاطمة بنت رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم، فقال: مرحبًا وأهلا، لم يزد عليهما.

فخرج علي بن أبي طالب على أولئك الرهط من الأنصار ينتظرونه، قالوا: ما وراءك؟ قال: ما أدري؛ غير أنه قال لي: مرحبًا وأهلا، فقالوا: يكفيك من رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم إحداهما، أعطاك الأهل والمرحب! فلما كان بعد ذلك، بعدما زوجه قال، يا علي إنه لا بد للعروس من وليمة، فقال سعد: عندي كبش، وجمع له رهط من الأنصار أصوعًا من ذرة، فلما كانت ليلة البناء قال: لا تحدث شيئًا حتى تلقاني، فدعا رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم بماء فتوضأ فيه، ثم أفرغه على علي، فقال: اللهم بارك فيهما، وبارك لهما في بنائهما.

وكان صلى الله تعالى عليه وسلم يسعى في أمرهم بالمعروف ودلالتهم على الخير:

ففي مسلم عن سيدي أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم حين أنزل عليه: {وأنذر عشيرتك الأقربين} الشعراء/ 214 (يا معشر قريش! اشتروا أنفسكم من الله؛ لا أغني عنكم من الله شيئًا! يا بني عبد المطلب! لا أغني عنكم

من الله شيئًا، يا عباس بن عبد المطلب! لا أغني عنك من الله شيئًا! يا صفية عمة رسول الله! لا أغني عنك من الله شيئًا! يا فاطمة بنت رسول الله! سليني بما شئت؛ لا أغني عنك من الله شيئًا).

وفي البخاري عن سيدي علي رضي الله تعالى عنه أن رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم طرقه وفاطمة بنت رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ليلة، فقال لهم: (ألا تصلون)؟ قال علي: يا رسول الله، إنما أنفسنا بيد الله، فإذا شاء أن يبعثنا بعثنا، فانصرف رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم حين قلت ذلك، ولم يرجع إلي شيئًا، ثم سمعته وهو مدبر، يضرب فخذه، ويقول: {وكان الإنسان أكثر شيء جدلا}.

وفي سنن أبي داود عن ضباعة أو أم الحكم بنت الزبير رضي الله تعالى عنهم، قالت: أصاب رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم سبيًا، فذهبت أنا وأختي وفاطمة بنت رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم، فشكونا إليه ما نحن فيه، وسألناه أن يأمر لنا بشيء من السبي. فقال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم: (سبقكن يتامى بدر؛ لكن سأدلكن على ما هو خير لكن من ذلك: تكبرن الله على إثر كل صلاة ثلاثًا وثلاثين تكبيرة، وثلاثًا وثلاثين تسبيحة، وثلاثًا وثلاثين تحميدة، ولا إله إلا الله، وحده لا شريك له، له الملك، وله الحمد، وهو على كل شيء قدير).

وفي أبي داود في رواية عن سيدي علي ابن أبي طالب عليه السلام ورضي الله عنه قال: ألا أحدثك عني وعن فاطمة بنت رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم – وكانت من أحب أهله إليه –؟ قلت: بلى. قال رضي الله عنه: إنها جرت بالرحى حتى أثر في يدها، واستقت بالقربة حتى أثر في نحرها، وكنست البيت حتى اغبرت ثيابها، فأتى النبيَّ صلى الله تعالى عليه وسلم خدم، فقلت: لو أتيتِ أباك فسألتِه خادمًا؟! فأتته، فوجدت عنده حداثا، فرجعت، فأتاها صلى الله تعالى عليه وسلم من الغد، فقال: (ما كان حاجتك)؟ فسكتت. فقلت: أنا أحدثك يا رسول الله: جرت بالرحى حتى أثرت في يدها، وحملت بالقربة حتى أثرت في نحرها، فلما أن جاءك الخدم أمرتها أن تأتيك فتستخدمك خادمًا

يقيها حر ما هي فيه. قال صلى الله تعالى عليه وسلم: (اتقي الله يا فاطمة، وأدي فريضة ربك، واعملي عمل أهلك؛ فإذا أخذت مضجعك فسبحي ثلاثًا وثلاثين، واحمدي ثلاثًا وثلاثين، وكبري أربعًا وثلاثين، فتلك مائة، فهي خير لك من خادم). قالت رضي الله عنها: رضيت عن الله عز وجل، وعن رسوله صلى الله تعالى عليه وسلم.

وكان صلى الله تعالى عليه وسلم يتابع أحوالهم حتى عند الموت:

ففي البخاري عن سيدتي نسيبة أم عطية الأنصارية، قالت: لما غسلنا بنت النبي صلى الله تعالى عليه وسلم قال لناونحن نغسلها: ابدؤوا بميامنها، ومواضع الوضوء.

ويروي الإمام مسلم عن سيدتي أم عطية رضي الله عنها أنه لما ماتت زينب بنت رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم، قال لنا رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم: (اغسلنها وترًا؛ ثلاثًا أو خمسًا، واجعلن في الخامسة كافورًا – أو شيئا من كافور – فإذا غسلتنها فأعلمنني). قالت رضي الله عنها: فأعلمناه صلى الله تعالى عليه وسلم. فأعطانا حقوه وقال: (أشعرنها إياه). أي: اجعلنه شعارًا أو ثوبًا ملاصقًا لجسدها، بركة ووقاية.

وفي خلاصة البدر المنير تروي سيدتي ليلى بنت قانف الثقفية، قالت: كنت فيمن غسل أم كلثوم بنت رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم، فكان أول ما أعطانا رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم: الحقاء، ثم الدرع، ثم الخمار، ثم الملحفة، ثم أدرجت بعد في الثوب الآخر. قالت: ورسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم جالس عند الباب، ومعه كفنها، يناولنا ثوبًا ثوبًا).

وفي معجم الشيوخ لابن عساكر بسند حسن غريب، عن سيدي أنس رضي الله عنه، قال: توفيت زينب بنت النبي صلى الله تعالى عليه وسلم، فخرج بجنازتها، وخرجنا معه صلى الله تعالى عليه وسلم، فرأيناه كئيبًا حزينًا، ثم دخل النبي صلى الله تعالى عليه وسلم قبرها، فخرج ملتمع اللون، فسألناه عن ذلك، فقال صلى الله تعالى عليه وسلم: إنها كانت امرأة مسقامًا، فذكرت شدة الموت، وضغطة القبر، فدعوت الله عز وجل، فخفف عنها.

وفي البخاري عن سيدي أسامة بن زيد رضي الله عنهما، قال: أرسلت ابنة النبي صلى الله تعالى عليه وسلم إليه: إن ابنًا لي قبض، فائتنا، فأرسل صلى الله تعالى عليه وسلم يقرئ السلام، ويقول: (إن لله ما أخذ، وله ما أعطى، وكل عنده بأجل مسمى، فلتصبر ولتحتسب). فأرسلت إليه تقسم عليه ليأتينها، فقام، ومعه: سعد بن عبادة، ومعاذ بن جبل، وأبي بن كعب، وزيد بن ثابت، ورجال، فرفع إلى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم الصبي ونفسه تتقعقع، كأنها شن، ففاضت عيناه، فقال سعد: يا رسول الله، ما هذا؟ فقال صلى الله تعالى عليه وسلم: هذه رحمة، جعلها الله في قلوب عباده، وإنما يرحم الله من عباده الرحماء!

وفي مسلم عن سيدي جابر بن عبد الله رضي الله تعالى عنهما، قال: انكسفت الشمس في عهد رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم، يوم مات إبراهيم ابن رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم، فقال الناس: إنما انكسفت لموت إبراهيم!

فقام النبي صلى الله تعالى عليه وسلم فصلى بالناس ست ركعات بأربع سجدات. بدأ فكبر، ثم قرأ فأطال القراءة، ثم ركع نحوًا مما قام، ثم رفع رأسه صلى الله تعالى عليه وسلم من الركوع فقرأ قراءة دون القراءة الأولى، ثم ركع صلى الله تعالى عليه وسلم نحوًا مما قام، ثم رفع رأسه من الركوع فقرأ قراءة دون القراءة الثانية، ثم ركع صلى الله تعالى عليه وسلم نحوًا مما قام، ثم رفع رأسه من الركوع. ثم انحدر صلى الله تعالى عليه وسلم بالسجود فسجد سجدتين، ثم قام صلى الله تعالى عليه وسلم فركع أيضا ثلاث ركعات، ليس فيها ركعة إلا التي قبلها أطول من التي بعدها، وركوعه نحوًا من سجوده، ثم تأخر وتأخرت الصفوف خلفه، حتى انتهينا، (وقال أبو بكر: حتى انتهى إلى النساء) ثم تقدم صلى الله تعالى عليه وسلم وتقدم الناس معه، حتى قام في مقامه، فانصرف حين انصرف، وقد آضت الشمس، فقال صلى الله تعالى عليه وسلم: (يا أيها الناس! إنما الشمس والقمر آيتان من آيات الله، وإنهما لا ينكسفان لموت أحد من الناس (وقال أبو بكر: لموت بشر) فإذا رأيتم شيئًا من ذلك فصلوا حتى تنجلى. ما من شيء توعدونه إلا قد

رأيته في صلاتي هذه. لقد جيء بالنار، وذلكم حين رأيتموني تأخرت مخافة أن يصيبني من لفحها. وحتى رأيت فيها صاحب المحجن يجر قصبه في النار. كان يسرق الحاج بمحجنه. فإن فطن له قال: إنما تعلق بمحجني. وإن غفل عنه ذهب به! وحتى رأيت فيها صاحبة الهرة التي ربطتها فلم تطعمها، ولم تدعها تأكل من خشاش الأرض، حتى ماتت جوعا. ثم جيء بالجنة، وذلكم حين رأيتموني تقدمت، حتى قمت في مقامي. ولقد مددت يدي وأنا أريد أن أتناول من ثمرها لتنظروا إليه. ثم بدا لي ألا أفعل. فما من شيء توعدونه إلا قد رأيته في صلاتي هذ).

وفي صحيح سنن ابن ماجه رحمه الله، عن سيدتي أسماء بنت يزيد رضي الله تعالى عنها قالت: لما توفي ابن رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم إبراهيم بكى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم، فقال له المعزي – إما أبو بكر وإما عمر –: أنت أحق من عظم الله حقه، فقال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم: (تدمع العين، ويحزن القلب، ولا نقول ما يسخط الرب تعالى؛ لولا أنه وعد صادق، وموعود جامع، وأن الآخر تابع للأول، لوجدنا عليك يا إبراهيم أفضل مما وجدنا، وإنا بك لمحزونون)!

وفي شرح السنة عن سيدي جابر بن عبد الله رضي الله تعالى عنهما قال: أخذ النبي صلى الله تعالى عليه وسلم بيد عبد الرحمن بن عوف حتى أتى به النخل، فإذا هو بإبراهيم ابن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم في حجر أمه، وهو يجود بنفسه، فذرفت عيناه صلى الله تعالى عليه وسلم، فبكى، فقال له عبد الرحمن: يا رسول الله تبكي! ألم تنه عن البكاء؟! فقال صلى الله تعالى عليه وسلم: إنما نهيت عن صوتين أحمقين فاجرين: صوت عند نغمة لهو ولعب، ومزامير شيطان، وصوت عند مصيبة خمش وجوه، وشق جيوب، ورنة الشيطان. وهذه رحمة، ومن لا يرحم لا يرحم، يا إبراهيم لولا أنه قول حق، ووعد صادق، وسبيل مأتية، وأن آخرنا يلحق بأولنا، لحزنا عليك حزنًا هو أشد من هذا، وإنا بك لمحزونون، تبكي العين، ويوجل القلب، ولا نقول ما يسخط الرب!

وزوجهن صلى الله تعالى عليه وسلم فأحسن تزويجهن:

- **فقد تزوجت زينب عليها السلام ورضي الله تعالى عنها من العاص بن الربيع الذي صان وحفظ، وآمن وصدق. وهو ابن خالتها هالة بنت خويلد، وأبو العاص كان من رجال مكة المعدودين مالًا، وأمانة، وتجارة، وقد أثنى النبي صلى الله عليه وسلم على أبي العاص بن الربيع في مصاهرته خيرًا وقال: (حدثني فصدقني، ووعدني فوفى لي) وكان قد وعد النبي صلى الله تعالى عليه وسلم أن يرجع إلى مكة، بعد وقعة بدر، فيبعث إليه بزينب ابنته، فوفى بوعده، وفارقها مع شدة حبه لها،**
- **وتزوجت رقية وأم كلثوم عليهما السلام ورضي الله تعالى عنهما من عثمان ذي النورين الحيي السخي التقي النقي، رضي الله تعالى عنه وأرضاه.**
- **ونزوجت الزهراء الكاملة فاطمة سيدة نساء العالمين عليها السلام ورضي الله تعالى عنها من علي أسد الله الغالب... رضي الله عنهن.**

وكان صلى الله تعالى عليه وسلم يرضي أزواج بناته، ويرعى حسن عشرتهم معن:

ففي الصحيحين عن سيدي سهل بن سعد رضي الله عنه قال: جاء رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم بيت فاطمة فلم يجد عليًّا في البيت، فقال: «أين ابن عمك؟» قالت: كان بيني وبينه شيء فغاضبني، فخرج، فلم يَقِل عندي، فقال رسول الله لإنسان: «انظر أين هو»، فجاء فقال: يا رسول الله، هو في المسجد راقد، فجاء رسول الله وهو مضطجع قد سقط رداؤه عن شقه، وأصابه تراب، فجعل رسول الله يمسحه عنه ويقول: «قم أبا تراب، قم أبا تراب».

وحين مرضت رقية عليها السلام ورضي الله تعالى عنها في السنة الثانية من الهجرة، وكان النبي صلى الله تعالى عليه وسلم يستعد للخروج إلى بدر، أمر صلى الله تعالى عليه وسلم عُثْمَان وَأُسَامَة بْن زَيْد بالبقاء لرعاية رُقَيَّة فِي مَرَضهَا، فَمَاتَتْ رُقَيَّة عليها السلام حِين وَصَلَ زَيْد بْن حَارِثَة بِالْبِشَارَة!

وروى الإمام البخاري رحمه الله من حديث ابن عمر أن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم جعل لعثمان أجر من شهد بدرًا وسهمه؛ لأنه إنما تغيب بأمره صلى الله تعالى عليه وسلم لتمريض السيدة رقية عليها السلام، ورضي عنها.

وكان صلى الله تعالى عليه وسلم يبكي مصابه فيهم عليهم السلام ورضي عنهم:

فيروي سيدي أنس رضي الله عنه – كما في البخاري – شهدنا بنت رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم، ورسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم جالس على القبر، فرأيت عيناه تدمعان، فقال: هل فيكم من أحد لم يقارف الليلة؟ فقال أبو طلحة: أنا، قال: فانزل في قبرها. فنزل في قبرها فقبرها.

الفصل الخامس: مواقف الآباء في القرآن والسنة

أولًا: مواقف للآباء في القرآن الكريم

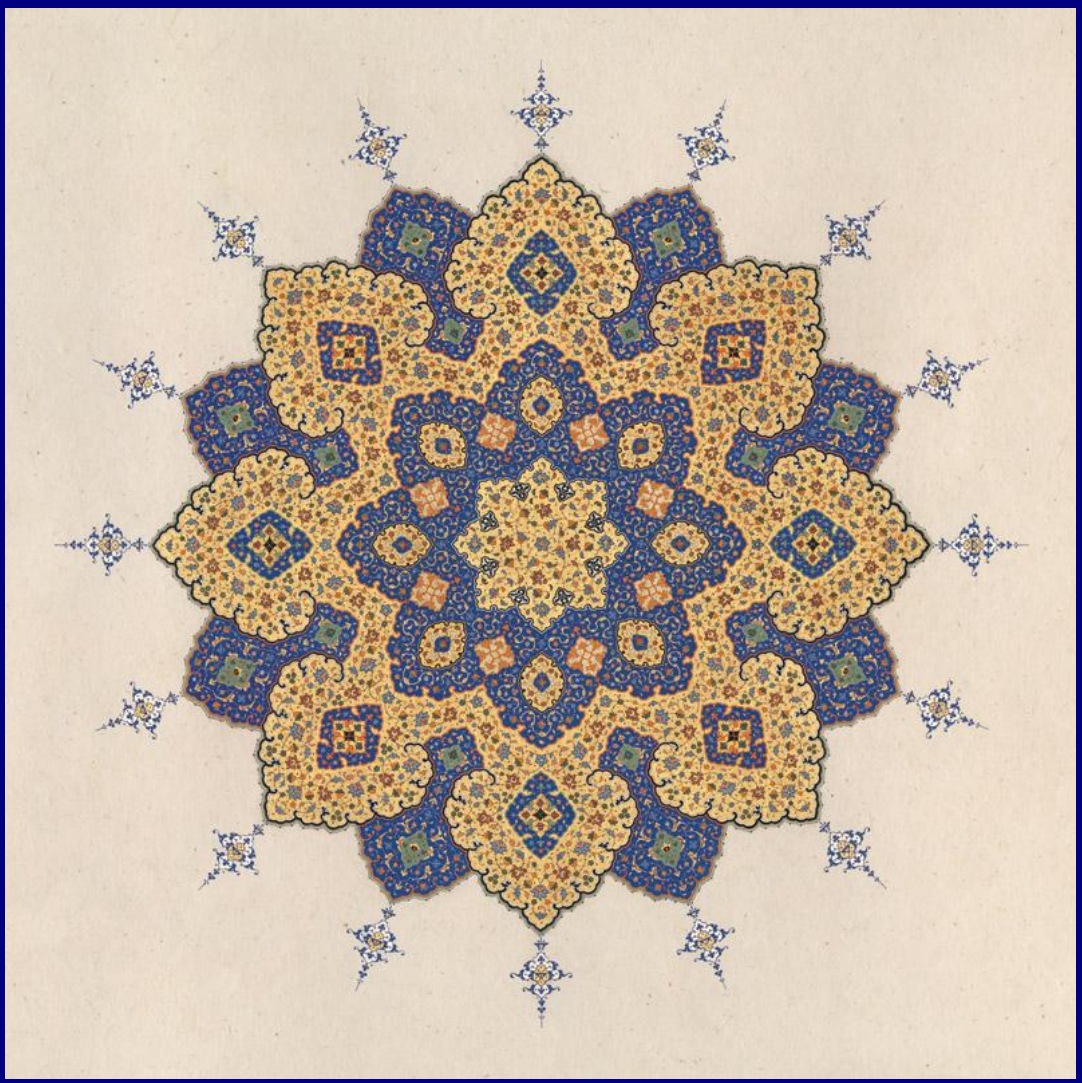

أولا: مواقف للآباء في القرآن الكريم:

يحفل القرآن الكريم بنماذج عديدة وواقعية عديدة للآباء: القريب من الله تعالى والبعيد/ الصالح والطالح/ الحنون والقاسي.. كما حفلت السنة بنماذج عديدة كذلك... وسأورد هذه القصص الحق كلها، والمليئة بالعبر والدلالات كلها، الربانية كلها، فتأمل معي:

نموذج الأب الحريص على هداية ابنه:

ويتمثل في سيدنا نوح صلى الله عليه وسلم، الحريص على هداية ابنه، وأخذه معه إلى توحيد الله تعالى وعافية الآخرة... يقول تعالى في سورة هود: 42-47:

(وَهِيَ تَجْرِي بِهِمْ فِي مَوْجٍ كَالْجِبَالِ، وَنَادَى نُوحٌ ابْنَهُ – وَكَانَ فِي مَعْزِلٍ –: يَا بُنَيَّ ارْكَب مَّعَنَا، وَلاَ تَكُن مَّعَ الْكَافِرِينَ* قَالَ: سَآوِي إِلَى جَبَلٍ يَعْصِمُنِي مِنَ الْمَاء، قَالَ: لاَ عَاصِمَ الْيَوْمَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ؛ إِلاَّ مَن رَّحِمَ، وَحَالَ بَيْنَهُمَا الْمَوْجُ، فَكَانَ مِنَ الْمُغْرَقِينَ* وَقِيلَ: يَا أَرْضُ ابْلَعِي مَاءَكِ، وَيَا سَمَاء أَقْلِعِي، وَغِيضَ الْمَاء،وَقُضِيَ الأَمْرُ، وَاسْتَوَتْ عَلَى الْجُودِيِّ، وَقِيلَ: بُعْدًا لِّلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ* وَنَادَى نُوحٌ رَّبَّهُ، فَقَالَ: رَبِّ إِنَّ ابْنِي مِنْ أَهْلِي، وَإِنَّ وَعْدَكَ الْحَقُّ، وَأَنتَ أَحْكَمُ الْحَاكِمِينَ* قَالَ: يَا نُوحُ إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ، إِنَّهُ عَمَلٌ غَيْرُ صَالِحٍ، فَلاَ تَسْأَلْنِ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ؛ إِنِّي أَعِظُكَ أَن تَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ* قَالَ: رَبِّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ أَنْ أَسْأَلَكَ مَا لَيْسَ لِي بِهِ عِلْمٌ، وَإِلاَّ تَغْفِرْ لِي، وَتَرْحَمْنِي، أَكُن مِّنَ الْخَاسِرِينَ).

نموذج الأب الذي لا يحرم ابنه النصيحة:

يقول تبارك وتعالى في في سورة لقمان: 14-19: (وَوَصَّيْنَا الإِنسَانَ بِوَالِدَيْهِ، حَمَلَتْهُ أُمُّهُ وَهْنًا عَلَى وَهْنٍ، وَفِصَالُهُ فِي عَامَيْنِ: أَنِ اشْكُرْ لِي، وَلِوَالِدَيْكَ، إِلَيَّ الْمَصِيرُ* وَإِن جَاهَدَاكَ عَلَى أَن تُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ، فَلا تُطِعْهُمَا، وَصَاحِبْهُمَا فِي الدُّنْيَا مَعْرُوفًا، وَاتَّبِعْ سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ إِلَيَّ، ثُمَّ إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ، فَأُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ* يَا بُنَيَّ: إِنَّهَا إِن تَكُ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ، فَتَكُن فِي صَخْرَةٍ، أَوْ فِي السَّمَوَاتِ، أَوْ فِي الأَرْضِ، يَأْتِ بِهَا اللَّهُ؛ إِنَّ اللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ* يَا بُنَيَّ: أَقِمِ الصَّلاةَ، وَأْمُرْ بِالْمَعْرُوفِ، وَانْهَ عَنِ الْمُنكَرِ، وَاصْبِرْ عَلَى

مَا أَصَابَكَ؛ إِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الأُمُورِ* وَلا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ، وَلا تَمْشِ فِي الأَرْضِ مَرَحًا؛ إِنَّ اللَّهَ لا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ* وَاقْصِدْ فِي مَشْيِكَ، وَاغْضُضْ مِن صَوْتِكَ؛ إِنَّ أَنكَرَ الأَصْوَاتِ لَصَوْتُ الْحَمِيرِ).

نموذج الأب الذي يعادي دعوة ابنه وفكره ويحاربه:

يقول تبارك وتعالى في سورة مريم عليها السلام: 41-50: (وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِبْرَاهِيمَ: إِنَّهُ كَانَ صِدِّيقًا نَبِيًّا* إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ: يَا أَبَتِ: لِمَ تَعْبُدُ مَا لَا يَسْمَعُ، وَلَا يُبْصِرُ، وَلَا يُغْنِي عَنكَ شَيْئًا* يَا أَبَتِ: إِنِّي قَدْ جَاءَنِي مِنَ الْعِلْمِ مَا لَمْ يَأْتِكَ، فَاتَّبِعْنِي؛ أَهْدِكَ صِرَاطًا سَوِيًّا* يَا أَبَتِ: لَا تَعْبُدِ الشَّيْطَانَ؛ إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلرَّحْمَنِ عَصِيًّا* يَا أَبَتِ:إِنِّي أَخَافُ أَن يَمَسَّكَ عَذَابٌ مِنَ الرَّحْمَنِ؛ فَتَكُونَ لِلشَّيْطَانِ وَلِيًّا (45) قَالَ: أَرَاغِبٌ أَنتَ عَنْ آلِهَتِي يَا إِبْرَاهِيمُ؟ لَئِن لَمْ تَنتَهِ لَأَرْجُمَنَّكَ،وَاهْجُرْنِي مَلِيًّا* قَالَ: سَلَامٌ عَلَيْكَ، سَأَسْتَغْفِرُ لَكَ رَبِّي؛ إِنَّهُ كَانَ بِي حَفِيًّا* وَأَعْتَزِلُكُمْ وَمَا تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ، وَأَدْعُو رَبِّي؛ عَسَى أَلَّا أَكُونَ بِدُعَاءِ رَبِّي شَقِيًّا* فَلَمَّا اعْتَزَلَهُمْ، وَمَا يَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ، وَهَبْنَا لَهُ إِسْحَقَ، وَيَعْقُوبَ، وَكُلًّا جَعَلْنَا نَبِيًّا* وَوَهَبْنَا لَهُمْ مِن رَحْمَتِنَا، وَجَعَلْنَا لَهُمْ لِسَانَ صِدْقٍ عَلِيًّا).

نموذج الأب الذي يخطب لابنته:

يقول تبارك وتعالى في سورة القصص: 28-32: (وَلَمَّا وَرَدَ مَاء مَدْيَنَ وَجَدَ عَلَيْهِ أُمَّةً مِّنَ النَّاسِ يَسْقُونَ، وَوَجَدَ مِن دُونِهِمُ امْرَأَتَيْنِ تَذُودَانِ، قَالَ: مَا خَطْبُكُمَا؟ قَالَتَا: لَا نَسْقِي حَتَّى يُصْدِرَ الرِّعَاء، وَأَبُونَا شَيْخٌ كَبِيرٌ* فَسَقَى لَهُمَا، ثُمَّ تَوَلَّى إِلَى الظِّلِّ، فَقَالَ: رَبِّ إِنِّي لِمَا أَنزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ* فَجَاءتْهُ إِحْدَاهُمَا تَمْشِي عَلَى اسْتِحْيَاء، قَالَتْ: إِنَّ أَبِي يَدْعُوكَ لِيَجْزِيَكَ أَجْرَ مَا سَقَيْتَ لَنَا، فَلَمَّا جَاءهُ وَقَصَّ عَلَيْهِ الْقَصَصَ، قَالَ: لَا تَخَفْ؛ نَجَوْتَ مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ* قَالَتْ إِحْدَاهُمَا: يَا أَبَتِ اسْتَأْجِرْهُ؛ إِنَّ خَيْرَ مَنِ اسْتَأْجَرْتَ الْقَوِيُّ الْأَمِينُ* قَالَ: إِنِّي أُرِيدُ أَنْ أُنكِحَكَ إِحْدَى ابْنَتَيَّ هَاتَيْنِ؛ عَلَى أَن تَأْجُرَنِي ثَمَانِيَ حِجَجٍ، فَإِنْ أَتْمَمْتَ عَشْرًا فَمِنْ عِندِكَ، وَمَا أُرِيدُ أَنْ أَشُقَّ عَلَيْكَ،سَتَجِدُنِي إِن شَاء اللَّهُ مِنَ الصَّالِحِينَ* قَالَ: ذَلِكَ بَيْنِي وَبَيْنَكَ. أَيَّمَا الْأَجَلَيْنِ قَضَيْتُ فَلَا عُدْوَانَ عَلَيَّ، وَاللَّهُ عَلَى مَا نَقُولُ وَكِيلٌ).

نموذج الأب الداعية الصبور، الذي يدعو لابنه العاق:

يقول تعالى في سورة الأحقاف:17-18: (وَالَّذِي قَالَ لِوَالِدَيْهِ: أُفٍّ لَكُمَا؛ أَتَعِدَانِنِي أَنْ أُخْرَجَ، وَقَدْ خَلَتِ الْقُرُونُ مِن قَبْلِي، وَهُمَا يَسْتَغِيثَانِ اللَّهَ: وَيْلَكَ، آمِنْ؛ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ، فَيَقُولُ: مَا هَذَا إِلَّا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ* أُولَئِكَ الَّذِينَ حَقَّ عَلَيْهِمُ الْقَوْلُ، فِي أُمَمٍ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِم، مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنسِ، إِنَّهُمْ كَانُوا خَاسِرِينَ).

نموذج الأب المؤثر في حياة الولد:

في موضوعين من سورة الكهف: 80-82 يقول تعالى:

(وَأَمَّا الْغُلَامُ فَكَانَ أَبَوَاهُ مُؤْمِنَيْنِ، فَخَشِينَا أَن يُرْهِقَهُمَا طُغْيَانًا وَكُفْرًا* فَأَرَدْنَا أَن يُبْدِلَهُمَا رَبُّهُمَا خَيْرًا مِنْهُ زَكَاةً، وَأَقْرَبَ رُحْمًا*

وَأَمَّا الْجِدَارُ فَكَانَ لِغُلَامَيْنِ يَتِيمَيْنِ فِي الْمَدِينَةِ، وَكَانَ تَحْتَهُ كَنزٌ لَهُمَا، وَكَانَ أَبُوهُمَا صَالِحًا؛ فَأَرَادَ رَبُّكَ أَنْ يَبْلُغَا أَشُدَّهُمَا، وَيَسْتَخْرِجَا كَنزَهُمَا؛ رَحْمَةً مِن رَبِّكَ، وَمَا فَعَلْتُهُ عَنْ أَمْرِي؛ ذَلِكَ تَأْوِيلُ مَا لَمْ تَسْطِعْ عَلَيْهِ صَبْرًا).

نموذج الأب الذي يوصي قبل وفاته:

كما في قوله تعالى في سورة البقرة:133: (أَمْ كُنتُمْ شُهَدَاء، إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ الْمَوْتُ، إِذْ قَالَ لِبَنِيهِ: مَا تَعْبُدُونَ مِن بَعْدِي؟ قَالُواْ: نَعْبُدُ إِلَهَكَ، وَإِلَهَ آبَائِكَ إِبْرَاهِيمَ، وَإِسْمَاعِيلَ، وَإِسْحَقَ إِلَهًا وَاحِدًا، وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ).

نموذج الأب الذي يدعو لذريته بالبركة والتوفيق وسعة الرزق..

كما في قوله تعالى في سورة إبراهيم عليه السلام: (وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ: رَبِّ اجْعَلْ هَذَا الْبَلَدَ آمِنًا، وَاجْنُبْنِي وَبَنِيَّ أَن نَّعْبُدَ الأَصْنَامَ* رَبِّ: إِنَّهُنَّ أَضْلَلْنَ كَثِيرًا مِّنَ النَّاسِ، فَمَن تَبِعَنِي فَإِنَّهُ مِنِّي، وَمَنْ عَصَانِي فَإِنَّكَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ* رَّبَّنَا: إِنِّي أَسْكَنتُ مِن ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ عِندَ بَيْتِكَ الْمُحَرَّمِ؛ رَبَّنَا لِيُقِيمُواْ الصَّلاةَ، فَاجْعَلْ أَفْئِدَةً مِّنَ النَّاسِ تَهْوِي إِلَيْهِمْ، وَارْزُقْهُم مِّنَ الثَّمَرَاتِ؛ لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ* رَبَّنَا إِنَّكَ تَعْلَمُ مَا نُخْفِي وَمَا نُعْلِنُ، وَمَا يَخْفَى عَلَى اللَّهِ مِن شَيْءٍ فِي الأَرْضِ، وَلاَ فِي السَّمَاء* الْحَمْدُ لِلَّهِ، الَّذِي وَهَبَ لِي عَلَى الْكِبَرِ إِسْمَاعِيلَ

وَإِسْحَقَ؛ إِنَّ رَبِّي لَسَمِيعُ الدُّعَاءِ* رَبِّ اجْعَلْنِي مُقِيمَ الصَّلاةِ، وَمِن ذُرِّيَّتِي، رَبَّنَا وَتَقَبَّلْ دُعَاءِ* رَبَّنَا اغْفِرْ لِي، وَلِوَالِدَيَّ، وَلِلْمُؤْمِنِينَ، يَوْمَ يَقُومُ الْحِسَابُ).

نموذج الأب المشتاق للولد، في قصتي إبراهيم وزكريا عليهما السلام:

ففي قصة إبراهيم عليه السلام ينزل الملك عليه عليه السلام بالبشرى، كما ورد في سورة هود عليه السلام: 69-75: (وَلَقَدْ جَاءَتْ رُسُلُنَا إِبْرَاهِيمَ بِالْبُشْرَى، قَالُواْ: سَلاَمًا. قَالَ: سَلاَمٌ، فَمَا لَبِثَ أَن جَاءَ بِعِجْلٍ حَنِيذٍ* فَلَمَّا رَأَى أَيْدِيَهُمْ لاَ تَصِلُ إِلَيْهِ نَكِرَهُمْ، وَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً، قَالُواْ: لاَ تَخَفْ؛ إِنَّا أُرْسِلْنَا إِلَى قَوْمِ لُوطٍ* وَامْرَأَتُهُ قَائِمَةٌ، فَضَحِكَتْ، فَبَشَّرْنَاهَا بِإِسْحَقَ، وَمِن وَرَاء إِسْحَقَ يَعْقُوبَ* قَالَتْ: يَا وَيْلَتَى! أَأَلِدُ وَأَنَاْ عَجُوزٌ، وَهَذَا بَعْلِي شَيْخًا!؟ إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ عَجِيبٌ* قَالُواْ: أَتَعْجَبِينَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ؟ رَحْمَتُ اللَّهِ وَبَرَكَاتُهُ عَلَيْكُمْ أَهْلَ الْبَيْتِ؛ إِنَّهُ حَمِيدٌ مَّجِيدٌ* فَلَمَّا ذَهَبَ عَنْ إِبْرَاهِيمَ الرَّوْعُ، وَجَاءَتْهُ الْبُشْرَى، يُجَادِلُنَا فِي قَوْمِ لُوطٍ* إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لَحَلِيمٌ، أَوَّاهٌ، مُّنِيبٌ).

وفي حكاية زكريا في سورة مريم عليهما السلام يقول تبارك وتعالى: 1-15: {كهيعص* ذِكْرُ رَحْمَةِ رَبِّكَ عَبْدَهُ زَكَرِيَّا * إِذْ نَادَى رَبَّهُ نِدَاءً خَفِيًّا* قَالَ: رَبِّ إِنِّي وَهَنَ الْعَظْمُ مِنِّي، وَاشْتَعَلَ الرَّأْسُ شَيْبًا، وَلَمْ أَكُن بِدُعَائِكَ رَبِّ شَقِيًّا * وَإِنِّي خِفْتُ الْمَوَالِيَ مِن وَرَائِي، وَكَانَتِ امْرَأَتِي عَاقِرًا، فَهَبْ لِي مِن لَدُنْكَ وَلِيًّا * يَرِثُنِي، وَيَرِثُ مِنْ آلِ يَعْقُوبَ، وَاجْعَلْهُ رَبِّ رَضِيًّا* يَا زَكَرِيَّا: إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلَامٍ اسْمُهُ يَحْيَى، لَمْ نَجْعَلْ لَهُ مِن قَبْلُ سَمِيًّا * قَالَ: رَبِّ أَنَّى يَكُونُ لِي غُلَامٌ، وَكَانَتِ امْرَأَتِي عَاقِرًا، وَقَدْ بَلَغْتُ مِنَ الْكِبَرِ عِتِيًّا!؟ * قَالَ: كَذَلِكَ قَالَ رَبُّكَ: هُوَ عَلَيَّ هَيِّنٌ، وَقَدْ خَلَقْتُكَ مِن قَبْلُ، وَلَمْ تَكُ شَيْئًا * قَالَ: رَبِّ اجْعَلْ لِي آيَةً، قَالَ: آيَتُكَ أَلَّا تُكَلِّمَ النَّاسَ ثَلَاثَ لَيَالٍ سَوِيًّا * فَخَرَجَ عَلَى قَوْمِهِ مِنَ الْمِحْرَابِ، فَأَوْحَى إِلَيْهِمْ أَن: سَبِّحُوا بُكْرَةً وَعَشِيًّا* يَا يَحْيَى: خُذِ الْكِتَابَ بِقُوَّةٍ. وَآتَيْنَاهُ الْحُكْمَ صَبِيًّا * وَحَنَانًا مِن لَّدُنَّا، وَزَكَاةً، وَكَانَ تَقِيًّا * وَبَرًّا بِوَالِدَيْهِ، وَلَمْ يَكُن جَبَّارًا عَصِيًّا* وَسَلَامٌ عَلَيْهِ يَوْمَ وُلِدَ، وَيَوْمَ يَمُوتُ، وَيَوْمَ يُبْعَثُ حَيًّا}.

نموذج الأب الذي يؤثر أمر الله تعالى على نفسه وولده وأهله:

ويتجلى ذلك في حكاية سيدنا إبراهيم عليه السلام في موضعين:

أولهما: حين أمر بذبح ابنه، كما في سورة الصافات، في قوله تبارك وتعالى: 99-109: (وَقَالَ: إِنِّي ذَاهِبٌ إِلَى رَبِّي، سَيَهْدِينِ* رَبِّ هَبْ لِي مِنَ الصَّالِحِينَ* فَبَشَّرْنَاهُ بِغُلامٍ حَلِيمٍ* فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ السَّعْيَ قَالَ: يَا بُنَيَّ إِنِّي أَرَى فِي الْمَنَامِ أَنِّي أَذْبَحُكَ، فَانظُرْ: مَاذَا تَرَى؟ قَالَ: يَا أَبَتِ: افْعَلْ مَا تُؤْمَرُ، سَتَجِدُنِي إِن شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّابِرِينَ* فَلَمَّا أَسْلَمَا، وَتَلَّهُ لِلْجَبِينِ* وَنَادَيْنَاهُ أَنْ: يَا إِبْرَاهِيمُ* قَدْ صَدَّقْتَ الرُّؤْيَا؛ إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ* إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْبَلاء الْمُبِينُ* وَفَدَيْنَاهُ بِذِبْحٍ عَظِيمٍ* وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِي الآخِرِينَ* سَلامٌ عَلَى إِبْرَاهِيمَ).

وثانيهما: حين تركه وأمه في البرية، والقصة أيضًا أنوذج للأب الذين يتعهد أبناءه، والأب الذين يستعين بهم:

ففي البخاري عن سيدي ابن عباس رضي الله عنهما، مرفوعًا، قال: أول ما اتخذ النساء المنطق من قبل أم إسماعيل، اتخذت منطقًا لتعفِّي أثرها على سارة، ثم جاء بها إبراهيم وبابنها إسماعيل وهي ترضعه، حتى وضعها عند البيت، عند دوحة فوق زمزم في أعلى المسجد – وليس بمكة يومئذ أحد، وليس بها ماء – فوضعهما هنالك، ووضع عندهما جرابًا فيه تمر، وسقاء فيه ماء، ثم قفى إبراهيم منطلقًا! فتبعته أم إسماعيل، فقالت: يا إيراهيم، أين تذهب وتتركنا بهذا الوادي، الذي ليس فيه إنس ولا شيء؟ فقالت له ذلك مرارًا، وجعل لا يتلفت إليها، فقالت له: آلله الذي أمرك بهذا؟ قال: نعم، قالت: إذن لا يضيعنا، ثم رجعت.

فانطلق إبراهيم حتى إذا كان عند الثنية حيث لا يرونه، استقبل بوجهه البيت، ثم دعا بهؤلاء الكلمات، ورفع يديه فقال: ربنا إني أسكنت من ذريتي بواد غير ذي زرع – حتى بلغ – يشكرون. وجعلت أم إسماعيل ترضع إسماعيل، وتشرب من ذلك الماء، حتى إذا نفد ما في السقاء عطشت وعطش ابنها، وجعلت تنظر إليه يتلوى، فانطلقت كراهية أن تنظر إليه، فوجدت الصفا أقرب جبل في الأرض يليها، فقامت عليه، ثم استقبلت الوادي

تنظر: هل ترى أحدًا؟ فلم تر أحدًا، فهبطت من الصفا حتى إذا بلغت الوادي رفعت طرف درعها، ثم سعت سعي الإنسان المجهود، حتى إذا جاوزت الوادي، ثم أتت المروة فقامت عليها ونظرت: هل ترى أحدًا؟ فلم تر أحدًا، ففعلت ذلك سبع مرات. قال ابن عباس: قال النبي صلى الله عليه وسلم: (فذلك سعي الناس بينهما). فلما أشرفت على المروة سمعت صوتا، فقالت صه – تريد نفسها – ثم تسمعت، فسمعت أيضًا، فقالت: قد أسمعت إن كان عندك غواث، فإذا هي بالملك عند موضع زمزم، فبحث بعقبه، أو قال: بجناحه، حتى ظهر الماء، فجعلت تحوِّضه وتقول بيدها هكذا، وجعلت تغرف من الماء في سقائها وهو يفور بعد ما تغرف. قال ابن عباس: قال النبي صلى الله عليه وسلم: (يرحم الله أم إسماعيل، لو كانت تركت زمزم – أو قال: لو لم تغرف من الماء – لكانت زمزم عينًا معينًا). قال: فشربت وأرضعت ولدها، قال لها الملك: لا تخافوا الضيعة، فإن ها هنا بيت الله، يبني هذا الغلام وأبوه، وإن الله لا يضيع أهله.

وكان البيت مرتفعًا من الأرض كالرابية، تأتيه السيول، فتأخذ عن يمينه وشماله، فكانت كذلك حتى مرت بهم رفقة من جرهم، أو أهل بيت من جرهم، مقبلين من طريق كداء، فنزلوا في أسفل مكة، فرأوا طائرًا عائفًا، فقالوا: إن هذا الطائر ليدور على ماء، لعهدنا بهذا الوادي وما فيه ماء، فأرسلوا جريًّا أو جريين فإذا هم بالماء، فرجعوا فأخبروهم بالماء فأقبلوا، قال: وأم إسماعيل عند الماء، فقالوا: أتأذنين لنا أن ننزل عندك؟ فقالت: نعم، ولكن لا حق لكم في الماء، قالوا: نعم. قال ابن عباس: قال النبي صلى الله عليه وسلم: (فألفى ذلك أم إسماعيل وهي تحب الأنس). فنزلوا وأرسلوا إلى أهليهم فنزلوا معهم، حتى إذا كان بها أهل أبيات منهم، وشب الغلام وتعلم العربية منهم، وأنفسهم وأعجبهم حين شب، فلما أدرك زوجوه امرأة منهم..

وماتت أم إسماعيل، فجاء إبراهيم بعد ما تزوج إسماعيل يطالع تركته، فلم يجد إسماعيل، فسأل امرأته عنه فقالت: خرج يبتغي لنا، ثم سألها عن عيشهم وهيئتهم،

فقالت: نحن بشر، نحن في ضيق وشدة، فشكت إليه، قال: فإذا جاء زوجك فاقرئي عليه السلام، وقولي له يغير عتبة بابه.

فلما جاء إسماعيل كأنه آنس شيئًا، فقال: هل جاءكم من أحد؟ قالت: نعم، جاءنا شيخ كذا وكذا، فسألنا عنك فأخبرته، وسألني كيف عيشنا، فأخبرته أنا في جهد وشدة، قال: فهل أوصاك بشيء؟ قالت: نعم، أمرني أن أقرأ عليك السلام، ويقول: غير عتبة بابك، قال: ذاك أبي، وقد أمرني أن أفارقك، الحقي بأهلك!

فطلقها، وتزوج منهم أخرى، فلبث عنهم إبراهيم ما شاء الله، ثم أتاهم بعد فلم يجده، فدخل على امرأته فسألها عنه، قالت: خرج يبتغي لنا، قال: كيف أنتم؟ وسألها عن عيشهم وهيئتهم، قالت: نحن بخير وسعة، وأثنت على الله. فقال: ما طعامكم؟ قالت: اللحم. قال: فما شرابكم؟ قالت: الماء. قال: اللهم بارك في اللحم والماء. قال النبي صلى الله عليه وسلم: (ولم يكن لهم يومئذ حب، ولو كان لهم دعا لهم فيه). قال: فهما لا يخلو عليهما أحد بغير مكة إلا لم يوافقاه. قال: فإذا جاء زوجك فاقرئي عليه السلام، ومريه يثبت عتبة بابه، فلم جاء إسماعيل قال: هل أتاكم من أحد؟ قالت: نعم، أتانا شيخ حسن الهيئة، وأثنت عليه، فسألني عنك فأخبرته، فسألني كيف عيشنا فأخبرته أنا بخير، قال: فأوصاك بشيء، قالت: نعم، هو يقرأ عليك السلام، ويأمرك أن تثبت عتبة بابك، قال: ذاك أبي وأنت العتبة، أمرني أن أمسكك..

ثم لبث عنهم ما شاء الله، ثم جاء بعد ذلك، وإسماعيل يبري نبلًا له تحت دوحة قريبًا من زمزم، فلما رآه قام إليه، فصنعا كما يصنع الوالد بالولد، والولد بالوالد، ثم قال: إن الله أمرني بأمر، قال: فاصنع ما أمر ربك، قال: وتعينني؟ قال: وأعينك، قال: فإن الله أمرني أن أبني ها هنا بيتًا، وأشار إلى أكمة مرتفعة على ما حولها، قال: فعند ذلك رفعا القواعد من البيت، فجعل إسماعيل يأتي بالحجارة وإبراهيم يبني، حتى إذا ارتفع البناء، جاء بهذا الحجر، فوضعه له فقام عليه، وهو يبني وإسماعيل يناوله الحجارة، وهما يقولان: {ربنا

تقبل منا إنك أنت السميع العليم}. قال: فجعلا يبنيان حتى يدورا حول البيت، وهما يقولان: {ربنا تقبل منا إنك أنت السميع العليم}.

أنموذج الأب الذي يعاون قومه في إلقاء ابنه في النار:

وهو آزر أبو إبراهيم عليه السلام، لما كسر الأصنام، وجعلها جذاذًا في الأنبياء: 58-68: {فجعلهم جُذَاذًا، إِلَّا كَبِيرًا لَهُمْ؛ لَعَلَّهُمْ إِلَيْهِ يَرْجِعُونَ* قَالُوا: مَن فَعَلَ هَذَا بِآلِهَتِنَا؟ إِنَّهُ لَمِنَ الظَّالِمِينَ* قَالُوا: سَمِعْنَا فَتًى يَذْكُرُهُمْ، يُقَالُ لَهُ إِبْرَاهِيمُ* قَالُوا: فَأْتُوا بِهِ عَلَى أَعْيُنِ النَّاسِ، لَعَلَّهُمْ يَشْهَدُونَ* قَالُوا: أأنتَ فَعَلْتَ هَذَا بِآلِهَتِنَا يَاإِبْرَاهِيمُ * قَالَ: بَلْ فَعَلَهُ كَبِيرُهُمْ هَذَا، فَاسْأَلُوهُمْ؛ إِن كَانُوا يَنطِقُونَ* فَرَجَعُوا إِلَى أَنْفُسِهِمْ، فَقَالُوا: إِنَّكُمْ أَنتُمُ الظَّالِمُونَ* ثم نُكسوا على رؤوسهم: لَقَدْ عَلِمْتَ مَا هَؤُلَاءِ يَنْطِقُونَ* قَالَ: أَفَتَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنفَعُكُمْ شَيْئًا وَلَا يَضُرُّكُمْ؟! * أُفٍّ لَكُمْ، وَلِمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ، أَفَلَا تَعْقِلُونَ؟!* قَالُوا: حَرِّقُوهُ، وَانصُرُوا آلِهَتَكُمْ، إِنْ كُنْتُمْ فَاعِلِينَ * قُلْنَا: يَا نَارُ كُونِي بَرْدًا، وَسَلَامًا عَلَى إِبْرَاهِيمَ * وَأَرَادُوا بِهِ كَيْدًا فَجَعَلْنَاهُمُ الْأَخْسَرِينَ}.

نموذج الأب العطوف الحنون الذي يفتقد ابنه الغائب ويشتاق له، ويبكي التياعًا على فقده:

كما في سورة يوسف عليه السلام، وفيها محطات كثيرة:

- الحرص على الطفل: (إِذْ قَالَ يُوسُفُ لأَبِيهِ يَا أَبَتِ إِنِّي رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ رَأَيْتُهُمْ لِي سَاجِدِينَ* قَالَ يَا بُنَيَّ لا تَقْصُصْ رُؤْيَاكَ عَلَى إِخْوَتِكَ فَيَكِيدُوا لَكَ كَيْدًا إِنَّ الشَّيْطَانَ لِلإِنسَانِ عَدُوٌّ مُبِينٌ) يوسف:4-5/ (قَالَ هَلْ آمَنُكُمْ عَلَيْهِ إِلاَّ كَمَا أَمِنتُكُمْ عَلَى أَخِيهِ مِن قَبْلُ فَاللَّهُ خَيْرٌ حَافِظًا وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ) يوسف:64./ قَالَ لَنْ أُرْسِلَهُ مَعَكُمْ حَتَّى تُؤْتُونِي مَوْثِقًا مِنْ اللَّهِ لَتَأْتُونَنِي بِهِ إِلاَّ أَنْ يُحَاطَ بِكُمْ فَلَمَّا آتَوْهُ مَوْثِقَهُمْ قَالَ اللَّهُ عَلَى مَا نَقُولُ وَكِيلٌ) يوسف:66.
- الخوف عليه: (قال إِنِّي لَيَحْزُنُنِي أَنْ تَذْهَبُوا بِهِ وَأَخَافُ أَنْ يَأْكُلَهُ الذِّئْبُ وَأَنْتُمْ عَنْهُ غَافِلُونَ) يوسف:13/ (وَقَالَ: يَا بَنِي لا تَدْخُلُوا مِن بَابٍ وَاحِدٍ، وَادْخُلُوا مِنْ أَبْوَابٍ

مُتَفَرِّقَةٍ، وَمَا أُغْنِي عَنكُمْ مِن اللَّهِ مِن شَيْءٍ؛ إِنِ الْحُكْمُ إِلاَّ لِلَّهِ، عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ، وَعَلَيْهِ فَلْيَتَوَكَّلْ الْمُتَوَكِّلُونَ* وَلَمَّا دَخَلُوا مِنْ حَيْثُ أَمَرَهُمْ أَبُوهُمْ مَا كَانَ يُغْنِي عَنْهُمْ مِن اللَّهِ مِن شَيْءٍ ؛إِلاَّ حَاجَةً فِي نَفْسِ يَعْقُوبَ قَضَاهَا. وَإِنَّهُ لَذُو عِلْمٍ لِمَا عَلَّمْنَاهُ، وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لا يَعْلَمُونَ) يوسف:67–68.

- احتساب المصيبة في فقد الولد: (وجاءُوا عَلَى قَمِيصِهِ بِدَمٍ كَذِبٍ قَالَ بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنفُسُكُمْ أَمْرًا فَصَبْرٌ جَمِيلٌ وَاللَّهُ الْمُسْتَعَانُ عَلَى مَا تَصِفُونَ) يوسف:18/ (قَالَ بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنفُسُكُمْ أَمْرًا، فَصَبْرٌ جَمِيلٌ؛ عَسَى اللَّهُ أَن يَأْتِيَنِي بِهِمْ جَمِيعًا، إِنَّهُ هُوَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ) يوسف:83
- الألم الشديد عند الفقد: (وَتَوَلَّى عَنْهُمْ وَقَالَ يَا أَسَفَى عَلَى يُوسُفَ وَابْيَضَّتْ عَيْنَاهُ مِنَ الْحُزْنِ فَهُوَ كَظِيمٌ) يوسف:84.
- تجلد الآباء عند المصيبة: (قَالَ: إِنَّمَا أَشْكُو بَثِّي، وَحُزْنِي إِلَى اللَّهِ، وَأَعْلَمُ مِن اللَّهِ مَا لا تَعْلَمُونَ* يَا بَنِي: اذْهَبُوا فَتَحَسَّسُوا مِن يُوسُفَ وَأَخِيهِ، وَلا تَيْئَسُوا مِن رَوْحِ اللَّهِ؛ إِنَّهُ لا يَيْئَسُ مِن رَوْحِ اللَّهِ إِلاَّ الْقَوْمُ الكَافِرُونَ) يوسف:86–87.
- الإحساس بالابن، والتواصل الروحي معه: (وَلَمَّا فَصَلَتْ الْعِيرُ قَالَ أَبُوهُمْ إِنِّي لأَجِدُ رِيحَ يُوسُفَ لَوْلا أَنْ تُفَنِّدُونِ) يوسف:94.
- الأب مسامح لأبنائه غفار؛ مهما كانت إساءتهم: (قَالُوا: يَا أَبَانَا اسْتَغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا؛ إِنَّا كُنَّا خَاطِئِينَ* قَالَ سَوْفَ أَسْتَغْفِرُ لَكُمْ رَبِّي إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ) يوسف:97–98.
- أنموذج الأب الذي يعاون قومه في إلقاء ابنه في النار:

كما في قوله تعالى، في سورة الأنبياء (69–70) عن قوم إبراهيم عليه السلام، ومنهم أبوه: (قُلْنَا: يَا نَارُ كُونِي بَرْدًا وَسَلَامًا عَلَى إِبْرَاهِيمَ* وَأَرَادُوا بِهِ كَيْدًا فَجَعَلْنَاهُمُ الْأَخْسَرِينَ).

ثانيًا: مواقف للآباء في السنة المشرفة:

وتحفل السنة بمواقف أبوية عظيمة وعديدة، أشرت إلى بعضها في (الرسول صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم أبًا)، وهذا بعض آخر منها:

أنموذج الأب الذي يحمي ابنه من النار:

في عمدة التفسير بسند صححه الشيخ شاكر، عن سيدي أنس رضي الله عنه، أن غلامًا يهوديًّا كان يضع للنبي صلى الله تعالى عليه وسلم وضوءه ويناوله نعليه، فمرض، فأتاه النبي صلى الله تعالى عليه وسلم، فدخل عليه، وأبوه قاعد عند رأسه، فقال له النبي صلى الله تعالى عليه وسلم: يا فلان، قل: لا إله إلا الله.

فنظر إلى أبيه، فسكت أبوه، فأعاد عليه النبي صلى الله تعالى عليه وسلم، فنظر إلى أبيه، فقال أبوه: أطع أبا القاسم. فقال الغلام: أشهد أن لا إله إلا الله وأنك رسول الله، فخرج النبي صلى الله تعالى عليه وسلم وهو يقول: الحمد لله الذي أخرجه من النار.

أنموذج الأب الذي يوافق ابنه بعد فوات الأوان:

في البخاري عن سيدي أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال: يلقى إبراهيم أباه آزر يوم القيامة، وعلى وجه آزر قترة وغبرة، فيقول له إبراهيم: ألم أقل لك لا تعصني؟ فيقول أبوه: فاليوم لا أعصيك، فيقول إبراهيم: يا رب إنك وعدتني ألا تخزيني يوم يبعثون، فأي خزي أخزى من أبي الأبعد؟

فيقول الله تعالى: إني حرمت الجنة على الكافرين، ثم يقال: يا إبراهيم، ما تحت رجليك؟ فينظر، فإذا هو بذيخ متلطخ، فيؤخذ بقوائمه فيلقى في النار.

أنموذج الأب الذي يحابي بعض أبنائه على حساب الآخرين:

في البخاري عن سيدي النعمان بن بشير رضي الله تعالى عنهما قال: سألت أمي أبي بعض الموهبة لي من ماله، ثم بدا له فوهبها لي، فقالت: لا أرضى حتى تشهد النبي صلى الله عليه وسلم، فأخذ بيدي، وأنا غلام، فأتى بي النبي صلى الله عليه وسلم فقال: إن أمه

بنت رواحة سألتني بعض الموهبة لهذا، قال : (ألك ولد سواه)؟قال: نعم، قال: فأراه قال: (لا تشهدني شهادة جور). وقال أبو حريز، عن الشعبي: (لا أشهد على جور)!

وفي عارضة الأحوذي بسند صحيح، أن سيدي النعمان بن بشير رضي الله تعالى عنهما جاء أبوه إلى النبي صلى الله تعالى عليه وسلم فقال له: إني نحلت ابني هذا غلامًا، فقال له: أكل ولدك له نحلة مثل هذا؟ قال: لا، قال صلى الله تعالى عليه وسلم: فارددده [وفي رواية] ألكل ولدك نحلة مثل هذا؟ قال: لا، قال صلى الله تعالى عليه وسلم: (أتحب أن يكون الكل في البر سواء)؟ قال: نعم، فقال صلى الله تعالى عليه وسلم: (فسو بينهم في العطية).

أنموذج الأب الذي ينازع زوجته حضانة ابنه:

ففي شرح مشكل الآثار للإمام الطحاوي عن سلمة بن رافع بن سنان رضي الله تعالى عنه، أن رجلًا أسلم، ولم تسلم امرأته، فاختصما إلى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم في صبي لهما، فقال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم: (هل لكما أن تخيراه)؟ فقالا: نعم، فنادته أمه فذهب نحوها، فقال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم (اللهم اهده): فناداه أبوه، فانصرف إليه.

أنموذج أبوين صادقين تصاهرا:

في الحديث المتفق عليه عن سيدي عَنْ أبي هُرَيْرَةَ رضي اللَّه عَنْهُ عَن النَّبيِّ صلى الله تعالى عليه وسلم قَالَ: «اشْتَرَى رَجُلٌ مِنْ رَجُلٍ عقارًا، فَوَجَد الذي اشْتَرَى الْعَقَارَ في عَقَارِه جَرَّةً فِيهَا ذَهَبٌ، فقالَ لهُ الذي اشْتَرَى الْعَقَارُ: خُذْ ذَهَبَكَ، إنَّمَا اشْتَرَيْتُ مِنْكَ الأرْضَ، وَلَمْ أشْتَرِ الذَّهَبَ! وقالَ الَّذي لَهُ الأرْضُ: إنَّمَا بعْتُكَ الأرضَ وَمَا فِيهَا!

فَتَحاكَما إلى رَجُلٍ، فقالَ الَّذي تَحَاكَمَا إلَيْهِ: أَلَكُمَا وَلَدٌ؟ قَالَ أحدُهُمَا: لي غُلامٌ، وقالَ الآخرُ: لي جَارِيةٌ، قالَ أنْكِحَا الْغُلامَ الجَارِيَةَ، وَأنْفِقَا عَلى أنْفُسهمَا مِنْهُ وتصَدَّقَا».

أنموذج أب في الرضاع:

في مجمع الزوائد للهيثمي بسند رجاله ثقات، عن حليمة بنت الحارث السعدية، رضي الله تعالى عنها، قالت:

خرجت في نسوة من بني سعد بن بكر، نلتمس الرضعاء بمكة، على أتان لي قمراء، قد أدمت بالركب. قالت: وخرجنا في سنة شهباء، لم تبق لنا شيئًا، ومعي زوجي الحارث ابن عبد العزى. قالت: ومعنا شارف لنا والله إن يبض علينا بقطرة من لبن، ومعي صبي لي إن ننام ليلتنا مع بكائه، ما في ثدبي ما يمصه، وما في شارفنا من لبن نغذوه؛ إلا أنا نرجو. فلما قدمنا مكة لم يبق منا امرأة إلا عُرض عليها رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فتأباه، وإنما كنا نرجو كرامة رضاعه من والد المولود؛ وكان صلى الله تعالى عليه وسلم يتيمًا، فكنا نقول: ما عسى أن تصنع أمه؟ حتى لم يبق من صواحبي امرأة إلا أخذت صبيًّا، غيري، وكرهت أن أرجع ولم آخذ شيئًا وقد أخذ صواحبي.

فقلت لزوجي: والله لأرجعن إلى ذلك فلآخذنه. قالت: فأتيته، فأخذته، فرجعته إلى رحلي، فقال زوجي: قد أخذتِه؟ فقلت: نعم والله؛ ذاك أني لم أجد غيره. فقال: قد أصبت فعسى الله أن يجعل فيه خيرًا.

فقالت: والله ما هو إلا أن جعلته في حجري، فأقبل عليه ثديي بما شاء من اللبن! فشرب حتى روي، وشرب أخوه – تعني ابنها – حتى روي! وقام زوجي إلى شارفنا من الليل فإذا هي حافل! فحلبت لنا ما شئنا، فشرب حتى روي، وشربت حتى رويت! فبتنا ليلتنا تلك بخير شباعًا رواءً، وقد نام صبينا. يقول أبوه – تعني زوجها – والله يا حليمة ما أراك إلا أصبت نعمة مباركة! قد نام صبينا، وروي!

ثم خرجنا، فوالله لخرجَتْ أتاني أمام الركب، قد قطعته حتى ما يبلغونها، حتى إنهم ليقولون: ويحك يا بنت الحارث، كفي علينا! أليست هذه بأتانك التي خرجت عليها!؟ فأقول: بلى والله، وهي قدامنا، حتى قدمنا منازلنا من حاضر بني سعد بن بكر، فقدمنا على أجدب أرض الله؛ فوالذي نفس حليمة بيده إن كانوا ليسرحون أغنامهم إذا أصبحوا، ويسرح راعي غنمي فتروح غنمي بطانًا لبنًا حفّلًا! فشربنا ما شئنا من لبن، وما في الحاضر

أحد يحلب قطرة ولا يجدها! فيقولون لرعاتهم: ويلكم؛ ألا تسرحون حيث يسرح راعي حليمة!؟ فيسرحون في الشعب الذي يسرح فيه راعينا، وتروح أغنامهم جياعًا ما بها من لبن، وتروح غنمي حفلًا لبنًا!

وكان صلى الله تعالى عليه وسلم يشب في اليوم شباب الصبي في شهر، ويشب في الشهر شباب الصبي في سنة، فبلغ ستًّا وهو غلام جفر. فقدمنا أمه فقلنا لها، وقال لها أبوه – زوجها – ردوا علينا ابني، فلنرجع به؛ فإنا نخشى عليه وباء مكة! ونحن أضن بشأنه لما رأينا من بركته! فلم نزل بها حتى قالت: ارجعا به فرجعنا به، فمكث عندنا شهرين.

فبينا هو يلعب وأخوه يومًا خلف البيوت، يرعيان بهْمًا لنا إذ جاءنا أخوه يشتد، فقال لي ولأبيه: أدركا أخي القرشي؛ قد جاءه رجلان، فأضجعاه، فشقا بطنه!

فخرجنا نحوه نشتد، فانتهينا إليه وهو قائم منتقع لونه، فاعتنقه أبوه، واعتنقته، ثم قلنا: ما لك أي بني؟! قال: أتاني رجلان، عليهما ثياب بياض، فأضجعاني، ثم شقا بطني. فوالله ما أدري ما صنعا!

قالت: فاحتملناه، فرجعنا به، يقول أبوه: والله يا حليمة ما أرى هذا الغلام إلا قد أصيب، فانطلقي فلنرده إلى أهله قبل أن يظهر به ما نتخوف عليه. فقلت: لا والله؛ إنا كفلناه، وأدينا الحق الذي يجب علينا فيه، ثم تخوفت الأحداث عليه فقلت: يكون في أهله! فقالت أمه: والله ما ذاك بكما؛ فأخبراني خبركما وخبره! فوالله ما زالت بنا حتى أخبرناها خبره. قالت: فتخوفتما عليه؟ كلا؛ والله إن لابني هذا لشأنًا. ألا أخبركما عنه!؟ إني حملت به فلم أر حملًا قط كان أخف ولا أعظم بركة منه، ثم رأيت نورًا كأنه شهاب، خرج مني حين وضعته أضاءت لي أعناق الإبل ببصرى، ثم وضعته فما وقع كما تقع الصبيان، وقع واضعًا يده بالأرض، رافعًا رأسه إلى السماء. دعاه والحقا بشأنكما!

الآباء والأبناء والأحفاد: نظرة أدبية وتاريخية

من وصايا الآباء:

الآباء والأبناء والأحفاد: نظرة أدبية وتاريخية

من وصايا الآباء:

لا يختلف أحد في حرص الأب على أبنائه، وتمنيه أن يكونوا في الناس شامة، وأن يرفع بهم رأسه، ويشد بهم ظهره، ويباهي بهم الناس.. لذا فإن الآباء يحرصون دائمًا على أن يرفدوا أبناءهم بوصايا مختلفة، تنفعهم في الدنيا والآخرة، كما فعل الأنبياء والصالحون مع ذويهم، وكما نقل لنا في القرآن الكريم من وصية لقمان عليه السلام، وأُثر عن سلفنا الصالح رضوان الله تعالى عليهم..

وفي هذه الفقرة أركز على وصايا الآباء الشعراء لأبنائهم، وما تركوه لنا من آثار إنسانية عظيمة.. فها هو التابعي الجليل العالم الشاعر مسعر بن كدام ينصح ولده كِدَامًا، قائلًا:

إنِّي منحتُكَ يا كِدَامُ نَصيْحَتي	فاسمع مَقَالَ أَبٍ عَلَيكَ شَفِيقِ
أَمَّا المُزَاحةُ والمِراءُ، فدَعْهُما	خُلقَانِ لا أَرْضَاهُما لِصدِيقِ
إنِّي بَلَوتُهُما فَلَمْ أَحْمَدْهُما	لمُجَاورٍ جَارًا.. ولا لِرَفيقِ
والجَهْل يُزْرِي بالفَتَى في قَوْمِه	وعُرُوقُه في النَّاسِ أيُّ عُرُوقِ

وهاهو الإمام الزاهد أبو إسحق الألبيري (إبراهيم بن مسعود بن سعد التُجيبي الغرناطي الألبيري الأندلسي، أبو إسحق "985– 1068"، وكان أديبًا معروفًا وشاعرًا مشهورًا في أهل غرناطة بالأندلس) هاهو يوصي ولده أبا بكر بطلب العلم، والجلوس إلى أهله والتأدب بآدابهم، في تائيته التي يقول فيها:

أبا بكر: دعوتك لو أجبتا	إلى ما فيه حظُّك إنْ عقلتا
إلى علمٍ تكون به إمامًا	مُطاعًا؛ إن نهيتَ وإن أَمرْتا

وتجلو ما بعينك من عشاها	وتهديك السبيل إذا ضللتا
وتحمل منه في ناديك تاجًا	ويكسوك الجمالَ إذا اغتربتا
ينالك نفعُه؛ ما دمت حيًّا	ويبقى ذخرُه لك إنْ ذهبتا
هو العَضْب المهندُ ليس ينبو	تصيب به مَقاتِلَ من ضربتا
وكنز لا تخاف عليه لصًّا	خفيف الحمل يوجد حيث كنتا
يزيد بكثرة الإنفاق منه	وينقص إنْ به كفًّا شددْتا
فلو قد ذقت من حلواه طعمًا	لآثرت التعلم.. واجتهدتا
ولم يشغلك عنه هوىً مطاعٌ	ولا دنيا.. بزخرفها فُتِنتا

ويوصي الشاعر المصري الكبير علي الجارم (أحد كبار المدافعين عن العربية لغة القرآن الكريم، وأحد المعتزين بها فعمل جاهدًا على نهضتها ورقيها. وقد تبحر الجارم في علوم اللغة العربية بالبحث والدراسة والممارسة، فأصبح أحد رواد تعليم اللغة العربية، وقدم عددًا من الكتب الرائدة في النحو والبلاغة) يوصي ابنته بلزوم الاحتشام والحجاب فيقول:

يا بنتي إن أَرَدْتِ آيةَ حسن	وجمالًا يزينُ جِسمًا وعقلا
فانبذي عادَةَ التَّبَرُّجِ نبذًا	فجَمالُ النفوسِ أَسمى وأَعلى
يصنع الصانعون وردًا ولكن	وردةُ الروضِ لا تضارَع شكلًا
صبغةُ اللّهِ صبغةٌ تبهرُالنف	سَ.. تعالى الإلهُ عزَّ وجَلَّا
ثم كوني كالشمسِ تسطعُ للنا	سِ.. سواءٌ من عَزّ منهم وذَلاَّ
فامنحي المثريات لينًا ولطفًا	وامنحي البائسات برًا وفضلًا
زينةُ الوَجْهِ أن ترى العينُ فيه	شرفًا يسحرُ العيونَ.. ونُبْلا
واجْعَلِي شيمةَ الحياءِ خِمارًا	فهو بالغادةِ الكريمةِ أَولى

ليسَ للبنتِ في السعادةِ حظٌّ	إن تناءى الحَياءُ عنها ووَلَّى
والبسِي من عفافِ نفسِك ثوبًا	كلُّ ثوبٍ سواهُ يفنى ويَبْلى
وإذا ما رأيتِ بُؤْسًا فجُودي	بدموعِ الإحسان يَهْطُلْنَ هطلا
فدموعُ الإحسانِ أنضرُ في الخدِّ	وأبهى من اللآلي وَأَغْلَى
وانظري في الضميرِ إن شِئْتِ مرآ	ةً ففيه تبدو النفوسُ وتجلى
ذاك نصحي إلى فتاتي وسُؤْلي	وابنتي لا ترد للأب سُؤْلا

ويختزل الشاعر السعودي محمد حسن فقي (1914-2004، شاعر الرومانسية في الحجاز، ومن الرعيل الثاني في نهضته الأدبية، ومن طلائع الصحفيين بالحجاز، زاوج بين الشعر والفلسفة، ولُقب بشاعر مكة، وهو فيلسوف الحجاز وشاعر القافية. كرمته المملكة في مهرجان الجنادرية ومنحته جائزة الدولة التقديرية. كما أن هناك جائزة أدبية عربية منذ عام 1994م باسم جائزة محمد حسن فقي للشعر والنقد الأدبي مقرها مصر، أسستها مؤسسة أحمد زكي يماني الثقافية الخيرية) يلخص خبراته في الحياة، ومعاناته منها، ويصف لها دربه الطويل الذي عانى اشواكه ومواجعه، فيقول:

يا بنتي.. يا بنتي . أَبُوكِ حَسِيبٌ	يَنْتَمي عِرْقُهُ لأَكْرَم عِرْقِ !
مازَها. غَيْرَ أَنّه لَقِي الزَّهْوَ	من المُنْتَمِي لأَوْضَعِ رِقِّ !
وعَجِيبُ أَمْرُ الصَّفاقةِ هذي	غَيْرَ أَنِّي أَشَحْتُ عن كُلِّ مَذْقِ !
حَسَبُ المَرْءِ في تقاه وإِنْ	كُنْتُ فَخُورًا أَشْدو بِآباءِ صِدْقِ !

يا بنتي.. يا بنتي . أَبُوكِ ضَرِيبٌ	لِذَكاءِ الوَضِيئَةِ .النَّفَّاعَهْ !
فإذا ما ادلَهَمَّ لَيْلٌ رأى النَّاسُ لَدَيْهِ انْهِزامَهُ وانْقِشاعَهْ !	
غَيْرَ أَنَّ الأَحْقادَ تَفْعَلُ في الأَنْفُسِ ما لا يَطِيقُ حُرٌّ سَماعَهْ !	
وأَنا قد أَطَلَقْتُهُ وتَغَافَلْتُ	وقد يُؤْثِرُ الحُسامُ الْتِماعَهْ !
يا بنتي.. يا بنتي . أَبُوكِ عَجُوزٌ	شاخَ فاسْتَلْهِمي الهُدى من مَقالِهْ !
وتَعالَيْ إليه قَبْلَ تَوَلِّيهِ	وطُلِّي إلى كرِيمِ فِعالهْ !
أَنْتِ بِضْعٌ منه فَكُوني له الوَارِثَ لا مِنْ حُطامِهِ ونَوالِهْ !	
بَلْ مِن الطَّبْعِ. بَلْ من الخُلُقِ السَّا مِي كُوني وَرِيثَةً لِخِلالِهْ!	

ولا شك أن الأبناء كانوا يتلقَّوْن هذه الوصايا باعتزاز كبير، ويُصْغون إلى آبائهم، وهم يعزفون لهم هذه الألحان، فتلقّفوها سُنَنا لا يحيدون عنها، وحفظوها كأنّها أَناشيد قوميّة، قال أَدْهَمُ بْنُ حازم، أحد شعراء ضبّةَ يهجو بني عامر ويزهو بمعاملة الأسرى معاملة إنسانية كريمة، استجابة لوصايا أبيه التي افتخر باحترامها:

فَما نَسْلُبُ القتلى كما قَدْ فَعَلْتُم	ولا نمنع الأَسْرى من الأَكْلِ والشُّرْبِ
وسَلْبُ ثيابِ الميْتِ عارٌ وذِلّةٌ	ومَنْعُ الأسيرِ الزّادَ من أَقْبَحِ السَبِّ
بذلك أَوْصانا أبونا ولم نكُنْ	لِنَتْرُكَ ما وصّاهُ في الخِصْبِ والجدْبِ

وكان زهير بن أبي سُلْمى، قد أوصى ابنه كعبًا بأن يكرّس وقته لخدمة العشيرة، وأَنْ يدافع عنها، وأنْ يجعل علاقته بقومه قائمة على المودّة، فتقع هذه الوصايا في قلب هذا الفتى، ويحفظها، ويعمل بها:

ولقد حفظتُ وصاةَ مَنْ هو ناصح لي عالمٌ بمآقط الخُلاّنِ

ونرى سيدنا حسان بن ثابت وأبناءه يرحّبون بما أوصى به جدُّهم مالكٌ، وكان قد أوصاهم بأن يدافعوا عن أعراضهم بسيوفهم وأموالهم، فيهتف مرحّبا بما أَمر:

أَوصى أبونا مالكٌ بوصاته	عَمْرًا وعَوْنا إذْ تجهّز غاديا
بأن اجعلوا أموالكم وسيوفكم	لأعراضكم ما سلّم الله واقيا
فقلْنا له إذ قال ما قال: مرحبا	أَمَرْتَ بمعروف وأَوْصَيْتَ كافيا

ويزهو طرفة بن العبد البكري بما فيه من قيم نفسيّة، تلقّاها أوامرَ من أبيه، فعمل بمقتضاها وأمضاها:

قَدَ امْضَيْتُ هذا من وصيّة عَبْدَلٍ ومثلُ الذي أوصى به عَبْدَلٌ أُمضي

هاتي يا بنتي القلما

ويوصي شاعر لم أعثر على اسمه ابنته ولداتها بالعناية بالقرآن، وحفظه، والتخلق بأخلاقه، وقيمه، والاستنارة بأنواره:

هاتي المداد وهاتي يا بنتي القلما	هاتي القراطيس هاك الشعر مبْتسِما
ولْتنْشري الزهر في أرجاء قافيتي	يفوحُ عطرًا يُزِيلُ الهمَّ والألما
وسطّري أحرفًا بالعز شامخة	وبالسعادة قومي سطري الكَلِمَا
فهذه أختنا في الله قد حفظت	كتاب ربي تَعَلَّتْ يا بنتي القِمَمَا
قولي لها يا رعاك اللهُ إن أبي	يكاد من حزنه يبكي الدموعَ دَما
لِمَا يَرى للفتاة اليوم من سفه	وغفلةٍ أشعلت في قلبه الحِمَمَا
قد غرها داعجُ العينين فانفلتتْ	بنعمة الله تغزو الحلَّ الحَرمَا
فكم أصابت فتى يشكو صبابته	يشكو من العشق يشكو الهمَّ والسقما
وكم بها من مطيعٍ ضلّ وجهته	وإذ به بعد نور يقصد الظُلُما
كم من أبٍ ضيّع الأولاد سبتها	وزوجةٍ طُلّقت والبيت قد هُدما
قولي لها يا فتاة الدين إن أبي	قد سره منكمُ يا أخت ما علما
وإنه اليوم في بشرٍ وفي دعةٍ	وودع الهمّ والأحزان و السأما
فقد أتاه بشيرٌ.. طاب معدنه	بأن حفظكِ للقرآن قد خُتِمَا
الله أكبر تعظيمًا.. ورددها	لله درك أحييتِ بنا الهمما
يا بنت عائشَ يا أختًا لفاطمة	ذكرتنا عز عصرٍ غاب وانصرما
أحييت في داخلي عرقًا أحِسُ به	لولاك أجْزِمُ أن العرق ما سلما
لله درك.. في عصر تعجُّ به	مفاتنٌ تأسرُ الألبابَ والحُلُمَا
يا من حملت كتاب الله في زمن	تغزو الأغاني به الأشراف والخدما

إليك مني كُليمَاتٍ أسطرها	وربّ حامِلِ فهْم للذي فَهِمَا
فداومي حفظكِ التنزيل يا أملي	ولا تعودي.. وسيري دائمًا قُدُمَا
ولْتعملي بكتاب الله.. راجية	في جنةِ الخلدِ منه الأجر والنعما
وترتقي منزلًا يعلو على قلمي	والشعرُ يعجزُ عن وصف له عَظُما
ويُلبسُ الوالدن التاج في غدهم	جزاء حفظكِ من ربِّ الورى كرما
وتهنئي بالذي قد نلتِ حافظة	عالي الجنان وربُّ العرش قد رحما
عليك أختاه بالإخلاص وانتبهي	من أن ترائي بذاك العُرْب والعَجَما
وترْجِمي الآي في قولٍ وفي خُلُق	وفي حياتكِ كوني قدوةً.. عَلما
ولا يكن همكِ الدنيا وزينتها	فتحصدي في الحساب اللوْم والندما
يا من حملت كتاب الله حُقَّ لنا	بأن نباهي بكِ الأمصارَ والأمما
إنّي أرى الشمس في الآفاق مشرقة	وأسمعُ الطير تشدو اللحن والنغما
وأنظر الأمة الثكلى وقد نهضتْ	وثبتتْ في طريق العزةِ القدما
هذا الذي نبتغي يا نصف أمتنا	لا نبتغي القصَّ والموضات والهُدُما
نريد منكنَّ عقلًا نيرًا.. وبه	نرقى أخيّاتنا العلياء والشَمما
يا نجمة تتلالا.. في تألقها	تأبى الوهاد وترقى بالشموخ سما
أهديتُكِ الشعر تقديرًا ومكْرُمةً	وفيكِ شرفتُ هذا الحبرَ والقلما

وفي دراسته: وصايا الآباء في الشّعر الجاهليّ والإسلامي، أورد الدكتور فتحي إبراهيم خضر الأستاذ المساعد في قسم اللغة العربيّة بجامعة النّجاح الوطنيّة، بفلسطين، جملة من وصايا الآباء لأبنائهم، ألخصها هنا، وأعرض أهمها:

يقول أعشى بني طرود (واسمه إياس بن عامر بن سليم بن عامر الطرودي) يفخر بأوامر أبيه التي جعلتهُ يحوز المكارم:

إنّي حَوَيْتُ على الأقوامِ مكرمةً	قِدْمًا.. وحذّرني ما يتّقون أبي

وقال لي قَوْلَ ذي عِلْم وتجرِبةٍ	بسالفاتِ أُمور الدّهر والخُطبِ:
أَمرتُكَ الخيرَ فَافْعَلْ ما أُمِرتَ بِه	فقد تركتُكَ ذا مالٍ.. وذا نَسَبِ
وَاتْرُكْ خلائقَ قومٍ لا خلاقَ لهم	واعمِدْ لأخلاقِ أهل الفضلِ والأدبِ
وإنْ دُعيتَ لغدرٍ أو أُمرتَ به	فاهربْ بنفسك عنه أَيّدَ الهربِ

ويزهو مالك بن حريم الهمدانيّ (جاهلي يماني، وكان شاعرًا وسيدًا في قومه، كريم الأخلاق، واسع الصدر، فارس شجاع، كان يقال له (مفزع الخيل) ويعد من فحول الشعراء. وهو أحد وصّافي الخيل المشهورين) قال يزهو بجوده الذي تلقّاه وصايا من أَبيه، فيقول:

أَجودُ على العاني، وأحذرُ ذَمَّهُ	إِذا ضنّ بالمعروفِ كلُّ بخيلِ
بذلك أوصاني حَريمُ بنُ مالكٍ	بأنّ قليلَ الذمِّ غيرُ قليلِ

ويتلقى مالك بن حريم بزهو كبير عن أبيه حمايةَ الجارِ وإِكرامَهُ، كي يظلّ في جواره عزيزًا منيع الجانب، يدفع عنه الضّيْم، ويذود عنه، لا سيّما إذا عزّتْ عليه الحمايةُ:

وأَوصاني الحريمُ بعزّ جاري	وأَمنعُهُ وليس به امتناعُ
وأدفع ضَيْمَهُ وأذودُ عنه	وأمنعُهُ إذا امتنع المناعُ

ويفخر الأعشى؛ ميمون بن قيس (توفي سنة 7 هـ/629 – 570 م، أحد الأعلام من شعراء الجاهلية وفحولهم، عمر طويلاً، وأدرك الإسلام ولم يسلم، ولقب بالأعشى لضعف بصره، وعمي في أواخر عمره، سئل يونس عن أشعر الناس فقال: «امرؤ القيس إذا ركب، والنابغة إذا رهب، وزهير ابن أبي سلمى إذا رغب، والأعشى إذا طرب». يزهو بأنّه كان متساميًا في حياته، عاش بين وصيّتين: واحدة ورثها عن أَبيه، وثانية ورّثها لابنه. وقد كثّفتْ الوصيّة الأولى نظرة أبيه إلى الحياة:

إنّ الأعزّ أبانا كان قال لنا:	أُوصيكُمُ بثلاثٍ؛ إنّني تلفُ:
الضّيفَ: أوصيكُمُ بالضّيف؛ إنّ له	حقًّا عليّ.. فأُعطيه وأعترفُ
والجارَ: أوصيكُمُ بالجار؛ إنّ له	يومًا من الدّهر يثنِيهِ فينصرفُ

وقاتلوا القوم؛ إنّ القتلَ مكرمةٌ	إذا تلوّى بكفّ المعصَمِ العُرُفُ

أما وصيّته لابنه فقد كثّفتْ نظرته إلى الحياة من خلال حكمة الشيخوخة:

سأُوصي بَصيرا إنْ دنوتُ من البلى	وصاةَ امرئ قاسى الأُمورَ وجرّبا
بألا تُبَغّ الوُدّ من متباعد	ولا تَنْأ عن ذي بِغْضَة إنْ تقرّبا
فإنّ القريبَ من يقرّبُ نفسَهُ	لَعَمْرُ أبيكَ الخيرَ لا مَنْ تنسّبا
ويحْطَمْ بظلم لا يزال يرى له	مصارعَ مظلومٍ مَجَرًّا ومَسْحَبا
وتدفنُ منه الصّالحاتُ وإنْ يُسئْ	يكنْ ما أساء النارَ في رأسِ كوكبا
وليس مُجيرًا إنْ أتى الحيَّ خائفُ	ولا قائلا إلاّ هو المتعيّبا

وكان جود حاتم الطّائي (ت 605 م. شاعر جاهلي، وفارس جواد يضرب المثل بجوده، أدرك الإسلام ولم يسلم، وأسلم ابنه عدي وابنته سفانة رضي الله عنهما) كان جوده استجابة لوصايا أبيه وأجداده. وآية ذلك أَنّ عبد قيس البرجمي أتى حاتمًا الطّائيّ في دماء حملها عن قومه، فأسلموه فيها، وعجز عنها، فقال: واللّه لآتينّ مَنْ يحملها عنّي – وكان شريفًا شاعرًا – فلمّا قدم عليه قال: إنّه وقعتْ بيني وبين قومي دماء فتواكلوها، وإنّي حملتُها في مالي وأَملي، فقدّمتُ مالي، وكنتَ أَملي، فإن تحملْها فرُبّ حقّ قد قضيتَهُ، وَهَمٍّ قد كفيتَهُ، وإنْ حال دون ذلك حائل لم أَذْمُمْ يومك، ولم أَيْأس من غدك، ثمّ قال:

حَمَلْتُ دماءً للبراجم.. جمّةً	فجئتُكَ لمّا أسلمتْني البَراجمُ
وقالوا سِفاها: لِمْ حَمَلْتَ دماءَنا؟	فقلتُ لهم: يكفي الحمالةَ حاتمُ
متى آتِهِ فيها يَقُلْ لي: مرحبًا	وأهلًا وسهلا أخطأتْكَ الأشائمُ
فيحملها عنّي، وإنْ شئتُ زادني	زيادةَ مَنْ حلّتْ عليه المكارمُ

إلى أن يقول:

بذلك أوصاهُ عديٌّ وحَشْرَجٌ	وسَعْدٌ وعبد الله تلك القماقمُ

وكانت أوّل وصيّة أَوصى بها عَبْدُ قيس بن خُفاف البُرجميّ (من شرفاء قومه بني تميم وشجعانهم في الجاهلية والإسلام. عاصر حاتمًا الطائي، والنابغة الذبياني، والنعمان بن المنذر، ويبدو أنه عمّر طويلاً. واتسم بالحكمة. ويتجلى في حكمته الإيمان بالخالق، والنهي عن الحلف باسمه بالباطل، والسعي إلى الخير والترفع عن الدنايا، والابتعاد عن مجالس السوء. لم يصلنا من شعره إلا القليل مما ورد في المفضليات والأصمعيات وغيرهما من المراجع) كانت أوّل وصيّة أَوصى بها ابنه جُبَيْلاً: تقوى الله، لأنّها المعيار الأخلاقيّ الأسمى، الذي يجعل المرءَ يشعر بالسّعادة:

اللهَ فاتّقِهِ.. وأَوْفِ بنذرِهِ	وإذا حَلَفْتَ مُماريًا فتحلّلِ

كم يوصي ابنه بإكرام ضيفه:

والضّيفَ أكْرِمْهُ.. فإنّ مبيتَهُ	حقٌّ، ولا تكُ لُعْنَةً للنزّلِ
وَاعْلَمْ بأنّ الضّيفَ مُخْبرُ أهلِهِ	بمبيتِ ليلته وإنْ لم يُسْأَلِ

ويوصيه كذلك أن يشارك قومه فقرهم وضيقهم، فيقول:

وإذا لقيتَ الباهشين إلى النّدى	غُبُرا أكفُّهُمُ بقاعٍ مُمْحلِ
فأعِنْهُمُ وَايْسِرْ بما يَسَروا بهِ	وإذا همُ نزلوا بضَنْكٍ فانزِلِ

وإذا ما لحق جُبَيْلا ذُلّ وهوان في مكان إقامته، أو من أحد من أفراد قبيلته فعليه أن يتحوّل عن ذلك المكان:

وَاتْرُكْ محلّ السَّوْءِ لا تحلُلْ به	وإذا نبا بكَ منزلٌ فتحوّلِ
دارُ الهَوانِ لمن رآها دارَهُ	أَفراحِلٌ عنها كَمَنْ لم يرْحَلِ

وقد يتنازع الإنسانَ موقفان: أحدهما يدعوه إلى مقابلة الشرّ بالشرّ، والآخر يدعوه إلى الصّفح الجميل:

وإذا هَمَمْتَ بأَمْرِ شرّ فَاتّئدْ	وإذا هَمَمْتَ بأَمْر خَيْر فافْعَلِ
وإذا تشاجر في فؤادك مرّةً	أَمران فاعْمِدْ للأعفّ الأجملِ

ويوصى عَبَدَةُ بنُ الطّبيب رضي الله تعالى عنه (وهو شاعر مخضرم، مجيد ليس بالمكثر، أدرك الإسلام فأسلم، وكان في جيش النعمان بن مقرن الذين حاربوا معه الفرس بالمدائن) يوصي أَبناءه بتقوى الله، وبرّ الوالدين:

أُوصيكُمُ بتُقى الإله فإنّه	يُعطي الرّغائبَ مَنْ يشاءُ ويمنَعُ
وببرّ والدكم وطاعةِ أَمْرِهِ	إنّ الأَبَرّ من البنينَ الأَطْوَعُ

كما يتناول رضي الله تعالى عنه شخصيّة النمّام، الذي يسعى بسمومه بين النّاس، ويبثّ العداوة، فيخاطب الشاعر أبناءه محذّرًا:

وَدَعُوا الضّغينة لا تكُنْ من شأنكم	إن الضّغائن للقرابة توضَعُ
وَاعْصُوا الذي يُزْجي النّمائمَ بينكم	متنصّحا ذاك السّمامُ المنْقَعُ
يُزجي عقاربَهُ ليبعثَ بينكم	حَرْبا كما بَعَثَ العُروقَ الأَخدعُ
لا تأمنوا قوما يشبُّ صبيُّهم	بين القوابل بالعداوة ينشَعُ
قَوْمٌ إذا دَمَسَ الظّلامُ علَيهم	حَدَجوا قنافذَ بالنّميمة تمزَعُ
أمثالُ زيدٍ حين أَفسد رهطَهُ	حتّى تشتّت أمرُهُمْ فتصدّعوا
إنّ الذين تَرَوْنهم إخوانَكم	يَشْفي غليلَ صدورهم أنْ تُصْرَعوا

وها هو الصحابي المخضرم صِرْمَةُ ابْنُ أَبي أَنَسٍ رضي الله تعالى عنه (الذي ترهّب في الجاهليّة، ولَبِسَ المُسوحَ، وكان قوّالًا بالحق، معظّمًا لله تعالى في الجاهلية، ثم حسن إسلامه، وكان يقول في الجاهلية أَشعارًا حسانًا يعظّم الله تعالى فيها، وفيها حكم ووصايَا وعلم، ذكر بعضها ابن إسحق رحمه الله تعالى في السِّيَر) يضع لأَبناء عصره دستورًا خُلُقيًّا صاغه من القيم الدّينية والاجتماعيّة، ويحثّهم على الإيمان باللّه تعالى، وبرّ الوالدين، والتقوى:

يقول أبو قيس.. وأصبح غاديًا	ألا ما استطعتم من وصاتيَ فافعلوا
فأوصيكم باللهِ.. والبر والتقى	وأعراضكم.. والبر بالله أول
وإنْ قومكم سادوا فلا تحسدُنَّهم	وإن كنتمُ أهل الرياسة فاعدلوا

وإن نزلت إحدى الدواهي بقومكم	فأنفسكم دون العشيرة فاجعلوا
وإن ناب غرم فادح فارفقوهم	وما حمَّلوكم في الملمات فاحملوا
وإن أنتم أمعرتمُ فتعففوا	وإن كان فضل الخير فيكم فأفضلوا

ويدعو أبناءه إلى صلة الأرحام، وتقوى الله، وعدم أكل مال اليتيم، ويحذّرهم من صروف الدّهر، ويدعوهم إلى أن يُجمعوا أمرهم على البرّ والتقوى، ويبثُّ فيهم قيم التّوحيد، فيقول:

يا بَنيّ، الأرحامَ لا تقطعوها	وَصِلُوها قصيرةً من طِوالِ
واتّقوا الله في ضعاف اليتامى	ربّما يُستحلّ غَيْرُ الحلالِ
واعلموا أنّ لليتيم وَليّا	عالما يهتدي بغير السّؤالِ
ثُمّ مالَ اليتيم لا تأكلوه	إنّ مال اليتيم يرعاه والي
يا بَنيّ الأيامَ لا تأمنوها	واحذروا مَكْرَها ومَرَّ الليالي
واجمعوا أمركم على البرّ والتّق	وى وترك الخنا وأخذ الحلالِ

ولم يجِدْ أَعشى باهلة (عامر بن الحَارث بن رياح بن أبي خالد .... شاعر جاهلي مجيد، أشهر شعره رائية له في رثاء أخيه لأمه المنتشر بن وهب) لم يجِدْ ما يوصي به ابنه خيرًا من تقوى الله، لأنّها خير زاد:

عليكَ بتقوى الله في كُلّ إِمْرَةٍ	تجدْ غبّها يوم الحسابِ المطوّلِ
ألا إنّ تقوى الله خَيْرُ مَغَبّةٍ	وأفضلُ زاد الظّاعنِ المتحمّلِ
ولا خَيْرَ في طول الحياة وعَرْضِها	إذا أنت منها بالتّقى لم تَرَحّلِ

وهذا عَبيد بن الأبرص (مات سنة 25 ق هـ / 598 م. شاعر من دهاة الجاهلية وحكمائها، وأحد أصحاب المجمهرات المعدودة طبقة ثانية عن المعلقات، قتله النعمان بن المنذر حينما وفد عليه في يوم بؤسه) يوصي بنيه وأعمامه، حيث تقدّمتْ سنّه، فلم يَعُدْ للحياة كبير معنىً عنده، ولذا استوت الحياة والوفاة عنده، قائلًا:

فأَبْلغْ بَنيّ.. وأَعْمامَهُمْ	بأنّ المنايا لَهُمْ راصدةْ

لها مُدّةٌ فنفوسُ العبادِ	إليها وإنْ جَهَدوا قاصدة
فواللهِ إنْ عشتُ ما سرّني	وإنْ متُّ ما كانت العائدةْ

ومن غرائب معتقَد العرب أنهم كانوا يعتقدون أَنّ الرّجل إذا مات، ولم تربط ناقته على قبره، ليركبها إلى المحشر يوم البعث، حُشر راجلًا، ما يدلّ على عقوق الأبناء لآبائهم، أو العشيرة لأبنائها، لذا كان الرجل إذا مات عمدوا إلى راحلته التي ركبها، فيوقفونها على قبره معكوسة، رأسها إلى يدها، ملفوفة الرّأس في وَلِيَّتها، فلا تُعلف ولا تُسقى حتّى تموت، ليركبها إذا خرج من قبره، وكانت تلك النّاقةُ التي يُفعل بها هذا تُسمّى "البليّة"!

لذا فقد أَوصى جُرَيْبَةُ بْنُ أَشْيَمَ الفَقْعَسيّ (في أعلام الزركلي أنه شاعر جاهلي. كان من القائلين بالبعث، وممن يزعمون أن من عقرت مطيته على قبره يحشر عليها، نسبته إلى فقعس بن الحارث، من بني أسد بن خزيمة، وفي فهرس الموسوعة الشعرية أنه: جريبة بن الأشيم بن عمرو بن وهب بن دثار بن فقعس بن طريف، أبو سعد. شاعر من اللصوص، ويعتبر أحد شياطين العرب وشعرائها، كان جاهليًّا فلما أسلم قال: بدلت دينًا بعد دين قد قدم، له غزوات ومعارك، وكان له ولد سماه يسارًا وفرس تدعى (شراف) أنجته من معركة فر منها، لم يصلنا إلا القليل ما شعره) أوصى ابنه سَعْدا ألاّ يترك أباه دونما ناقة يركبها إلى المحشر، فخاطبه بقوله:

يا سعدُ، إمّا أهلكنّ فإنّني	أُوصيكَ إنّ أخا الوصاةِ الأَقربُ
لا تتركنّ أباكَ يعثُرُ راجلًا	في الحشر يُصرعُ لليدين وينكبُ
واحملْ أباكَ على بعير صالحٍ	وَابْغِ المطيّةَ إنّ ذلكَ اصْوبُ
ولعلّ لي ممّا تركتُ مطيّةً	في الحَشْرِ أركبها إذا قيل: اركبوا

وأوصى عُوَيْمر النبّهانيّ ابنه قائلًا:

أَبنيَّ، لا تنْسَ البليّة إنّها لأبيكَ يومَ نُشوره مركوبُ

وأما الأسودُ بنُ يَعْفُرَ النّهشليُّ (وهو شاعر جاهلي، من سادات تميم، من أهل العراق. كان فصيحًا جوادًا، نادم النعمان بن المنذر، ولما أسن كفّ بصره، ويقال له : أعشى بني نهشل) فيقري الضّيفَ، التزامًا بوصيّة أَبيه:

وإنّي لأُقري الضّيفَ وصّى به أَبي	وجارُ أَبي تَيْحانَ ظمآنُ جائعُ

وأما عمرو بن الأَهْتم رضي الله تعالى عنه (سيدي عمرو بن سنان بن سمي، من بني تميم. أحد السادات والشعراء الخطباء في الجاهلية والإسلام، أحد الصحابة الشعراء المجيدين. قيل إنه وفد على الرسول مع بني تميم في السنة 9 هـ وكان صغير السن وشارك في فتح بلاد فارس وكان في جيش الحكم بن أبي العاص. وتوفي رضي الله عنه في خلافة معاوية بعد أن عمّر وشاخ) فيوصي ابنه رِبْعيّا بإكرام ضيفه وقت الشدّة، حين يشحّ الزّادُ، ويضنّ الآخرون:

وجاري لا تُهينَنْهُ.. وضَيفي	إِذا أَمسى وراءَ البيتِ كورُ
يؤوبُ إِليك أَشعثَ جرّفتْهُ	عوانٌ.. لا ينهنهها الفتورُ
أَصِبْهُ بالكرامة.. واحتفظْهُ	عليك فإنّ منطقه يَسيرُ

وأما الحارث بن حلّزة (من عظماء قبيلة بكر بن وائل، كان شديد الفخر بقومه حتى ضرب به المثل فقيل «أفخر من الحارث بن حلزة»، ولم يبق من أخباره إلا ما كان من أمر الاحتكام إلى عمرو بن هند (في 554 – 569 م) لحل الخلاف الذي وقع بين قبيلتي بكر وتغلب. توفي أواخر القرن السادس الميلادي على وجه التقريب) فيخاطب ابنه عمرًا ويوصيه بأن يحلب الألبان للأضياف، وألاّ يدّخر شيئًا من ذلك:

قُلْتُ لعمرو حينَ أَبصرتُهُ	وقد حبا من دونها عالجُ
لا تكْسَعِ الشَّوْلَ بأغبارها	إِنّك لا تدري من النّاتجُ!
واحلُبْ لأَضيافك ألبانها	فإنّ شرّ اللّبن الوالجُ

وأَوصى عمارة بن عوف العدواني ابنته بالحفاظ على الجار، والدّفاع عنه:

قلتُ لها، والجودُ من شيمتي:	آمُرُكُمْ في العُسْر واليُسْرِ
بضيفكم.. إنّ له حُرْمةً	فأقْروا ضيوفيَ قَحَدَ الجُزْرِ
وارْعَوْا لجار البيت ما قد رعى	قبلكم.. ذاك بنو عمرو
قوموا لضيف جاءكم طارقًا	وجارُكُمْ بالنيّ والخَمْرِ
وذَبّبوا مَنْ رامَ جيرانَكُمْ	بالسّوء بالبُتْرِ وبالسُّمْرِ

وعمارة بن عَوْف العَدْوَاني: ذكره أَبُو حَاتِمٍ السّجسْتَانِيُّ في "المعمرين"، وقال: كان كاهنًا، يقال إنه عُمِّر مائتين وخمسين سنة، وعاش إلى خلافة سيدنا عمر رضي الله عنه، وكان هجّيراه لما كبر: أقروا ضيفكم، وهو القائل:

عُمِّرْتُ دَهْرًا ثُمَّ دَهْـرًا وَقَـدْ	آمُلُ أَنْ آتِي عَلَـى دَهْـرِي
خَمْسُونَ لِي قَدْ أُكْمِلَتْ بَعْدَمَا	سَاعَدَنِي قَرْنَايَ فِي عُمْرِي

وأوصى الأعشى ابنه بَصيرًا بأن يَشْدُدَ أَزْرَ المستجير به، وأنْ يدافع من دونه، موقدًا نار حرب تسفع الوجوه:

وكُنْ من وراءِ الجارِ حِصْنا مُمنّعا وَأَوْقِدْ شهابا يسفَعُ الوجْهَ حاميا

كما يوصى ابنه قائلًا:

ولا تقْربَنّ جارةً إنّ سِرّها عليكَ حَرامٌ فانكحَنْ أو تأبّدا

ويؤكّدُ هذه الوصيّةَ مرّة أخرى في موقع آخَرَ من ديوانه قائلًا:

وجارةَ جَنْبِ البَيْتِ لا تَبْغِ سرّها فإنّك لا تخفى على الله خافيا

وأما سيدي الصحابي لبيد بن ربيعة (توفي 41 هـ/661 م. أحد الشعراء الفرسان الأشراف في الجاهلية، أدرك الإسلام، ووفد على النبي صلى الله عليه وسلم مسلمًا، ولذا يعد من الصحابة، ومن المؤلفة قلوبهم. وترك الشعر فلم يقل في الإسلام إلا بيتًا واحدًا. وسكن الكوفة وعاش عمرًا طويلاً. وهو أحد أصحاب المعلقات) فيوصي ابنه بأَنْ يعفف عن الجارات، وأَن يكرمهن، فيقول:

واعفِفْ عن الجاراتِ وامْنحْ	هُنّ ميسرَك السّمينا
وابذُلْ سَنامَ القدر إ	نّ سواءَها دُهْما وَجونا
ذا القدرَ إنْ نَضِجَتْ وعجّ	لْ قبلَهْ ما يشتوينا
تلك المكارمُ إن حفظْ	تَ فلن تُرى أبدا غبينا

ويوصي سيدي الصحابي كعب بن زهير رضي الله تعالى عنه ابنه بحفظ السر، فيقول له:

لا تُفْشِ سِرَّكَ إلاّ عند ذي ثِقَةٍ	أَوْ لا فَأَفضلُ ما استودَعْتَ أَسْرارا
صَدْرا رحيبا وقلْبا واسعا صَمِتا	لم تَخْشَ منه لما استَوْدَعْتَ إظْهارا

وفي المعنى ذاته يوصي دعامة بن زيد الطّائيّ ابنه:

ولا تُفْشِيَنْ سِرّا إلى ذي نميمةٍ	فذاك إذًا ذَنْبٌ برأسِكَ يُعْصَبُ
إذا ما جعلتَ السِرَّ عند مُضَيَّعٍ	فإنّك ممّن ضيّعَ السرَّ أَذْنَبُ

ويبهرنا دعامة أيضًا بحرصه على تحلّي ابنه بالآداب العامّة في المجالس، فيوصيه قائلًا:

لا تقطعنَّ مقالةً في مجلسٍ	لا تستطيعُ، إذا مَضَتْ، إدراكَها
قِسْ كُلَّ أَمْرِكَ قَبْلَ جهرِكَ بالتي	فاتَتْ ولمّا تستطِعْ إمْساكَها

ويوصي ابنه أشعثَ بأن يكون جريئًا مقدامًا:

أَبنيَّ إنّ أباكَ يومًا هالكٌ	فاحفَظْ أباك رياسةً وتقلّبا
وإذا لقيتَ كتيبةً فتقدّمنْ	إنّ المقدّم لا يكون الأخيبا
تَلْقى الرّياسة أَو تموتُ بطعنة	والموتُ يأتي مَنْ نأى وتجنَّبا

ويوصي المرار الفقعسيّ (شاعر أموي، كان قصيرًا مفرط القصر ، ولكنه كان شجاعًا كريمًا، وكان كثير الشعر، ولكن فقد أكثره، وموضوعاته تتناول الوصف والرثاء والفخر والغزل والهجاء) يوصي ابنه بالحلم، والبعد عن التسرّع والشّتم:

إذا شئتَ يوما أَنْ تسودَ عشيرةً	فبالحِلْم سُدْ.. لا بالتّسرع والشَّتْمِ
ولَلْحِلْمُ خَيْرٌ، فاعْلَمَنّ، مغبّةً	من الجهل إلاّ أَنْ تشمّس مِنْ ظُلْمِ

وحَرَص الشّاعر الجاهليّ في وصاياه لأبنائه على تعزيز صلتهم بالقبيلة، وبيان واجباتهم، وما يجب أن ينهضوا به في الملمّات. فقد أوصى صِرْمَةُ بن أبي أَنَسٍ أبناءه، وفصّل لهم حقوق قبيلتهم عليهم، وخاطبهم قائلًا:

وإِنْ قومُكُمْ سادوا فلا تحسدنّهم	وإن كنتُمُ أَهْلَ الرّياسةِ فاعدلوا
وإِنْ نزلتْ إحدى الدّواهي بقومكم	فأنفسَكُمْ دونَ العشيرةِ فاجعلوا
وإنْ نابَ غُرْمٌ فادحٌ فارفُقُوهُمُ	وما حمّلوكم في الملمّات فاحملوا

وأوصى الأعشى ابنَهُ بَصيرًا بأَنْ يشارك سادة الحيّ فيما ينوب من مغارم:

وآسِ سَراةَ الحيّ حيثُ لقيتَهُمْ	ولا تكُ عن حَمْل الرّباعة وانيا
ولا تخذلنّ القَوْمَ إنْ نابَ مَغْرَمٌ	فإنّك لا تعدم إلى المجد داعيا

ويُشيدُ كعب بن زهير بما وصّاه به أبوه، قائلًا:

وبالعَفْو وصّاني أَبي وعشيرتي	وبالدّفْع عنها في أُمور تَريبُها
وقومَكَ فاسْتَبقِ المودّةَ فيهم	ونفسَكَ جنّبها الذي قد يَعيبُها

وأَوصى قيس بن عاصم بَنيه بأن يُسوّدوا كبارهم وحلماءهم، ويحافظوا على حقوق صغارهم:

وَذَوو الحِلْمِ والأَكابرُ أَولى	أنْ يُرى منكُمُ لَهُمْ تسويدُ
وعليكُمُ حِفْظَ الأصاغرِ حتّى	يبلُغَ الحِنْثَ الأصغرُ المجهودُ

وهذا ذو الإصبع العدواني أَحَدُ حكماء العرب في الجاهليّة، يوصي ابنه:

"يا بُنَيّ إنّ أباك قد فني وهو حيّ، وعاش حتّى سئم العيش، وإِنّي موصيك بما إن حفظتَهُ بلغْتَ في قومك ما بَلَغْتُهُ، فاحفظْ عنّي: أَلِنْ جانبك لقومك يحبّوك، وتواضَعْ لهم يرفعوك، وابسُطْ لهم وجهك يطيعوك، ولا تستأثرْ عليهم بشيء يسوّدوك، وأَكْرِمْ صغارهم كما تكرمُ كبارهم، يكرمْكَ كبارُهم، واسْمَحْ بمالك، واحْمِ حريمك، واعْزُزْ جارك، وأَعِنْ مَن استعان بك، وأكرمْ ضَيْفَك، وأسرع النّهضة في الصّريخ، فإنَّ لك أجَلا لا يعدوك، وصُنْ وجهك عن مسألة أحد شيئا، فبذلك يتمّ سؤدُدُك".

ثم يوصي ابنه بأن يلزم صداقة الكرام، وأنْ يشرب بكأسهم، ولو شربوا به سُمًّا ناقعًا، وأن يكون وَصولا لهم وَدودا، لأنّ في صداقتهم فضلًا له:

آخِ الكرامَ إنِ اسْتَطَعْ	تَ إلى إخائهمُ سبيلا
واشربْ بكأسهم وإنْ	شربوا به السمّ الثّميلا
أَهِنَ اللّئامَ ولا تَكُنْ	لإخائهم جَملا ذَلولا
إنّ الكرامَ إذا تُؤا	خيهمْ وجدتَ لهم فضولا
وَصِلِ الكرامَ وَكُنْ لِمَنْ	ترجو مَوَدّته وَصولا

ويدعو ابنه أُسَيْدا إلى أنْ يستشرفَ الأماكن العالية، وأن يحلّ على الأَيْفاع، لتكون ناره بارزة، يهتدي بها الضّيوف، ويلجأ إليه كلّ طالب معروف، ويأمره قائلًا:

وابذلْ لضيفك ذاتَ رَحْ	لِكَ مُكْرِما حتّى يزولا
واحْلُلْ على الأَيْفاع للع	افين وَاجْتَنبِ المسيلا

ويرسم لابنه سياسة ماليّة، قائمة على أن يتصرف في المال تصرّفا جميلا، وألاّ يكون المال مسيطرًا عليه:

أَأُسَيْدُ إنْ مالًا ملكْ	تَ فَسِرْ به سَيْرا جميلا
أَبُنَيّ إنّ المالَ لا	يبكي إذا فَقَدَ البخيلا
وَابْسُطْ يمينَكَ بالنّدى	وامدُدْ لها باعا طويلا
وَابْسُطْ يَدَيْكَ بما ملكْ	تَ وشيّدِ الحَسَبَ الأَثيلا

ويدعوه إلى أن يكون جريئًا مِقْدامًا، ينقضّ على خصمِهِ كما ينقضّ اللّيث على فريسته، ويدعوه إلى مواجهة أفدح الأُمور بِجَلَدٍ وصَبْر:

وإذا القُرومُ تَخاطَرَتْ	يومًا وأرعدتِ الخَصيلا
فاهصِرْ كهصْرِ اللّيثَ خَضّ	بَ من فريسته التّليلا
وانزِلْ إلى الهيجا إذا	أبطالُها كرهوا النُّزولا
وإذا دُعيتَ إلى المُهِ	مّ فكُنْ لفادحه حَمولا

ويحثّه على المحافظة على الصّديق:

أَأُسَيْدُ إِنْ أَزمعتَ من	بَلَدٍ إلى بَلَدٍ رحيلا
فاحفظْ وإنْ شَحَطَ المزا	رُ أَخا أَخيك أو الزّميلا

وينصح سيدي حسّان بن ثابت رضي الله تعالى عنه ابنه بجملة من الفضائل النفسيّة، فيقول:

أَعْرِضْ عن العوراءِ إنْ أُسْمِعْتَها	واقْعُدْ كأَنّك غافِلُ لا تَسْمَعُ
وَدَعِ السّؤالَ عن الأُمورِ وحفرها	فَلَرُبَّ حافرِ حفرة هو يُصْرَعُ
والزَمْ مجالسةَ الكرامِ وفعلَهُمْ	وإذا اتّبعتَ فأَبْصِرَنْ مَنْ تتبَعُ
لا تَتْبَعَنَّ غَوايةً لصبابة	إنّ الغواية كُلَّ شرّ تَجْمَعُ
والقومُ إنْ نزروا فَزِدْ في نَزْرهمْ	لا تقْعُدَنّ خلالهم تتسَمّعُ
والشّربَ لا تدْمِنْ وَخُذْ معروفَهُ	تَخْرُجْ صحيحَ الرأسِ لا تتصدّعُ
واكدَحْ لِنَفْسكَ لا تكلّف غيرَها	فبدينها تجزى وعنها تدفَعُ

ويصوغ عمرو بن الأهتم لابنه رِبْعيّ دستورا أَخلاقيًّا، يضمّنه خلاصة تجارِبِهِ في الحياة، كانت المحافظة على المجد أبرز ما فيه:

لقد أَوْصَيْتُ ربعيَّ بْنَ عمروٍ:	إذا حَزَبَتْ عشيرتَكَ الأُمورُ
بألا تُفْسدَنْ ما قد سَعَيْنا	وحفظُ السُّورةِ العُليا كبيرُ
وإنّ المجدَ أَوّلُهُ وُعورٌ	ومصدرُ غبّهِ كرمٌ وخِيرُ
وإنّك لن تنالَ المجدَ حتّى	تجودَ بما يضنُّ به الضّميرُ
بنفسك أو بمالك في أُمورٍ	يهابُ ركوبَها الوَرِعُ الدَّثُورُ

وَحَرَص قيس بن عاصم على تعزيز العلاقات الإنسانيّة بين أبنائه، وهي قضيّة – كانت وما تزال – تشغل بالَ الآباء، وتؤرّقهم. فلّا حضرتْهُ الوفاةُ، جمع بَنيه، وقال لهم: فَلْيأتني كلّ واحد منكم بعود، فاجتمع عنده عيدان، فجمعها وشدّها، وقال: اكسروها، فلم يُطيقوا ذلك، ثم فرّقها فكسرها، فقال: هذا مثلكم في اجتماعكم وتفرّقكم، ودعاهم

إلى الاتّحاد وإصلاح ذات بينهم، لأنّ فيه طولَ بقائهم، وسرَّ قوّتهم وتماسُكَهم، ودعاهم إلى أن يُحبّ بعضهم بعضا، ثمّ خاطبهم بقوله:

بصلاحِ ذاتِ البَيْن طولُ بقائكُمْ	إنْ مُدَّ في عُمْري وإنْ لم يُمْدَدِ
حتّى تلينَ جلودُكُمْ وقلوبُكُمْ	لمسوّد منكم وغيرِ مُسَوّدِ
إنّ القِداحَ إذا جُمِعْنَ فرامَها	بالكَسْرِ ذو حَنَقٍ وبَطْشٍ أيّدِ
عَزّتْ فلم تُكْسَرْ وإن هيَ بُدّدَتْ	فالوَهْنُ والتّكسير للمتبدّدِ

ويشغل الحرص على مستقبل الأبناء بالَ قيس ويؤرّقه مرّة أُخرى. فنراه – كما تدلّ رواية صاحب الأغاني – يجمع أبناءه مرّة ثانية، ليطمئن على متانة علاقاتهم بعد وفاته، وكان قد جمع ثمانين سَهْما، ربطها بوتَر، ثمّ قال: اكسروها، فلم يستطيعوا، ثمّ قال: فَرّقوا. ففرّقوا، فقال: اكسروها سهما سهما، فكسروها، فقال: هكذا أنتم في الاجتماع وفي الفُرْقة، ثم خاطب أبناءه، مرّة أُخرى، داعيا إلى وَحْدتهم:

وثلاثون يا بَنيَّ إذا ما	جَمَعَتْهُمْ في النّائباتِ العُهودُ
كثلاثين من قِداحٍ إذا ما	شدّها للزّمانِ قِدْحٌ شديدُ
لَمْ تكسّرْ وإنْ تفرّقتِ الأس	هُمُ أودى بجمعها التبديدُ

ويحثّ أبناءه على السَّيْر على سنن الآباء، وإعلاء بنيان المجد، الذي أرسى دعائمه:

إنّما المجدُ ما بني والدُ الصّد	قِ وأحيا فَعالَهُ المَوْلودُ
وتمام الفضلِ الشّجاعةُ والحِلْ	مُ إذا زانَهُ عَفافٌ وجود

ويوصى النّمر بن تَوْلَب فتاه بأنْ يبني مجده بيديه، وألاّ يعتمد على غيره، لأنّ الناس لا يبنون له ما يهدمه بيديه، ويجنّب نفسه الخيانة، وينأى عن الإثم:

وأُوصي الفتى بابتناء العَلا	ءِ: أَلاّ يخونَ ولا يَأْثَما
ويَلْبَسَ للدّهرِ أَجْلالَهُ	فلن يبنيَ النّاسُ ما هدّما
وَاحْبِبْ حبيبَكَ حُبّا رويدا	لئلا يعولَكَ أنْ تَصْرِما
وَابْغُضْ بغيضَكَ بُغْضا رويدا	إذا أنت حاولتَ أن تحكُما

وكان الحفاظ على الأمانة من أهمّ القيم السّلوكية التي حرص نُفَيْلُ بْنُ مرّةَ العبديّ على تعزيزها في نفس ابنه، فحثّه على التمسّك بقيم الوفاء:

بُنَيَّ استمعْ منّي هُديتَ وصاتيا	ولا تَكُ عَنْها مُدّة الدّهر ساهيا
إذا ما امرؤ أَهدى إليك أمانةً	فأوْفِ بها إنْ متَّ سُمّيتَ وافيا

ويرسل قيس بن مسعود الشّيبانيّ وصايا لأَبنائه – وهو في السّجن – يحثّهم فيها على الصّلح:

ليُذكَرَ معروفٌ ويُدْحضَ جاهلُ	وأُوصيهُمُ بالله والصّلح بينَهم
على الدّهرِ والأيامِ وهي غوائلُ	وصاةَ امرئ لو كان فيهم أَعانَهُمْ

ويوصي العُدَيْل بن الفرخ قبائل ربيعة ومُضَرَ، ويحثّهم على التواصل والتّعاضد، ويحذّرهم من التقاطع والتّدابر، ويذكّرهم بما في صلة الرحم من الأجر، فيقول:

فأوصيكما يا ابنَيْ نزار فتابِعا	وصيّة مُفضي النُّصْح والصّدْقِ والوُدِّ
فلا تعلمنّ الحربَ في الهام هامتي	ولا ترميا بالنبل ويحكما بعدي
أما ترهبان النارَ في ابني أبيكما	ولا ترجوان الله في جنّة الخلدِ

(والعُدَيْل بن الفَرْخ بن معن بن الأسود، من بني عِجْل؛ رهط أبي النّجم الرّاجز، ثمّ من بكر بن وائل، ثم من ربيعة بن نزار. شاعرٌ مقلٌّ من شعراء الدولة الأُمويّة، لقبه العَبّاب (زنة شدّاد)،

ويوصي عبد المطلب ابنه زُبيرا بالمحافظة على حلف خزاعة، لمحافظتهم عليه، ويحثّ ابنه على الابتعاد عن الظّلم والغدر:

سأُوصي زُبَيْرًا إنْ توافتْ منيّتي	بإمساك ما بيني وبين بني عمرو
وأن يحفظ الحلفَ الذي بينَ شيخه	ولا يَلْحَدَنْ فيه بظلم ولا غدرِ
هُمُ حفظوا الإلَّ القديمَ وحالفوا	أباكَ فكانوا دون قومك من فِهْرِ

وفي مجال العلاقات الإنسانية يوجّه الأضبط بن قريع ابنه إلى صياغة علاقاته بأبناء مجتمعه، على مبدأ المعاملة بالمثل، ويحثه على القناعة في العيش:

وَصِلْ وصالَ البعيد ما وَصَلَ ال	حَبْلَ.. وأَقْصِ القريبَ إنْ قَطَعَهْ
واقْبَلْ من الدّهر ما أتاك به	مَنْ قرّ عَيْنًا بعيشه نَفَعَهْ

ويزهو هبيرة بن عمرو بن جرثومة النّهدي بما كان أبوه قد أوصى به أبناءه: بأن يدافعوا عن ديارهم، وإذا أوقدتْ نار الحرب كانوا شهابها، إذْ لا يذود عن النّاس إلاّ سيوفهم ورماحهم:

وأَوصى أَبونا فاتّبعنا وصاتَهُ	وكلّ امرئ موصٍ أبوه وذاهبُ
إذا أوقدتْ نارُ العدوّ فلا يَزَلْ	شهاب لكم ترمي به الحرب ثاقب
يفرّجُ عن أبنائنا ونسائنا	جلادٌ وطعن يردع الخيل صائب
وما ذادَ عنّا النّاسَ إلاّ سيوفُنا	وخطيّةٌ ممّا يترّص زاعبُ

ويشدو عمرو بن مرّة ابن مالك النّهدي بما أوصاه به زؤيّ بن مالك، الذي كان قد أوصاهم بألاّ تستباح ديارهم، وعليهم أن يدافعوا عنها، ويغالوا بأخذ المكرمات:

بذلك أوصاني زُؤيّ بن مالكٍ	ونَهْدُ بن زيدٍ في الخطوبِ الأوائلِ
وأوصى بألاّ تُستباح دياركم	وحاموا عليها تنطقوا في المحافلِ
وغالوا بأخذ المكرماتِ فإنّها	تفوز غداةَ السّبق عند التفاضلِ

ويضع يزيد بن الحكم الثقفي بين يدي ابنه منظومة متكاملة من القيم السّلوكية، ضمّنها خلاصة تجاربه في الحياة. فيقول:

يا بدرُ والأَمثالُ يَضْ	ربُها لذي اللُبّ الحكيمُ
دُمْ للخليل بودّه	ما خَيْرُ وُدّ لا يدومُ
واعرفْ لجارك حقّه	والحقّ يعرفه الكريمُ
وَاعْلَمْ بأنّ الضَّيْفَ يَوْ	ما سوفَ يَحْمَدُ أَو يلومُ
والنّاس مبتنيان مح	مودُ البناية أو ذميمُ

ويدعوه إلى الانتفاع بما يعلم، والتدبّر في عواقب الأمور، وتقديرها تقديرًا سليمًا قبل الشّروع فيها ويحذّره من البغي والظّلم:

واعْلَمْ بُنَيَّ فإنّه	بالعلم ينتفعُ العليمُ
أن الأُمورَ دقيقُها	ممّا يهيجُ له العظيمُ
والبغيُ يصرع أهلَهُ	والظّلْمُ مرتعُهُ وخيمُ
ولقد يكونُ لَكَ الغري	بُ أَخا ويقطعُكَ الحميمُ
والمرء يُكْرَمُ للغنى	ويُهانُ للعَدَمِ العَديمُ
قد يُقْترُ الحَولُ التّق	يُّ ويُكثر الحمِقُ الأثيمُ
يُمْلى لذاك ويُبتلى	هذا فأيّهما المضيمُ
والمرء يبخل في الحقو	قِ وللكلالةِ ما يُسيمُ
ما بُخْلُ مَنْ هو للمنو	نِ ورَيْبها غَرَضٌ رجيمُ
ويرى القرون أمامَهُ	همدوا كما هَمَدَ الهشيمُ
ويخرّبُ الدّنيا فلا	بُؤْسٌ يدومُ ولا نعيمُ
كلّ امرئ سَتئيمُ مِنْ	هُ العِرْسُ أو منها يئيمُ
ما علْمُ ذي وَلَدٍ أَيَتْ	كلُهُ أم الولدُ اليتيمُ

وفي وصية للشاعر الحمي كامل الغزي (1853 – 1933م) لابنه الذي اشتهر بسعة ثقافته وحدة ذكائه وحبه للمطالعة، إلى جانب ولعه باقتناء الكتب منذ صباه، وعُرف بتسامحه الديني، فقد كان على اتصال قريب بمسيحيي حلب، وسعى إلى إزالة النفرة التي كانت يومئذ بين المسيحيين والمسلمين من أبناء حلب، وتقلد عددًا من المناصب الرسمية، فتولى رئاسة

كتاب المحكمة الشرعية مرتين، ورأس تحرير جريدة الفرات الرسمية عشرين عامًا، وأدار مكتب الصنائع، وهو أول مؤسس له، ورأس مجلس بنك الزراعة، ثم غرفة التجارة والزراعة والصناعة. كما رأس جمعية الآثار القديمة، واللجنة الإدارية للمتحف الوطني بحلب، وعمل رئيسًا لتحرير مجلتها حتى الأيام الأخيرة من حياته. وكان عضوًا في المجمع العلمي العربي بدمشق، إلى جانب انتخابه غير مرة لعضوية المجلس البلدي في حلب.

وله عدد من المؤلفات المطبوعة والمخطوطة منها: الروزنامة الدهرية/ ونهر الذهب في تاريخ حلب – في ثلاثة مجلدات كبار/ والقول الصريح في الأدب الصحيح وغيرها، وحصل على وسام المعارف الفرنسية من الدرجة الثانية عام 1924، واختير عضوًا شرفيًّا للمجمع العلمي الفرنسي في باريس، ونال الوسام نفسه من الدرجة الأولى، كما حاز وسام الاستحقاق السوري من الدرجة الثانية.. يقول الغزي في وصيته لابنه:

مولايَ أنتَ المنعمُ المتفضِّلُ ... إياكَ كلُّ الكائناتِ تُبجِّلُ

ولمجدكَ الأسنى المحامدُ كلُّها ... ولقدسكَ الأسمى الثناءُ يُرتَّل

حقّقتَ لي بعد القنوطِ المرتجى ... ما خاب ذو رَجْوٍ عليك يُعوِّل

فمنحتَني كرمًا غلامًا وجهُه ... أضحى به وجهُ السعادةِ يُقبل

لما أهلَّ غدا بأرجاء الحمى ... داعي السعادةِ والهنا يتهلّل

أَبُنيَّ أنتَ وديعةُ اللهِ الذي ... هو بالودائع خيرُ من يتكفّل

أبصرتُ نجمَكَ في الديار وإنني ... لإخال شمسي عن قريبٍ تأفل

فإلى الإله وكَلْتُ أمرَكَ إنه ... نعمَ الوكيلُ لنا ونعمَ الموئل

أولاكَ مولاكَ السعادةَ والرَّخا ... وحباكَ سعيًا بالنجاح يُكلَّل

ووقاكَ من غدر الزمانِ وكيدِهِ ... وعليكَ فيما ترتجي يتفضّل

أبنيَّ ثِقْ بالله.. واعلمْ أنه ... هو وحدَه ما شاء فينا يفعل

الجأْ إلى ظلّ الديانةِ.. واطّرِحْ ... ما قال فيها ملحدٌ ومضلّلُ

أمسكْ عن الأبحاث في قَدَرٍ ودعْ ... ما قال فيه مُجبِّرٌ ومُعطِّل

انشطْ ولا تكسلْ لإحراز الغنى ... فالفقرُ للكسل الرفيقُ الأول

والذلُّ في كَنَف الفقيرِ مخيِّمٌ ... والعزّ في الدنيا لمن يتموَّل

والفقرُ سترٌ للمحاسن والغنى ... سِترٌ على وجه المساوئِ مُسدَل

والأغنياءُ مبجّلون وإن هُمُ ... في كلّ مَنقصةٍ غلوا وتوغّلوا

والمملقون مُحقَّرون وإن هُمُ ... من كلّ مكرمةٍ جَنَوا وتموّلوا

كم أحمقٍ تَخِذَ البطالةَ حرفةً ... كسلًا.. ويزعم أنه مُتوكّل

إن التوكل غيرُ معقولٍ بما ... للخَلْق فيه تخيُّرٌ.. وتَحيُّل

والوقتُ من ذهبٍ فلا تُذهبْه في ... ما ليس للمجد الرفيع يُؤثِّل

زيِّنْ ثراءك بالعلوم.. فإنما ... بالمال والعلم المفاخر تكمُلُ

ما الجاهلُ المثْري الموقِّي شحّه ... إلا حمارٌ.. بالنضار مجلَّل

العلم مفتاح النجاح.. وبابه ... في وجه مَن أَلِفَ الجهالة مُقْفل

والمال بالإنفاق ينقص عدُّه ... وبه المعارف عدُّها يتسلسل

كم أمةٍ صارت رؤوسًا وهْي من ... قبل العناية بالمعارف أرجُل

كم للمغارب من حصون علومها ... في الشرق غاراتٌ تُشَنّ وجحفل

ولكم تجرَّد من مدارس علمها ... في الشرق سهمٌ لا يطيش ومنصل

ملكَتْ بها تلك النواحي عنوةً ... فهي الصياصي جندها لا يفشل

جندٌ يُراعُ الحوتُ منه بلجَّةٍ ... وبجوِّهِ يخشى سطاه الأجدل

فالجهلُ مخذول الجيوش وإنما ... جيش المعارف واحدٌ لا يُخذَل

أجمِلْ بسعيك للمعاش وعانِهِ ... من كل وجهٍ بالمروءة يجْمُل

لا تعجلَنْ فيما بدا لك وانظرنْ ... بسنا الرويّة ما تقول وتفعل

وكنِ اللبيبَ ولا تضيِّعْ فرصةً ... سنحتْ فكم فيها المآربُ تحصل

اسلكْ سبيل الإقتصاد فإنما ... بالإقتصاد إلى الغنَى يتُوَصَّل

اقرأْ ولا تعجل وخُذْها وازعًا ... حِكَمًا على إنفاق مالكَ يعْدل

لا تُظهرنَّ غنًى فتوقظ حاسدًا يُغْري بوفرك من يحُول ويخْتل

أو فاقةً تجني عليك شماتة يغلي بصدرك من لظاها مِرجل

ولغيرك ارْضَ بما لنفسك ترتضي هذا هو الشرع الأتمّ الأكمل

والخلقُ كلهُمُ عيال الله ما أحدٌ سوى الله الخلائقَ يكفل

فانظرْ جميعَهمُ بعينٍ ملؤها لطفٌ ومرحمةٌ وعدلٌ يشمل

2 – بعض الوصايا الأبوية المنثورة:

وكما كان الآباء الشعراء ينصحون، كان الآباء الحكماء لا يبخلون على أبنائهم عامة وبناتهم بالتوجيه الرشيد والقول السديد، والنصيحة الحكيمة، والكلمة القويمة..

سيدي الفاروق رضي الله تعالى عنه:

ومن ذلك ما في حديث الشيخين من حديث ابن عباس رضي الله تعالى عنهما عندما قيل إن النبي صلى الله عليه وسلم طلق نساءه، فجاء سيدي عمر بن الخطاب رضي الله عنه، وسأل ابنته أم المؤمنين حفصة رضي الله عنها: أي حفصة! أتغاضب إحداكن النبي صلى الله عليه وسلم وتهجره من الليل حتى الصباح؟! قالت رضي الله عنها: نعم.

فقال رضي الله عنه: ما يؤملك أن يغضب الله تعالى لغضب رسوله صلى الله عليه وسلم فتهلكي، ثم أوصاها بوصية، ينبغي لكل والد أن يوصي ابنته بها، فقال لها:

لا تسألي النبي صلى الله عليه وسلم شيئًا، ولا تستكثريه، وسليني ما بدا لك.

وها هو سيدي أمير المؤمنين علي رضي الله عنه يوصي ابنه فيقول:

يا بني: اجعل نفسك ميزانًا بينك وبين غيرك، فأحبب لغيرك ما تحب لنفسك، واكره له ما تكره لها، ولا تظلم؛ كما لا تحب أن تظلم، وأحسن؛ كما تحب أن يحسن إليك، واستقبح من نفسك ما تستقبحه من غيرك، وارض من الناس بما ترضاه لهم من نفسك، ولا تقل ما لا تعلم، وإن قل ما تعلم، ولا تقل ما لا تحب أن يقال لك، واعلم أن الإعجاب ضد الصواب، وآفة الألباب، فاسع في كدحك، ولا تكن خازنًا لغيرك، وإذ أنت هديت لقصدك فكن أخشع ما تكون لربك.

احفظ ما في يديك أحب إلي من طلب ما في يد غيرك، ومرارة اليأس خير من الطلب إلى الناس، والحرفة مع العفة، خير من الغنى مع الفجور، والمرء أحفظ لسره، ورب ساع فيما يضره، من أكثر أهجر، ومن تفكر أبصر، قارن أهل الخير تكن منهم، وباين أهل الشر تبن عنهم، بئس الطعام الحرام، وظلم الضعيف أفحش الظلم، إذا كان الرفق خرقًا

كان الخرق رفقًا، ربما كان الدواء داءً، وربما نصح غير الناصح، وغش المستنصح، وإياك والاتكال على المُنى، فإنها بضائع النوكى (الحمقى)، والعقل حفظ التجارب، وخير ما جربت ما وعظك، بادر بالفرصة قبل أن تكون غُصَّة، ليس كل طالب يصيب، ولا كل غائب يؤوب، ومن الفساد إضاعة الزاد، ومفسدة المعاد، ولكل أمر عاقبة، وسوف يأتيك ما قدر لك، التاجر مخاطر، ورب يسير أنمى من كثير.

التابعي العلامة أبو الأسود الدؤلي رضي الله تعالى عنه:

أوصى العالم المحدِّث الشاعر اللغوي أبو الأسود الدؤلي رحمه الله تعالى – وهو من سادات التابعين وأعيانهم – ابنته بهذه الوصية ليلة زفافها، فقال لها:

إياك والغيرة فإنها مفتاح الطلاق، وعليك بالزينة؛ وأزين الزينة الكحل، وعليك بالطيب، وأطيب الطيب الماء، وكوني كما قلت لأمك يومًا ما:

خذِ العفو مني تستديمي مودتي	ولاتنطقي في ثورتي حين أغضب
فإني وجدت الحب في القلب والأذى	إذا اجتمعا لم يلبث الحب يذهب

وأما عامر بن الظرب (الشاعر الجاهلي الذي كان من حكماء العرب وسادتهم، وحكيمهم في سوق عكاظ، وكان ممن حرم الخمر في الجاهلية) فقد زوّج ابنته من ابن أخيه، فلما أراد تحويلها إلى زوجها قال لأمها:

مري ابنتك ألا تنزل مفازة إلا ومعها ماء؛ فإنه للأعلى جلاء، وللأسفل نقاء. ولاتكثر مضاجعته، فإنه إذا مل البدن مل القلب، ولا تمنعه شهوته فإن الحظوة في الموافقة.

وأما أسماء بن خارجة (بن حصن بن حذيفة بن بدر الأمير أبو حسان الفزاري الكوفي، من كبار الأشراف وهو ابن أخي عيينة بن حصن أحد المؤلفة قلوبهم) فقد زوّج ابنته، فلما أراد إهداءها قال لها موصيًا ناصحًا:

إنك خرجت من العش الذي فيه درجت، وصرت إلى فراش لا تعرفينه، وقرين لم تألفيه؛ فكوني له أرضًا يكن لك سماء، وكوني له مهادًا يكن لك عمادًا، وكوني له أمة يكن لك عبدًا، ولا ترجفي به فيقلوَك (فيكرهك)، ولا تتباعدي عنه فينساك، وإن دنا فاقربي منه، وإن نأى فابعدي عنه، واحفظي أنفه وسمعه وعينه، فلا يشم منك إلا طيبًا، ولا يسمع منك إلا حسنًا، ولا ينظر إلا جميلا.

وأما سيدي أوس بن حارثة بن لام الطائي رضي الله عنه (وكان سيدً مقدمًا، يضرب به المثل في الفضل والجود) فقال يُوصي ابنه الوحيد مالكًا:

يا مالك: المنية ولا الدنية، والعتاب قبل العقاب، والتجلد لا التبلد. واعلم أن القبر خير من الفقر، وشر شارب المشْتَف، وأقبح طاعم المقتف. وذهاب البصر خير من كثير من النظر، ومن كرم الكريم الدفاع عن الحريم، ومن قل ذل، ومن أُمِرَ فل، وخير الغنى القناعة وشر الفقر الضراعة.

والدهر يومان: فيوم لك، ويوم عليك؛ فإذا كان لك فلا تبطر، وإذا كان عليك فاصبر، فكلاهما سينحسر، فإنما تعز من ترى، ويعزك من لا ترى، ولو كان الموت يشترى لسلم منه أهل الدنيا؛ ولكن الناس فيه مستوون: الشريف الأبلج، واللئيم المعلهج، والموت المفيت خير من أن يقال لك: هبيت! (والهبيت أو الهبيل الأحمق) وكيف بالسلامة لمن ليست له إقامة! وشر من المصيبة سوء الخلف، وكل مجموع إلى تلف، حياك الله.

وقال الجاحظ كان أبو عثمان يجلس ابنه معه يوم الرأس (العرس)، وكان يجلس ابنه معه، ويقول:

إياك يا بني ونهم الصبيان، وأخلاق النوائح، ونهش الأعراب. وكل مما يليك، واعلم انه إذا كان في الطعام لقمة كريمة، أو مضغة شهية، أو شيء مستطرف، فإنما ذلك للشيخ المعظم، أو للصبي المدلل، ولست بواحد منهما .

وقد قالوا: مدمن اللحم كمدمن الخمر. أي بني، عود نفسك الأثرة ومجاهدة الهوى والشهوة، ولا تنهش نهش السباع، ولا تخضم خضم البراذين (دابة للأحمال الثقيلة)، ولا

تدمن الأكل إدمان النعاج، ولا تلقم لقم الجمال، فإن الله جعلك إنسانًا، فلا تجعل نفسك بهيمة. واحذر صرعة الكظة (الامتلاء) واعلم أن الشبع داعية البشم (التخمة) والبشم داعية السقم، وأن السقم داعية الموت، ومن مات هذه الميتة فقد مات ميتة لئيمة، لأنه قاتل نفسه، وقاتل نفسه ألأم من قاتل غيره.

أي بني، والله ما أدى حق الركوع والسجود ذو كظة، ولا خشع لله ذو بطنة، والصوم مصحة، والوجبات عيش الصالحين.

أي بني، لأمر ما طالت أعمار أهل الهند، وصحت أبدان العرب، ولله در الحارث بن كلدة، إذ زعم أن الدواء هو الأزم (الإحجام عن الأكل والشراب)، فالداء كله من فضول الطعام، فكيف لا ترغب في شيء يجمع لك صحة البدن، وذكاء الذهن، وصلاح الدين والدنيا، والقرب من عيش الملائكة؟

أي بني، لم صار الضب أطول عمرًا؛ إلا لأنه يتبلغ بالنسيم؟ ولم قال الرسول عليه الصلاة والسلام "إن الصوم وجاء" إلا لأنه جعل حجازًا دون الشهوات؛ فافهم تأديب الله عز وجل، وتأديب رسوله عليه الصلاة والسلام!

أي بني، قد بلغت تسعين عامًا ما نفض لي سن، ولا انتشر لي عصب، ولا عرفت ذنين أنف، ولا سيلان عين، ولا سلس بول، ما لذلك علة إلا التخفيف من الزاد؛ فإن كنت تحب الحياة فهذه سبيل الحياة، وإن كنت تحب الموت فلا أبعد الله غيرك!

وقال حكيم العرب قسّ بن ساعدة الإيادي الحنيفي (وكان حكماء العرب قبل الإسلام، توفي نحو سنة 23 قبل الهجرة) يُوصي ابنه:

لا تشاور مشغولًا، وأن كان حازمًا ، ولا جائعًا وإن كان فَهِمًا ، ولا مذعورًا وإن كان ناصحًا، ولا مهمومًا وإن كان عاقلًا؛ فالهَمّ يَعقِلُ العَقْلَ ، فلا يتولّدُ مِنْهُ رأي ، ولا تَصْدُقُ بِهِ رَوِيَّة.

الإمام ابن الجوزي في رائعته: "لفتة الكبد في نصيحة الولد"

ومن أبدع وصايا الآباء للأبناء ما خلفه الإمام الحافظ أبو الفرج ابن الجوزي (عبد الرحمن بن علي بن محمد القرشي التيمي البكري، الفقيه الحنبلي المحدث المؤرخ المتكلم الفقيه الأديب الحكيم الواعظ المحدث المفسر)، وسماها: لفتة الكبد في نصيحة الولد، ومما جاء فيها (ومعذرة على طول النقل؛ فإنها نفيسة):

.....فإني لما عرفتُ شرفَ النكاح وفضلَ الأولاد، ختمتُ ختمةً، وسألتُ الله عزَّ وجلَّ أن يرزقني عشرة أولاد، فرزقني إياهم، فكانوا خمسةً ذكورًا وخمسةً إناثًا، فمات من الإناث اثنتان، ومن الذكور أربعة، ولم يبق لي من الذكور سوى ولدي أبي القاسم، فسألتُ اللهَ تعالى أن يجعل فيه الخلف الصالح وأن يبلّغني فيه المنى والمناجح.

ثم رأيتُ منه نوعَ توانٍ عن الجِد في طلب العلم، فكتبتُ إليه هذه الرسالة، أحثه بها على طلب العلم، وأحركه على سلوك طريقي في كسب العلم، وأدله على الالتجاء إلى الموفق سبحانه؛ مع علمي بأنه لا خاذل لمن وفّق، ولا مرشدَ لمن أضلّ، لكنْ قد قَالَ تعالى: (وتواصَوا بالحق تواصوا بالصبر) العصر:3، وقال تعالى: (فذكِّرْ إن نفعتِ الذكرى) الأعلى:9. ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم .

اعلم يا بني وفَّقك الله أنه لم يميَّزِ الآدميُ بالعقلِ إلا ليعمل بمقتضاه، فاستحضر عقلك، وأعمِلْ فِكرَك، واخلُ بنفسك تعلمْ بالدليل أنك مخلوق مكلف، وأن عليك فرائض أنت مطالب بها، وأن الملكين عليهما السلام يحصيان ألفاظك ونظراتك، وأن أنفاسَ الحي خطوات إلى أجله، ومقدارَ اللُّبث في الدنيا قليل، والحبسَ في القبور طويل، والعذابَ على موافقة الهوى وبيل..

فأين لذة أمس؟ قد رحلَتْ وأبقَت ندمًا!
وأين شهوة النفس؟ نكّسَت رأسًا وأزلّت قدمًا.

وما سعِد مَن سعِد إلا بمخالفة هواه، ولا شقِي مَن شقي إلا بإيثار دنياه، فاعتبر بمن مضى من الملوك والزهاد:

أين لذةُ هؤلاء وأين تعبُ أولئك؟ بقي الثواب الجزيل، والذكرُ الجميلُ للصالحين، والمقالةُ القبيحة والعقاب الوبيل للعاصين، وكأنه ما شبع مَن شبِع، ولا جاع مَن جاع. والكسلُ عن الفضائل بئس الرفيق، وحبُّ الراحة يورث مِن الندم ما يربو على كل لذة، فانتبه وأتعِبْ نفسَك، واعلم أن أداء الفرائض واجتنابَ المحارم لازم، فمتى تعدّى الإنسانُ فالنار النار .

ثم اعلم أن طلبَ الفضائل نهايةُ مرادِ المجتهدين، ثم الفضائلُ تتفاوت، فمن الناس مَن يرى الفضائلَ الزهدَ في الدنيا، ومنهم مَن يراها التشاغلَ بالتعبد، وعلى الحقيقة فليست الفضائلُ الكاملةُ إلا الجمعُ بين العلم والعمل، فإذا حُصِّلا رفعا صاحبهما إلى تحقيق معرفة الخالق سبحانه وتعالى، وحرّكاه إلى محبته وخشيته والشوق إليه، فتلك الغاية القصوى، وعلى قدر أهل العزم تأتي العزائم، وليس كلُ مريدٍ مرادًا، ولا كلُ طالبٍ واجدًا، ولكن على العبد الاجتهاد، وكلٌ ميسَّرٌ لما خُلق له، والله المستعان.

ومتى رأيتَ في نفسك عجزًا فسلِ المنعِمَ، أو كسلًا فالجأ إلى الموفق، فلن تنال خيرًا إلا بطاعته، ولا يفوتُك خيرٌ إلا بمعصيته، ومَنِ الذي أقبلَ عليه فلم يرَ كلَّ مرادٍ لديه؟ ومَن الذي أعرض عنه فمضى بفائدة؟ أو حظي بغرضٍ من أغراضه؟

أو ما سمعتَ قول الشاعر:

بالليل ما جئتُكم زائرًا إلا	رأيتُ الأرض تُطوى لي
ولا ثنيتُ العزمَ عن بابكم	إلا تعثّرْتُ بأذيالي

وانظر يا بني إلى نفسك عند الحدود، فتلمَّح كيف حِفظُكَ لها؟ فإنه من راعى رُوعي، ومن أهملَ تُرِك، وإني لأذكر لك بعضَ أحوالي؛ لعلك تنظر إلى اجتهادي، وتسألَ الموفقَ لي.

إن أكثر الإنعام عَليّ لم يكن بكسبي، وإنما هو من تدبير اللطيف بي، فإني أذكر نفسي ولي همةٌ عالية وأنا في المكتب ولي نحو من ست سنين، وأنا قرينُ الصبيان الكبار قد رُزِقتُ عقلًا وافرًا في الصغر، يزيدُ على عقلِ الشيوخ، فما أذكر أني لعبتُ في طريقٍ معَ صبيٍ قط، ولا ضحِكتُ ضحكًا جارحًا، حتى إني كنتُ ولي سبعُ سنين أو نحوُها أحضرُ رحبةَ الجامع، ولا أتخيّرُ حلقةَ مشعبذٍ، بل أطلب المحدّث، فيتحدث بالسند الطويل، فأحفظُ جميعَ ما أسمع، وأرجع إلى البيت فأكتبه.

ولقد وُفِّقَ لي شيخنا أَبُو الفضل ابن ناصر رحمه الله، فكان يحملني إلى الأشياخ، وأسمعني "المسندَ" وغيرَه من الكتب الكبار، وأنا لا أعلم ما يُراد مني، وضبط لي مسموعاتي إلى أن بلغت، فناولني ثبتها، ولازمته إلى أن توفي رحمه الله، فأدركتُ به معرفة الحديث والنقل.

ولقد كان الصبيان ينزلون دِجلة، ويتفرجون على الجسر، وأنا في زمن الصغر آخذ جزءًا، وأقعد حُجزةً من الناس إلى جانب الرِّقة فأتشاغلُ بالعلم.

ثم أُلْهِمت الزهدَ، فسردتُ الصوم، وتشاغلت بالتقلل، وألزمتُ نفسي صبرَها، فاستمرأتُ وشمّرت ولازمت، وأحببتُ السهر، ولم أقنع بفن واحد من العلم، بل كنت أسمع الفقه والوعظ والحديث، وأتّبع الزهاد. ثم قرأت اللغة، ولم أترك أحدًا ممن قد انزوى أو يعظ، ولا غريبًا يقدُمُ إلا وأحضره، وأتخيّر الفضائل.

وكنت إذا عرض لي أمران أقدّم في أغلب الأحوال حقَ الحق، فأحسن اللهُ تدبيري، وأجراني على ما هو الأصلح لي، ودفع عني الأعداء والحساد ومن يكيدني، وهيأ لي أسباب العلم، وبعث إلي الكسب من حيث لا أحتسب، ورزقني الفهمَ وسرعة الحفظ وجودة التصنيف، ولم يُعْوِزني شيئًا من الدنيا، بل ساق إلي مقدارَ الكفاية وأزيَد، ووضع لي في قلوب الخلق من القبول فوق الحد، وأوقع كلامي في نفوسهم؛ فلا يرتابون بصحته. وقد أسلم على يدي نحو من مائتين من أهل الذمة، ولقد تاب في مجالسي أكثر من مائة ألف، وقد قطعتُ أكثر من عشرين ألف جُمّةٍ مما يتعاناه الجهال.

ولقد كنت أدور على المشايخ لسماع الحديث فينقطع نفَسي من العَدْوِ لئلا أُسبَق، وكنت أصبح وليس لي ما آكل، وأمسي وليس لي شيء، وما أذلني الله لمخلوق، ولكنه ساق رزقي لصيانة عِرضي، ولو شرحتُ أحوالي لطال الشرح، وها أنا، ترى ما قد آلت الحال إليه، وأنا أجمعه لك في كلمة واحدة وهي قوله تعالى: (وَاتَّقُواْ اللَّهَ وَيُعَلِّمُكُمُ اللَّهُ) سورة البقرة: 282.

فانتبه يا بني لنفسك، واندم على ما مضى من تفريطك، واجتهد في لحاق الكاملين؛ ما دام في الوقت سَعةٌ، واسقِ غصنك ما دامت فيه رطوبة، واذكر ساعاتك التي ضاعت، فكفى بها عظة، ذهبَتْ لذةُ الكسل فيها، وفاتت مراتبُ الفضائل، وقد كان السلف رحمهم الله يحبون جمعَ كل فضيلة، ويبكون على فوات واحدة منها. قَالَ إبراهيم بن أدهم رحمه الله: دخلنا على عابدٍ مريض، وهو ينظر إلى رجليه ويبكي، فقلنا: ما لك تبكي ؟ فقال: ما اغبرّتا في سبيل الله تعالى؛ وبكى آخر فقيل له: ما يبكيك؟ قَالَ: على يومٍ مضى ما صمته، وعلى ليلة ذهبَت ما قمتها.

واعلم يا بني أن الأيام تبسُطُ ساعاتٍ، والساعاتِ تبسُط أنفاسًا، وكلُ نفَسٍ خزانة، فاحذر أن تُذهِبَ نفسًا في غير شيء، فترى يوم القيامة خزانةً فارغة فتندم. وقد قَالَ رجل لعامر بن عبد قيس: قف أكلمُك! فقال :أمسِكِ الشمسَ.

وقعد قومٌ عند معروف رحمه الله، فقال: أما تريدون أن تقوموا، فإن ملَكَ الشمس يجرُّها لا يفتُر. وفي الحديث: "من قَالَ سبحان الله وبحمده غُرسَت له نخلةٌ في الجنة"، فانظر إلى مضيِّعِ الساعات كم يفوته من النخل!

وقد كان السلف يغتنمون اللحظات، فكان كَهْمَسُ يختم القرءان في كل يومٍ وليلةٍ ثلاث مرات، وكان أربعون رجلًا من السلف يصلون الفجر بوضوء العشاء، وكانت رابعةُ لا تنام الليل، فإذا طلع الفجر هجعَتْ هجعةً خفيفة وقامت فزِعَةً وقالت لنفسها: النوم في القبور طويل.

ومن تفكر في الدنيا قبل أن يوجَد، رأى مدة طويلة، فإذا تفكر فيها بعد أن يخرج رأى مدة قصيرة، وعلِم أن اللُّبْثَ في القبور طويل، فإذا تفكر في يوم القيامة، علم أنه خمسون ألف سنة، فإذا تفكر في اللُّبث في الجنة أو النار علم أنه لا نهاية له، فإذا عاد إلى النظر في مقدار بقائه في الدنيا – فرضنا ستين سنة مثلًا – فإنه يَمضي منها ثلاثون في النوم، ونحوٌ من خمس عشرة في الصِبا، فإذا حسبتَ الباقي، كان أكثرُه في الشهوات والمطاعم والمكاسب، فإذا خلص ما للآخرة وجد فيه من الرياء والغفلة كثيرًا! فبماذا تشتري الحياة الأبدية، وإنما الثمن هذه الساعات؟ !

ولا يؤيسك من الخير ما مضى من التفريط، فإنه قد انتبه خلق كثير بعد الغفلة والرقاد الطويل، فقد حدثني الشيخ أَبُو حكيم عن قاضي القضاة أبي الحسن [عَلِي بن محمد] الدامَغاني رحمه الله، قَالَ: كنتُ في صبوتي متشاغلًا بالبطالة غيرَ ملتفتٍ إلى العلم، فأحضرني أَبُو عبد الله [محمد بن عَلِي الدامغاني] رحمه الله، وقال لي: يا بني إني لست

أبقى لك أبدًا، فخذ عشرين دينارًا، وافتح دكانَ خبازٍ وتكسَّبْ! فقلتُ: ما هذا الكلام؟! قَالَ: فافتح دكان بزّاز! فقلت: تقول هذا وأنا ابن قاضي القضاة أبي عبد الله الدامغاني!

قَالَ: فما أراك تحب العلم! فقلت: اذكر لي الدرسَ الساعة، فذكر لي، فأقبلتُ على التشاغل بالعلم، واجتهدتُ، ففتح الله عَلي.

وحكى لي بعض أصحاب أبي محمد [عبدِ الرحمن بن محمد] الحلواني رحمه الله، قَالَ: مات أبي وأنا ابن إحدى وعشرين سنة، وكنتُ موصوفًا بالبطالة، فأتيتُ أتقاضى بعضَ سكان دارٍ قد ورثتُها، فسمعتهم يقولون: قد جاء المدبَّرُ؛ أي الربيط! فقلت لنفسي: يقال عني هذا؟!

فجئت إلى والدتي، فقلت: إذا أردتِ طلبي فاطلبيني من مسجد الشيخ أبي الخطاب، ولازمتهُ، فما خرجتُ إلا إلى القضاء، فصرتُ قاضيًا مدة.

فألزِم نفسَك يا بني الانتباهَ عند طلوع الفجر، ولا تتحدث بحديث الدنيا، فقد كان السلف الصالح رحمهم الله لا يتكلمون في ذلك الوقت بشيءٍ من أمور الدنيا!

ثم قم إلى الطهارة واركع سنة الفجر واخرج إلى المسجد خاشعًا، واقصد الصلاة إلى يمين الإمام، فإذا فرغت من الصلاة فقل: "لا إله إلا الله، وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد، وهو على كل شيء قدير" عشر مرات. ثم سبّح عشرًا، واحمد عشرًا، وكبّر عشرًا، واقرأ آية الكرسي، وسلِ اللهَ سبحانه قبول الصلاة، فإن صح لك فاجلس ذاكرًا لله تعالى إلى أن تطلع الشمس، وترتفع، ثم صل واركع ما كتب لك – وإن كان ثماني ركعات – فهو حسن.

ثم تشاغل بما يمكن من العلوم، وأهمها تصحيح قراءة القرآن، ثم الفقه، فإذا أعدت دروسك إلى وقت الضحى الأعلى، فصلّ الضحى ثماني ركعات، ثم تشاغل بمطالعةٍ أو بنسخٍ إلى وقت العصر، ثم عد إلى دروسك بعد العصر إلى المغرب، وصل بعد المغرب ركعتين، تقرأ فيهما جزئين، فإذا صليت العشاء فعد إلى دروسك، ثم اضطجع فسبح ثلاثًا

وثلاثين، واحمد ثلاثًا وثلاثين، وكبر أربعًا وثلاثين، وقل: "اللهم قني عذابك يومَ تجمعُ عبادَك."

وإذا فتحت عينيك من النوم فاعلم أن النفس قد أخذت حظها، فقم إلى الوضوء، وصل في ظلام الليل ما أمكن، والتوسطُ أن تصلي ركعتين خفيفتين، ثم بعدهما ركعتين بجزئين من القرآن، ثم تعود إلى دروس العلم؛ فإن العلم أفضل من كل نافلة.

وعليك بالعزلة فهي أصل كل خير، واحذر من جليس السوء، وليكن جلساؤك الكتب، والنظرَ في سِيَر السلف، ولا تشتغل بعلمٍ حتى تُحكِم ما قبله، وتلمّح سِيَرَ الكاملين في العلم والعمل، ولا تقنع بالدون، فقد قَالَ الشاعر في ذلك:

ولم أرَ في عيوب الناس شيئًا كنقص القادرين على التمامِ

واعلم أن العلم يرفع الأراذل، فقد كان خلقٌ كثير من العلماء لا نسب لهم يُذكر، ولا صورةً تُستَحسَن، وكان عطاءُ بن أبي رباح أسودَ اللون ومستوحَشَ الخِلقة، وجاء إليه سليمان بن عبد الملك – وهو خليفة – ومعه ولداه، فجعلوا يسألونه عن المناسك، فحدّثهم وهو معرضٌ عنهم بوجهه، فقال سليمان الخليفة لولديه: "قوما، ولا تَنَيا، ولا تكاسلا في طلب العلم؛ فما أنسى ذلنا بين يدَي هذا العبد الأسود"!

وكان الحسن مولى– أي مملوكًا – وابن سيرين، ومكحولٌ، وخلق كثير، وإنما شرفوا بالعلم والتقوى.

واجتهد يا بني في صيانة عِرضك من التعرض لطلب الدنيا والذل لأهلها، واقنع تَعِزّ؛ فقد قيل: من قنع بالخبز والبقل لم يستعبده أحد.

وجاز أعرابي بالبصرة فقال: من سيد هذه البلدة ؟ فقيل له: الحسن البصري، قَالَ: وبم سادهم؟ قالوا: استغنى عن دنياهم، وافتقروا إلى علمه.

واعلم يا بني أن أبي كان موسرًا وخلَف ألوفًا من المال، وكان أبوك طفلًا، فأُنفِق عليه من ذلك المال إلى أن بلغ، ولم يرَ بعد بلوغه سوى دارَين، كان يسكن واحدة ويأخذ أجرة الأخرى، ثم أُعطي نحو عشرين دينارًا، وقيل له: هذه التركة كلها، فأخذتُ الدنانير واشتريت بها كتبًا من كتب العلم، وبعت الدارين، وأنفقتُ ثمنهما في طلب العلم، ولم يبق لي شيء من المال، وما ذلَّ أبوك في طلب الدنيا كذل غيره، ولا خرج يطوف البلدان كغيره من الوُعاظ، ولا رأى أكابرُ البلدان رِقاعَه عندهم يستعطيهم، وأمورُه تجري على السداد (ومن يتقِ اللهَ يجعل له مخرجًا* ويرزقه من حيث لا يحتسب) الطلاق:2-3.

يا بني! ومتى صحتِ التقوى رأيتَ كل خير، فالمتقي لا يرائي الخلق، ولا يتعرض لما يؤذي دينه، ومَن حفظَ حدودَ الله حُفِظ. قَالَ النبي صلى الله عليه وسلم لابن عباس رضي الله تعالى عنهما: "احفظِ اللهَ يحفظْكَ، احفظِ اللهَ تجدْهُ أمامَك."

واعلم يا بني أن يونس عليه السلام لما كانت ذخيرته خيرًا نجا بها من الشدة، قَالَ الله تعالى: (فلولا أنه كان من المسبحين* للبث في بطنه إلى يوم يُبعَثون) الصافات:143-144. وأن فرعون لما لم تكن له ذخيرةُ خيرٍ لم يجد في شدته مَخلَصًا، فقيل له: (آلآن وقد عصيتَ قبلُ!؟) يونس:91.

فاجعل لك ذخائر خيرٍ من تقوى تجدْ تأثيرَها. وقد جاء في الحديث: "ما من شابٍّ اتقى الله تعالى في شبابه إلا رفعه الله تعالى في كِبَرِه" قَالَ الله تعالى: (ولما بلغ أشُدَّهُ آتيناه حُكمًا وعِلمًا وكذلك نجزِي المحسنين) يوسف:22.

واعلم يا بني أن أوفى الذخائر غضُ الطرف عن محرَّمٍ، وإمساكُ اللسان عن فضول كلمة، ومراعاةُ حدٍّ، وإيثارُ اللهِ سبحانه وتعالى على هوى النفس، قد عرفتَ حديثَ الثلاثة الذين دخلوا إلى غارٍ فانطبقت عليهم صخرة، فقال أحدهم: اللهم إنه كان لي أبوان وأولاد فكنت أقف بالحليب على أبويّ فأسقيهما قبل أولادي، فإن كنتُ فعلتُ ذلك

لأجلك فافرِج عنا؛ فانفرج ثلث الصخرة، فقال الآخر: اللهم إني كنت استأجرتُ أجيرًا فتسخَّطَ أجرَه، فاتَّجَرتُ له به فجاء يومًا فقال: ألا تخاف الله؟! فقلت: انطلق إلى تلك البقر ورعاتها فخذها، فإن كنتُ فعلتُ ذلك لأجلك فافرِج عنا؛ فانفرج ثلث الصخرة، فقال الآخر: اللهم إني علِقتُ ببنت عمٍ لي، فلما دنوتُ منها قالت: اتق الله ولا تفُضَّ الخاتَمَ إلا بحقه، فقمت عنها، فإن كنت فعلت لأجلك فافرِج عنا؛ فرُفعَت الصخرة وخرجوا" .

ورؤي سفيان الثوري رحمه الله في المنام فقيل له: ما فعل الله تعالى بك؟ قَالَ: ما كان إلا أن وُضِعتُ في اللحد فإذا أنا بين يدي رب العالمين، فأُمِرَ بي إلى الجنة، فدخلتُ فإذا أنا بقائلٍ يقول: سفيان؟ قلت: سفيان، قَالَ: تذكرُ يومَ آثرتَ اللهَ تعالى على هواك؟ قلت: نعم! فأخذَتني صواني النِثارِ من الجنة.

وينبغي أن تسمو همتك إلى الكمال، فإن خلْقًا وقفوا مع الزهد، وخلْقًا تشاغلوا بالعلم، وندر أقوامٌ جمعوا بين العلم الكامل والعمل الكامل. واعلم أنني قد تصفحتُ التابعين ومَن بعدَهم؛ فما رأيت أحظى بالكمال من أربع أنفس: سعيد بن المسيب، وسفيان الثوري، والحسن البصري، وأحمد بن حنبل؛ وقد كانوا رجالًا إنما كانت لهم همٌ ضعُفَت عندنا، وقد كان في السلف خلقٌ كثير لهم همم عالية، فإذا أردت أن تنظر إلى أحوالهم فانظر في كتاب "صفة الصفوة"، وإن شئت "أخبار سعيد" و "أخبار سفيان" " أخبار أَحْمَد بن حنبل"، فقد جمعتُ لكل واحدٍ منهم كتابًا.

وقد علمتَ يا بني أنني قد صنفتُ مائة كتاب، فمنها "التفسير الكبير" عشرون مجلدًا، و"التاريخ" عشرون مجلدًا، و"تهذيب المسند" عشرون مجلدًا، وباقي الكتب بين كبار وصغار يكون خمسة مجلدات، ومجلدين وثلاثة، وأربعة، وأقل وأكثر؛ كفيتُك بهذه التصانيف عن استعارة الكتب وجمع الهمم في التأليف. فعليك بالحفظ، فإن الحفظَ رأسُ

المال، والتصرفَ رِبحٌ، واصدُقْ في الحالين في الالتجاء إلى الله سبحانه، فراعِ حدودَه، قَالَ الله تعالى: (إِن تَنصُرُوا اللَّهَ يَنصُرْكُمْ) محمد صلى الله عليه وسلم:7 وقال تعالى: (فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ) البقرة:152، وقال تعالى: (وَأَوْفُواْ بِعَهْدِي أُوفِ بِعَهْدِكُمْ) البقرة:140.

وإياك أن تقف مع صورة العلم دون العمل به؛ فإن الداخلين على الأمراء، والمقبلين على أهل الدنيا، قد أعرضوا عن العمل بالعلم، فمُنعوا البركةَ والنفعَ به.

وإياك أن تتشاغل بالتعبد من غير علم، فإن خلقًا من المتزهدين والمتصوفة ضلوا طريق الهدى؛ إذ عملوا بغير علم.

واستر نفسك بثوبين جميلين، لا يُشهِرانِكَ بين أهل الدنيا برِفعتِهما، ولا بين المتزهدين بضِعَتِهما، وحاسب نفسك عند كل نظرة وكلمة وخطوة؛ فإنك مسؤول عن ذلك، وعلى قدر انتفاعك بالعلم ينتفعُ السامعون، ومتى لم يعملِ الواعظُ بعلمِه زلَّتْ موعظتُه عن القلوب كما يزلُّ الماءُ عن الحجر ؛ فلا تعظنَّ إلا بنية، ولا تمشينَّ إلا بنية، ولا تأكلنَّ إلا بنية، ومع مطالعات أخلاق السلف ينكشفُ لك الأمر.

وكن حسَنَ المداراة للخلق، معَ شدة الاعتزال عنهم، فإن العزلة راحة من خُلَطاء السوء، ومُبقِيَةٌ للوقار، فإن الواعظ خاصةً ينبغي ألا يُرى مُتَبَذِّلًا، ولا ماشيًا في سوقٍ، ولا ضاحكًا؛ ليَحسُنَ الظنُ به، فيُنتَفَعُ بوعظه. فإذا اضطررتَ إلى مخالطة الناس فخالطهم بالحِلمِ عنهم، فإنك إن كشفتَ عن أخلاقهم لم تقدر على مداراتهم .

وأدِّ إلى كل ذي حق حقه – من زوجة أو ولد أو قرابة – وانظر كل ساعة من ساعاتك بماذا تذهب، فلا تُودِعْها إلا أشرفَ ما يمكن، ولا تهمل نفسك، وعوِّدها أشرفَ ما يكون من العمل وأحسنه، وابعث إلى صندوق القبر ما يسرك يوم الوصول إليه، كما قيل:

يا من بدنياه اشتغل	وغرّه طول الأمل
الموت يأتي بغتةً	والقبر صندوق العمل

وراعِ عواقبَ الأمور يهُنْ عليك الصبرُ عن كل ما تشتهي وما تكره، وإن وجدتَ من نفسك غفلة فاحملها إلى المقابر ،وذكِّرها قربَ الرحيل، ودبِّر أمرك – واللهُ تعالى المدبرُ – في إنفاقك من غير تبذير؛ لئلا تحتاج إلى الناس؛ فإن حِفظَ المال من الدين، ولئن تُخَلِّفَ لورثتك خير من أن تحتاج إلى الناس.

وقد أسلمتك إلى الله سبحانه، وإياه أسأل أن يوفقك للعلم والعمل، وهذا قدر اجتهادي في وصيتي، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.

والحمد لله رب العالمين وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

الفصل السادس

في المحاسن والمساوئ عن أحوال الآباء وبرهم:

في المحاسن والمساوئ عن أحوال الآباء وبرهم:

نجابة الأب أو الابن:

قد يكون الآباء مصدر فخر وعزة للأبناء، الذين يواصلون درب عزتهم أو لا يواصلون.. وقد تحدثت السنة المشرفة عن النبي ذي السند المتصل في الكرم: (الكريم، ابن الكريم، ابن الكريم، ابن الكريم، يوسف بن يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم عليهم السلام) البخاري عن ابن عمر رضي الله عنهم أجمعين.

وفي البخاري عن البراء رضي الله عنه: أكنتم فررتم يا أبا عمارة يوم حنين؟ قال: لا والله، ما ولى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم، ولكنه خرج شبانُ أصحابِه، وأخِفَّاؤهم حسرًا ليس بسلاح، فأتوا قومًا رماة، جمع هوازن وبني نصر، ما يكاد يسقط لهم سهم، فرشقوهم رشقًا ما يكادون يخطئون، فأقبلوا هنالك إلى النبي صلى الله تعالى عليه وسلم وهو على بغلته البيضاء، وابن عمه أبو سفيان بن الحارث بن عبد المطلب يقود به، فنزل واستنصر، ثم قال: (أنا النبي لا كذب، أنا ابن عبد المطلب) ثم صف أصحابه.

وقد فخر الفرزدق بآبائه قائلًا:

أولئك آبائي فجئني بمثلهم إذا جمعتنا يا جرير المجامعُ

والذي قال:

إذا مضر الحمراء كانت أرومتي... وقام بمجدي حازمٌ وابن حازمِ
عطست بأنفي شامخًا وتناولت... يداي الثريا قاعدًا غير قائم

وفخر الفرزدق كذلك بعلي زين العابدين وبأرومته، رضي الله عنه وعن آل بيت رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم:

هَذا الّذي تَعرِفُ البَطْحاءُ وَطْأَتَهُ،	وَالبَيْتُ يعْرِفُهُ.. وَالحِلُّ وَالحَرَمُ
هذا ابنُ خَيرِ عِبادِ الله كُلّهِمُ،	هذا التّقيّ النّقيّ الطّاهِرُ العَلَمُ
هذا ابنُ فاطمَةٍ، إنْ كُنْتَ جاهِلَهُ،	بِجَدّهِ أنْبِيَاءُ الله قَدْ خُتِمُوا

وَلَيْسَ قَوْلُكَ: مَن هذا؟ بضَائرِه	العُرْبُ تَعرِفُ من أنكَرْتَ وَالعَجمُ
كِلْتا يَدَيْهِ غِيَاثٌ.. عَمَّ نَفعُهُمَا	يُسْتَوْكَفانِ، وَلا يَعرُوهُما عَدَمُ
سَهْلُ الخَلِيقَةِ، لا تُخشى بَوَادِرُهُ،	يَزِينُهُ اثنانِ: حُسنُ الخَلقِ وَالشّيمُ
حَمّالُ أثقالِ أقوَامٍ، إذا افتُدِحُوا،	حُلوُ الشّمائلِ، تَحلُو عندَهُ نَعَمُ
ما قال: لا قطُّ، إلاّ في تَشَهُّدِهِ،	لَوْلا التّشَهّدُ كانَتْ لاءَهُ نَعَمُ

وذلك الذي يقول إنه كريم بآبائه وبنفسه كذلك:

إنا وإن أحسابنا كرمت	لسنا على الأحساب نتكلُ
نبني.. كما كانت أوائلنا	تبني ونفعل مثل ما فعلوا

وكذا قول عامر بن الطفيل الجعفري الذي قال:

فإني وإن كنت ابن سيد عامر	وفارسها المشهور في كل موكب
فما سودتني عامر عن وراثة	أبى الله أن أسمو بأم ولا أب

وقد يكون الفخر للابن الذي يرفع ذكر آبائه، وقومه، ومنه قول المتنبي الذي يفخر:

لا بقومي شرفت بل شرفوا بي	وبنفسي فخرت لا بجدودي
وبهمْ فَخْرُ كلّ مَنْ نَطَقَ الضّا	دَ وَعَوْذُ الجاني وَغَوْثُ الطّرِيدِ

وقول ابن الرومي في مدح أبي الصقر الشيباني الذي جعله فخرًا لقومهم، وسببًا لسؤددهم ورفعتهم:

قالوا أبو الصقر من شَيْبَان قلت لهم	كلا لعمري، ولكِن منه شَيْبانُ
كم أبٍ قد عَلاَ بابن ذُرَى شَرَفٍ	كما عَلَتْ برسول اللَهِ عَدْنانُ
ولم أقَصر بشَيبَان التي بلغت	بها المبالغ أعراقٌ وأغْصانُ
للّه شيبان قوم لا يشوبُهُم	رَوْع إذا الروع شابَتْ منه ولْدَانُ

وقول سيدنا حسان رضي الله عنه يذم غير نجيب، كان أبواه كرام الأرومة:

أبوك أب حر.. وأمك حرة	وقد يلد الحران غير نجيبِ

فلا يعجبن الناس منك ومنهما	فما خبث من فضة بعجيبِ

- بر الحسن بن علي رضي الله عنه:

روي أن الحسن بن علي رضوان الله عليه، كان يمتنع من مؤاكلة أمه، صلوات الله عليها، فسئل عن ذلك، وهو ابن ست سنين. فقال: أخاف أن تسبق يدي إلى لقمة تقع عينها عليها فأكون قد عققتها.

- بر الفضل بن يحيى:

....وذكر المأمون بر الأبناء بالآباء فقال: لم أر أحدًا أبر من الفضل بن يحيى، فإنه بلغ من بره بأبيه أنهما حين حبسا كان الفضل يسخن ليحيى الماء لوضوئه؛ لأنه كان يتوضأ بالماء السخن، فمنعهم السجان ذات ليلة من إدخال الحطب، والليل بارد فقام الفضل حين أخذ يحيى مضجعه إلى قمقم كان يسخن فيه الماء، فملأه من الجب، ثم جاء به إلى القنديل، فأدناه منه، فلم يزل قائمًا والقمقم في يده حتى أصبح، وقد سخن الماء، فأدناه من أبيه!

- أبادر ابني باليتم:

قيل لأعرابي وقد تزوج بعدما كبر وأسن: لم تأخرت عن التزوج؟ قال: أبادر ابني باليتم قبل أن يسبقني بالعقوق.

- قاتل أبيه:

وقد قالت الحكماء: ومن جرب من الأوائل أن الرجل إذا قتل أباه وأخاه لم يمتع بعدهما إلا أربعة أشهر أو ما هو فوق ذلك بيسير وربما سلط عليه السهر فلا يزال كذلك إلى أن يتلف.

- **الرجال ثلاثة:**

في ربيع الأبرار للزمخشري: قال أحمد بن سهل: الرجال ثلاثة: سابق، ولاحق، وماحق؛ فالسابق الذي سبق بفضله، واللاحق الذي لحق بأبيه في شرفه، والماحق الذي محق شرف آبائه.

- **لا.. ولا بطلقة من طلقاتها:**

وحدثني من سمع أعرابيًّا حاملًا أمه في الطواف وهو يقول:

إني لها مطية.. لا أذعر	**إذا الركاب نفرت لا أنفر**
ما حملت وأرضعتني أكثر	**الله ربي ذو الجلال أكبر**

ثم التفت إلى ابن عباس، رحمه الله، فقال له: أتراني قضيت حقها؟ فقال: لا والله ولا طلقة من طلقاتها.

بر بلغ المنتهى:

عن طاووس عن أبيه قال: كان رجل له أربعة بنين، فمرض، فقال أحدهم:

إما أن تمرضوه وليس لكم من ميراثه شيء، وإما أن أمرضه وليس لي من ميراثه شيء.

قالوا: بل تمرضه وليس لك من ميراثه شيء. فمرضه حتى مات ولم يأخذ من ميراثه شيئًا.

قال: فأتي في النوم فقيل له: ائت مكان كذا وكذا فخذ منه مائة دينار. فقال: أفيها بركة؟ قالوا: لا. فلما أصبح ذكر لك لامرأته فقالت: خذها فإن من بركتها أن نكتسي منها ونعيش بها، فأبى أن يأخذها.

فلما أمسى أتي في النوم فقيل له: ائت مكان كذا وكذا فخذ منه عشرة دنانير. فقال: أفيها بركة؟ قالوا: لا. فلما أصبح ذكر لك لامرأته فقالت له مثل ذلك، فأبى أن يأخذها.

فأتي في الليلة الثالثة فقيل له: ائت مكان كذا وكذا وخذ منه دينارًا. فقال: أفيه بركة؟ قالوا: نعم. قال: فذهب فأخذ الدينار، ثم خرج به إلى السوق، فإذا هو برجل يحمل حوتين. فقال: بكم هما؟ قال: بدينار.

فأخذهما منه وانطلق بهما إلى بيته، فلما شقهما وجد في بطن كل واحد منهما درة لم ير الناس مثلها، فبعث الملك يطلب درة يشتريها، فلم توجد إلا عنده، فباعها بثلاثين وقرًا ذهبًا.

فلما رآها الملك قال: ما تصلح هذه إلا بأخت فاطلبوا أختها ولو أضعفتم الثمن. فجاؤوه وقالوا: أعندك أختها ونعطيك ضعف ما أعطيناك؟ قال: نعم. فأعطاهم الثانية بضعف ما باع به الأولى!

بأبه اقتدى عدي في الكرم

في أصل هذا المثل كتب الأستاذ عبد العزيز المغربي:

بِأَبِهِ اقْتَدَى عَدِيٌّ في الكَرَمْ وَمَنْ يُشابِه أَبَهُ فَما ظَلَمْ

اقتدى : من القُدوة وهي الأُسوة..

وَمَنْ يُشابِه أَبَهُ فَمَا ظَلَمْ : قال محمد محيي الدين عبد الحميد : يريد أنه لم يظلم أمه، لأنه جاء على مثال أبيه الذي ينسب إليه، وذلك لأنه لو جاء مخالفًا لما عليه أبوه من السمت أو الشبه أو من الخلق والصفات لنسبه الناس إلى غيره، فكان في ذلك ظلم لأمه واتهام لها.

والذي ذهب إليه العلامة محمد محيي الدين عبد الحميد رحمه الله نصف المعنى، ذلك أن الشبه يكون في الخَلق والخُلق، وظلم الأم يكون بعدم المشابهة في الخلق، وظلم الأب يكون بعدم المشابهة في الخُلق، قال الشاعر:

شبيه أبيه خلقة وخليقة كما حذيت يومًا على أختها النعل

وقال رؤبة بن العجاج في هذا المعنى :

لَوْ كَانَ مِنْ دُونِ رُكَامِ المُرْتَكَمْ	وَأَرْمُلِ الدَهْنا وَصَمّانِ الوَجَمْ
وَعارِضِ العِرْضِ وَأَعْناقِ العَرَمْ	لَمْ يَسْمَعِ الرَكْبُ بِهَا رَجْعَ الكِلَمْ
إِلَّا وَساويسَ هَيانِيمِ الهَنَمْ	لا وَقَعٌ في نَعْلِهِ وَلا عَسَمْ
مَرًّا جَنُوبًا وَشَمالًا تَنْدَقِمْ	وَانْصاعَ وَثَّابٌ بِهَا وَما عَكَمْ
كَأَنَّهُ شَلّالُ عاناتٍ كُدُمْ	كَأَنَّما تَغَرِيدُهُ بَعْدَ العَتَمْ
مُرْتَجِسٌ جَلْجَلَ أَوْ حادٍ نَهَمْ	أَوْ راجِزٌ فِيهِ لَجاجٌ وَيَهَمْ
أَنْتَ الحَلِيمُ وَالأَمِيرُ المُنْتَقِمْ	تَصْدَعُ بِالْحَقِّ وَتَنْفِي مِنْ ظُلَمْ
بِأَبِهِ اقْتَدَى عَدِيٌّ في الكَرَمْ	وَمَنْ يُشابِهُ أَبَهُ فَما ظَلَمْ

الولد سر أبيه:

الوَلَد سِرُّ أبِيه. مثل شائع، ظنه بعض الناس حديثًا وليس بحديث. قال عنه الألباني رحمه الله تعالى في الضعيفة: لا أصل له. ومعناه ليس مطَّردًا، ففي الأنبياء مَن كان أبوه مُشركًا عاصيًا؛ مثل (آزر) والد إبراهيم عليه السَّلام، وفيهم مَن كان ابنُه مشركًا؛ مثل ابن نوح عليه السَّلام.

قال في الأمثال الشعبية الفلسطينية الدارجة في قلقيلية: معناه: (إن الولد سر أبيه، وحامل صفاته وخصائصه، وهو في حياته قرة عينه، وهو بعد مماته امتداد لوجوده، ومظهر لخلوده. يرث منه الملامح والسمات، والخصائص والمميزات، ويرث الحسن منها والقبيح، والجيد والرديء. وهو بضْعَة من قلبه، وفلذة من كبده. يساق المثل عندما نصادف ولدًا يشبه أباه في صفاته وتصرفاته المختلفة. فلو تصرف الأب بما لا يليق أمام أولاده، فمن المحتمل أنه سيلام من قبل أولاده، ولا سيما الابن. فالابن غالبًا ما يكون صورة عن أبيه، وعلى ما يربيه عليه، ومثل هذا المثل: "ابن الوز عوام/ ابن الطير بطير/ من شابه اباه فما ظلم.

ومن طريف ما يروى في ذلك طلب معلم من أحد طلابه الحمقى أن يذهب ليبحث عنه (أي المعلم) في القاعة المجاورة.

وبعد جهد وعناء رجع الطالب قائلًا: لقد بحثت عنك يا أستاذ هناك كثيرًا, بل وحتى في القاعات الأخرى فلم أجدك!

فاشتعل المعلم غيظًا وطرده، وأمره ألا يرجع إلا ومعه والده.

أتى الوالد وابنه وسأل الأستاذ ما بال ولده؟

فأعاد المعلم ما فعله سابقًا، وطلب من الطالب البحث عنه.

وبعد حين رجع الابن قائلًا إنه لم يجده! فغضب الأب وقال: ماذا سنفعل لك إنه لم يجدك؟ الخلل فيك وحدك يا أستاذ.

فرد المعلم متعجبًا: "الولد سر أبيه".

شنشنة أعرفها من أخزم:

جاء في زهر الأكم في الأمثال والحكم: الشنشنة بالكسر: الطبيعة والخلق: وأخزم بالزاي رجل من طيء، وهو أبن أبي أخزم جد حاتم، أو جد جده.

مات أخزم هذا وترك بنين، فوثبوا يومًا على جدهم فأدموه فقال:

إن بني زملوني بالدم	من يلق آساد الرجال يكلم
ومن يكن ذا أود يقوم	شنشنة أعرفها من أخزم

لأنه كان عاقًّا كذلك.

ويحكى أن عقيل بن عُلَّفَةَ – على وزن قُبّرة – ابن الحارث المري، خرج هو وابناه جثامة وعملّس، وأختهما الحوراء، ناكحًا في بني مروان بالشام. ثم قفلوا حتى إذا كانوا ببعض الطريق قال عقيل:

قضت وطرًا من دير سعد وطالما على عرض نطحنه بالجماجم

ثم قال: أجز، يا جثامة! فقال:

وأصبحن بالهومات يحملن فتية نشاوى من الإدلاج هيل العمائم

ثم قال: أجز يا عملّس، فقال:

إذا علمٌ غادرنه بنتوفة تذارعن بالأيدي لآخر طاسم

ثم قال: يا حوراء، أجيزي! فقالت:

كأن الكرى أساقهمُ صرخديةً تدب دبيبًا في المطا والقوائم

فقال عقيل: شربتها، ورب الكعبة! ثم شد عليها بالسيف، فقال أخوها: ما ذنبها؟ إنما أجازت شعرًا! فشد عليه أحدهم، فخدشه بسه، فقال:

إن بني ضرجوني بالدم	من يلق أبطال الرجال يكلم
شنشنة أعرفها من أخزم	

ثم توجه ولده للطريق. فلما مروا ببني القين قالوا لهم: هل لكم في الجزور انكسرت! قالوا: نعم! قالوا: الزموا هذه الرواحل! فذهب القوم حتى انتهوا إلى عقيل، فحملوه،

وعالجوه حتى برئ ولحق بهم. فقال أبو عبيد القاسم بن سلام: من أمثالهم في التشبيه الرجل بأبيه: شنشنة أعرفها من أخزم.

قال: وهذا المثل يروى عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه. قاله في ابن عباس رضي الله عنهما، شبهه في رأيه بابيه.

قال البكري: أخزم هذا هو جد حاتم بن عبد الله الطائي، وهو حاتم بن عبد الله بن سعد بن الحشرج بن أبي أخزم بن أبي أخزم. وقيل هو جد عقيل بن علفة.

والشنشنة: النطفة، من شنشنت: إذا أرقت. ويراد ما أراق من النطفة في الرحم. قال أبو بكر: وقال قوم: الشنشنة: الغريزة والطبيعة. فمن جعل أصل المثل لأخزم الطائي قال: كان أخزم جوادًا. فلما نشأ حاتم وعرف جوده قال: الناس: شنشنة من أخزم، أي قطرة من نطفة أخزم.

قال: وذكر علي بن الحسن إن عقيل بن علفة ابن الحارث المري أتى منزله، فإذا بنوه مع بناته وأزواجه مجتمعون. فشد على عملس منهم، فحاد عنه وتغنى ابنه علفة:

قفي يا بنةَ المري أسألك: ما الذي	تريدين فيما كنت منّيتنا قبل؟
فإن شئت كان الصرم ما هبت الصبا	وإن شئت لا يفنى التكارم والبذل

فقال عقيل: يا بن اللخناء: متى منتك نفسك هذا؟ وشد عليه بالسيف. فحال علمس بينه وبينه، وكان أخاه لأمه وأبيه. فشد على عملس بالسيف، وترك علفة ولم يلتفت إليه، فرماه عملس بسهم وأصاب ركبته. فسقط عقيل يتمكع بالدم، وهو يقول:

إن بَني سربلوني بالدم	من يلق آساد الرجال يكلم
ومن يكن ذا أود يقوم	شنشنة أعرفها من أخزم

قال المدائني: شنشنة أعرفها من أخزم، مثل ضربه، وأخزم فحل كان لرجل من العرب، وكان منجبًا، فضرب في إبل رجل آخر، ولم يعلم صاحبه، فرأى بعد ذلك من نسله جملا، فقال: شنشنة أعرفها من أخزم. وقال ابن ظفر في شرح المقامات: هذا المثل ضربه جد حاتم، حين نشأ حاتم، وتقيل أخلاقه جده أخزم في الجود، فقال: شنشنة.. إلخ. انتهى.

الولد في عين أبيه:

جاء في محاضرات الأدباء للراغب الأصفهاني: باب ما جاء في البنين والبنات نفع الولد وحمده:

- قال الله تعالى: (آباؤكم وأبناؤكم لا تدرون أيهم أقرب لكم نفعًا).
- وقال النبي صلى الله تعالى عليه وسلم: (إذا مات الرجل انقطع عمله، إلا من ثلاثة: صدقة جارية، وعلم ينتفع به، وولد صالح يدعو له).
- وقال حكيم في ميت: إن كان له ولد فهو حي، وإن لم يكن له ولد فهو ميت!
- وقيل لحكيم: ما منفعة الولد؟ فقال: يستعذب به العيش ويهون به الموت!
- وقيل: خير ما أعطى الرجل بعد الصحة والأمن والعقل ولد موافق من زوجة موافقة:

ومتعة العيش بين الأهلِ والولد

- قال ابن أبي فنن في وصف شراب:

أطيب في الأنف إذا... جاءتك من ريح الولد

- وقيل لبعضهم: أي الريح أطيب؟ فقال: ريح ولد أربه، وبدن أحبه.
- وضرب رجل وطولب بمال فلم يسمح به، فأخذ ابنه وضرب، فجزع، فقيل له في ذلك، فقال: ضرب جلدي فصبرت، وضرب كبدي فلم أصبر.
- وقال عمر أبو قوس وقد حُرم الذرية:

ولو كان لي طفل على الشيب واحد	لكان لنفسي في دُجى الخطب كوكبا
أرى فيه ريحاني ورَوْحي وراحتي	وبهجة أحلامي وعمري المخصبا

قال شاعر وقد استقبل ابنه الوحيد وهو يودع شبابه إلى المشيب:

إلى مهدك الميمون يمناي تمتدُّ	رجاءً .. ويثنيها مشيبي.. فترتد
دعاك شبابي قبل أن يزمع النوى	ولكن أراد الله أن يبطئ الرد
وجئت على شيبي فلم أدر هل أنا	أب لك يا حلم الأمانيّ أم جد؟
بني وشيبي هل سيضعف فيكما	رجائي أم يقوى بضعفي ويشتد؟

من سره بنوه ساءته نفسه!

ذكروا أن ضرار بن عمرو الضبي ولد له ثلاثة عشر ابنًا، كلهم بلغ، ورأس. فاحتمل ذات يوم، فلما رأى بنيه رجالًا معهم أهاليهم وأولادهم، سره ما رأى من هيأتهم، ثم ذكر نفسه، وعلم أنهم لم يبلغوا ذلك حتى أسن هو، ورق، وضعف فقال: من سره بنوه ساءته نفسه. فذهبت مثلا.

ابن وأب:

ودخل الأمين على أبيه الرشيد – وقد عرضت له وصيفة جميلة – فلم يزل محمد ينظر إليها، وفطن له أبوه، فقال: يا محمد ما ترى في هذه الوصيفة؟ قال: ما أرى بأسًا. قال: فهل لك فيها؟ قال: أمير المؤمنين أحق بها مني. قال: فقد آثرك على نفسه فخذها. فأخذها. فقال الرشيد:

ولي ولد لم أعصه مذ ولدته	ولا شك في بري به مذ ترعرعا
تخيرته للملك قبل فطامه	وأقطعته الدنيا فطيمًا ومرضعا
فلا الملك يخلو باعه من محمد	ولا هو منه بل هما هكذا معا

فنهض محمد ومعه الجارية، فأتبعه طرفه، فلما غاب، قال:

وإنما أولادنا بيننا أكبادنا تمشي على الأرض

وحكي عن بعض الأعراب أنه كان يرقص ولده ويقول:

كأنما ريح الولد	ريح الخزامى بالبلد
أهكذا كل ولد	أم لم يلد قبلي أحد

وفي مضرة الولد وذمه جاء:

- قيل لبعض الزهاد: ألا تزوجت فربما يكون لك خلف؟ فقال: كفى بالتزهيد فيه قوله تعالى: (إنما أموالكم وأولادكم فتنة)، وقوله تعالى: (إن من أزواجكم وأولادكم عدوًّا لكم فاحذروهم).
- وقال صلى الله تعالى عليه وسلم: الولد مبخلة مجبنة مجهلة.
- وقيل: قلة العيال أحد اليسارين.
- وقيل: قلة العيال كنز لا ينفذ.
- وسئل حكيم عن ولده فقال: إن عاش كذبني، وإن مات هدني.
- وبشر أحدهم بابن فقال: لا مرحبًا بمن إن كنت غنيًّا أذهلني، وإن كنت فقيرًا أتعبني، ولا أرضى كدي له كدًّا، ولا سعيي له في الحياة سعيًا، أهتم بفقره بعد وفاتي؛ حين لا ينالني به سرور، ولا يهمه لي حزن.
- وأصحر أحدهم يومًا فرأى صيادًا فقال: ما أكثر ما يقع في شبكتك! قال: كل طير زاق. فقال الحسن: هلك المعيلون!
- وقال أحدهم لرجل معه ولده: إن عاش فتنك، وإن مات أحزنك!
- وقد أحسن المتنبي في قوله:

وما الدهر أهل أن يؤمل عنده حياة وأن يشتاق فيه إلى النسل

- وقيل: النكد من رماه الأبد كل عام بولد.

كره الموت شفقة على الولد:

قال الشاعر:

وإنما أولادنا بيننا	أكبادنا تمشي على الأرض
لو هبت الريح على بعضهم	لامتنعت عيني من الغمضَ

وقال الشاعر:

يقر بعيني وهو ينقص مدتي	مرور الليالي كي يشب حكيم
مخافة أن يغتالني الموت قبله	فينشو مع الصبيان وهو يتيم

وقال آخر:

لقد زاد الحياة إلي حبًّا	بناتي.. إنهن من الضعاف!
مخافة أن يذقن اليتم بعدي	وأن يشربن رنقًا بعد صاف

متحمل تعبًا لأولاده: قال الشاعر:

والله لولا صبية صغار	وجوههم كأنها أقمار
لما رآني ملك جبار	ببابه.. ما طلع النهار!

ونحو هذا قولهم:

لولا أميمة لم أجزع من العدم... ولم أقاس الدجا في حندس الظلم

وفي الحماسة. قال حطان بن المعلي:

لولا بنيات كزغب القطا	رددن من بعض إلى بعضِ
لكان لي مضطرب واسع	في الأرض ذات الطول والعرض
وإنما أولادنا بيننا	أكبادُنا تمشي على الأرض
إن هبت الريح على بعضهم	لامتنعت عيني من الغمضِ

وفي محاضرات الأدباء، في الأبوة والبنوة ومدحهما وذمهما:

إعجاب المرء بأبيه:

حضر صالح العباسي مجلس المنصور، وكان يحدثه، ويكثر من قوله: أبي رحمه الله، فقال له الربيع: لا تكثر الترحم على أبيك بحضرة أمير المؤمنين.

فقال له: لا ألومك فإنك لم تذق حلاوة الآباء! فتبسم المنصور وقال:

هذا جزاء من تعرض لبني هاشم!

وقال أبو العيناء: ما أخجلني أحد كما أخجلني ابن صغير لعبد الرحمن ابن رجاء..

قلت له يومًا: أبيعك أبوك مني؛ فإني أريد ابنًا مثلك؟

فقال: البيع لا يمكن. لكن إن شئت احمل أبي على امرأتك، لتأتيك بولد مثلي!

ومر الأخطل بالفرزدق وهو صبي فقال: أيسرك أن أكون أباك؟

فقال: لا ولكن يسرني أن تكون أمي؛ ليأكل أبي من أطايبك!

وفي تفضيل كبار الولد وصغاره:

قيل: من سره بنوه ساءته نفسه؛ وبذلك ألم الشاعر فقال:

نشا بني فكان مثلي	يلبس ما قد نزعت عني
فسرني ما رأيت منه	وساءني ما رأيت مني

وقال:

إن بني صبية صيفيون أفلح من كان له ربعيون

وقيل: كان بين عمرو بن العاص وبين ابنه عبد الله اثنا عشر سنة في السن، ولا يعلم أحد كان بينه وبين أبيه هذا القدر، فأما من بينه وبين أبيه أربع عشرة سنة فعددهم كثير.

وقال حماد بن إسحق بن إبراهيم: كان أبي أكبر مني بأربع عشرة سنة، وأنا أكبر من ابني بأربع عشرة سنة، والموفق أكبر من المعتضد بأربع عشرة سنة.

وقال أنوشروان لرجل هرم رآه يعمل: هلا أدلجت؟ فقال: أدلجت ولكني أضللت!

وقيل: ابنك ريحانك سبعًا، ثم يصير عدوًّا ظاهرًا أو شريكًا مظاهرًا!

وقيل لرجل أبطأ في التزوج فقال: أريد أن أسبق أولادي في اليتم قبل أن يسبقوني في العقوق!

المادح ولده مدحًا حسنًا:

كتب المأمون إلى طاهر بن الحسين: صف لي ابنك فقال:

ابني إن مدحته ذممته ظلمته إلا أنه نعم الخلف لسيده من عبده، إذا اخترمت عبده منيته!

فكتب إليه المأمون: يا ذا اليمينين، لم ترض بمدحه حتى أوصيت به!

وقال له يومًا: أخبرني عن ابنك. فقال: قدح في كف مثقف، ليوم رهان أمير المؤمنين!

وقيل لرجل: صف ابنك. فقال: ولد الناس أبناء وولدته أبًا، يحسن ما أحسن ولا أحسن ما يحسن!

ومدح أعرابي ابنه فقال:

يا حبذا روحه وملمسه	أملح شيء ظلا وأكيسه
الله يرعاه لي ويحرسه	

ومما جاء في ممادح الأبوة، قيل:

نجل الجواد جريه يتقيل

آخر:

وابن السرى إذا سرى أسراهما

آخر:

إلا أن غصن الدوح للدوح تابع

وقال عدي بن أرطاة لإياس: دلني على قوم من القراء أوليهم. فقال:

القراء ضربان ضرب يعملون للدنيا فما ظنك بهم، وضرب يعملون للآخرة فلا يعملون لك، ولكن عليك بأهل البيوتات الذين يستحيون لأحسابهم فولِّهم.

وقال الحسن رحمه الله لعمر بن عبد العزيز: عليك بذوي الأحساب؛ فإنهم إن لم يتقوا استحيوا، وإن لم يستحيوا تكرموا.

الممدوح بأنه من أصل شريف:

مدح أعرابي فقال: ذاك من شجر لا يخلف ثمره، ومن ماء لا يخاف كدره.

وقال مصعب:

كأنك جئت محتكما عليه... تخير في الأبوة ما تشاء

وقال آخر

هم حلوا من الشرف المعلى... ومن حسب العشيرة حيث شاؤوا

وقال أبو تمام:

نسب كأن عليه من شمس الضحى... نورا ومن فلق الصباح عمودا

وقال آخر:

نمته بدور ليس فيهن كوكب

ودخل بعض أولاد ابن الزبير على سليمان بن محمد، فجلس على نمرقة، فاغتاظ من ذلك، وقال: من أجلسك ههنا؟ قال: صفية بنت عبد المطلب! فسكن غضبه.

من تمنى كل قوم كونه منهم لشرفه:

وقال الفرزدق:

أرى كل قوم ود أكرمهم أبا... إذا ما انتمى لو كان منا أوائله

وقال مسلم:

وكم عائب لي ورد أني ولدته... وإن كرمت أعراقه وزكا الأصل

أولاد سخنت أعين آبائهم لتخلفهم:

مات لعبد الملك ابن فجاء له آخر فعزى أباه به فقال: يا بني: مصيبتي فيك أفدح في بدني من مصيبتي في أخيك! وهل يعزي الابن أباه!؟ فقال: أمي أمرتني بذلك. فقال: يا بني إذا كانت الأبناء قرة أعين الوالدين، فأنت قرة عين الشامتين!

وبعث رجل ابنه ليشتري حبلًا فقال: اجعله عشرين ذراعًا. فقال: في عرض كم؟ قال: في عرض مصيبتي فيك يا بني!

وقيل لصبي: لم لا تتعلم الأدب؟ فقال: أخاف أن أكذب والدي لأنه قال لي: إنك لا تفلح أبدًا!

وكان للمبرد ابن متخلف، فقيل له يومًا: غط سوءتك! فوضع يده على رأس ابنه.

من كثرت أولاده فأنجب:

قيل: كان لعبد الله بن عمير سبعون ذكرًا كلهم يطيقون حمل السلاح، وكانت فاطمة بنت الحوشب الأنمارية يقال لها أم الكملة، وأم البنين بنت عامر بن فارس ولدت عامر بن ملك، وطفيل الخيل ومعاوية بن ملك معوذ الحكماء.

وسقط للمهلب لصلبه إلى الأرض ثلاثمائة ولد.

وكان الرجل في الجاهلية إذا ولد له سبعة ولد تقنع وتم شرفه.

وكان يقال: فلان من المقنعين؛ فمنهم: حذيفة من بني بدر وعيينة وعلقمة بن الأحوص.

وقال عبد الملك للفرزدق: أي الحي أكثر؟ فقال: تميم! فقال: وأين طيء؟ فقال: يا أمير المؤمنين: لو أن نساء تميم بلن على جبل طيء لغرقوا!

فقال صبي من طيء كان حاضرًا: يا أمير المؤمنين لو أنا سددنا مبال نساء تميم لكان يفضل كمر كثير.

المشبه أباه وغير المشبهه:

في البخاري عن عقبة بن الحارث رضي الله عنه، قال: صلى أبو بكر رضي الله عنه العصر ، ثم خرج يمشي ، فرأى الحسن يلعب مع الصبيان، فحمله على عاتقه، وقال :

بأبي.. شبيهٌ بالنبي ليس شبيه بعلي

وعلي رضي الله عنه يضحك.

وود قيس بن عاصم أن يكون ابنه شبيهًا لجده زيد الفوارس، أو لخاله (عمل) وكان يتمنى أن يكون ابنه شجاعًا، فكان يداعبه ويرقص، قائلًا:

أشبه أبا أمك.. أو أشبه عمل
ولا تكونن كهلوفٍ.. وكِل
يصبح في مضجعه قد انجدل
وارق إلى الخيرات زنًا في الجبل

وقيل: من سعادة المرء أن يشبهه ابنه.. وقيل: فلان ينظر عن عين أبيه، ويبطش بيديه. وقال سعيد بن صمصمة يرقص ابنه:

أحب ميمون أشد حب	أعرف منه شبهي ولبي

ولبه أعرف منه ربي

وقال الزبير عن ابنه عروة، رضي الله عنهما:

أبيض من آل أبي عتيق مبارك من ولد الصديق ألذّه كما ألذ ريقي

وقال بعض بني عبس:

وإنا نرى أقدامنا في نعالهم وأنوفنا بين اللحى والحواجب

وقال آخر:

والله ما أشبهني عصام لا خلق منه ولا قوام

تمني موت الأولاد:

قال أعرابي كان له أولاد:

الناس يعطون أموالا وميسرة	وأنت أعطيتني يا رب صبيانا
خذهم إليك فكل صار في خلق	وأنت أعطيته يا رب عريانا
قد كنت كلفتهم في أمهم ثمنًا	فخذهمُ عاجلا يا رب مجانا

ذكر أشراف توالوا: آباء كرام من آباء كرام:

في الخبر: الكريم ابن الكريم ابن الكريم ابن الكريم يوسف بن يعقوب بن إسحق بن إبراهيم صلوات الله عليهم.

وليس في الأرض خمسة أشراف متناسقة، كتب عنهم الحديث إلا جعفر بن محمد ابن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب عليهم الرضوان..

ولا أربعة إلا محمد بن علي بن عبد الله بن العباس رضي الله عنهم.

وكان قيس بن عبادة بن دلهم بن حارثة بن أبي خزيمة بن ثعلبة بن طريف سبعة أجواد، يتلو بعضهم بعضًا، ليس بينهم فرق ولا فضل.

المشابه أباه في علاه ابتناه:

قال عمرو بن سراقة:

ومكرمة كانت سجية والدي... فعلمنيها والدي فعلمتها

وقال شاعر:

وإن امرأ في الفضل أشبه جده... ووالده الأدنى لغير ظلوم

وقال أبو الغمر:

تشابهوا في العلا حتى كأنهم... لم يفتقد لهم ميت ولا افترقوا

وقال محمد بن وهيب:

أنت غصن من ذلك المنبت الزا... كي ونصل من ذلك الفولاذ

قيل لحكيم: كان أبوك أجمل منك وأعقل وأفضل! فقال: لأني كنت به ولم يكن بي، فهو أولى بالكمال مني:

وخطب أبو العذري إلى رجل من بني تميم ابنته، فقال: لو كنت مثل أبيك زوجتك. فقال: لو كنت مثل أبي لم أخطب إليك.

وقيل لرجل من الأعراب: ما أشبهت أباك! فقال: لو أشبه كل رجل أباه كنا كآدم.

ذم من شان آباءه الكرام بلؤمه:

قال إبراهيم بن العباس:

لئن لحقت بأبناء الكرام به... لقد تقدم أبناء اللئام بكا

وقال أبو حنش:

لئن كان معن زان شيبان كلها... لقد شان روح كل آل مهلب

حب أولاد الأولاد:

ولا يقتصر حب الوالد على أبنائه الصلبيين المباشرين، بل يتعداهم إلى أولاد الأولاد وإن نزلوا (الأحفاد).. يقول بدوي الجبل في حفيده:

يجور وبعض الجور منه محبب	ولم أرَ قبل الطفل جورًا محببا
ويغضب أحيانًا ويرضى وحسبنا	من الصفو أن يرضى علينا ويغضبا
يزف لنا الأعيادَ عيدًا إذا خطا	وعيدًا إذا ناغى وعيدًا إذا حبا

وقد لفتنا سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى حب الأحفاد، من خلال سنتيه القولية، والفعلية؛ فكم تعلق بأبناء بناته، ودللهم، ووصى بهم:

ففي مسلم عن سيدي زَيْدِ بْنِ أَرْقَمَ رضي الله تعالى عنه مرفوعًا: (أُذَكِّرُكُمْ اللَّهَ فِي أَهْلِ بَيْتِي، أُذَكِّرُكُمْ اللَّهَ فِي أَهْلِ بَيْتِي، أُذَكِّرُكُمْ اللَّهَ فِي أَهْلِ بَيْتِي).

وفي مسلم أيضًا عن أم المؤمنين عائشة رضي الله تعالى عنها، قالت: (خَرَجَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ غَدَاةً، وَعَلَيْهِ مِرْطٌ مُرَحَّلٌ مِنْ شَعْرٍ أَسْوَدَ، فَجَاءَ الْحَسَنُ بْنُ عَلِيٍّ فَأَدْخَلَهُ، ثُمَّ جَاءَ الْحُسَيْنُ فَدَخَلَ مَعَهُ، ثُمَّ جَاءَتْ فَاطِمَةُ فَأَدْخَلَهَا، ثُمَّ جَاءَ عَلِيٌّ فَأَدْخَلَهُ، ثُمَّ قَالَ: إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمْ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا).

وعن سيدي أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال: أبصرت عيناي وسمعت أذناي رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو آخذ بكفي حسين، وقدماه على قدمي رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يقول: أنت عين بقه، فرمى الغلام حتى وضع قدمه على صدر رسول الله صلى الله عليه وسلم، ثم قال له رسول الله صلى الله عليه وسلم: افتح، ثم قبله، ثم قال: " اللهم، إني أحبه فأحبه ".

وروى أبو القاسم البغوي عن محمد بن عبد الرحمن بن أبي ليلى رضي الله تعالى عنه قال: خلونا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم إذ أقبل حسين، فجعل ينزو على ظهر

رسول الله صلى الله عليه وسلم وعلى بطنه، فبال، فقمنا إليه، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " دعوه" ثم دعا رسول الله صلى الله عليه وسلم بماء فصبه على ثوبه.

وفي صحيح مسلم، في باب فضل الحسن والحسين رضي الله عنهما عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ خَرَجْتُ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم فِي طَائِفَةٍ مِنَ النَّهَارِ، لا يُكَلِّمُنِي، وَلاَ أُكَلِّمُهُ، حَتَّى جَاءَ سُوقَ بَنِي قَيْنُقَاعَ، ثُمَّ انْصَرَفَ حَتَّى أَتَى صلى الله عليه وسلم خِبَاءَ فَاطِمَةَ، فَقَالَ: "أَثَمَّ لُكَعُ؟ أَثَمَّ لُكَعُ؟" – يَعْنِي حَسَنًا رضي الله عنه – فَظَنَنَّا أَنَّهُ إِنَّمَا تَحْبِسُهُ أُمُّهُ لأَنْ تُغَسِّلَهُ، وَتُلْبِسَهُ سِخَابًا؛ فَلَمْ يَلْبَثْ أَنْ جَاءَ يَسْعَى، حَتَّى اعْتَنَقَ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا صَاحِبَهُ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم: (اللَّهُمَّ إِنِّي أُحِبُّهُ فَأَحِبَّهُ، وَأَحْبِبْ مَنْ يُحِبُّهُ) .

وفي مسلم بسنده قال: حَدَّثَنَا إِيَاسٌ، عَنْ أَبِيهِ، قَالَ لَقَدْ قُدْتُ بِنَبِيِّ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم وَالْحَسَنِ وَالْحُسَيْنِ بَغْلَتَهُ الشَّهْبَاءَ، حَتَّى أَدْخَلْتُهُمْ حُجْرَةَ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم؛ هَذَا قُدَّامَهُ، وَهَذَا خَلْفَهُ.

كما لقيت أُمامة بنت أبي السيدة زينب عليها السلام ورضي الله عنها من حُبّ جدّها خير الأنام صلى الله عليه وسلم ما افتقدته برحيل أمها، فهي تذكّره بابنته الكبرى التي رحلت إلى الدار الآخرة، فكان صلى الله عليه وسلم يلاعبها، ويحملها على عاتقه إذا صلّى.

فقد روى البخاري ومسلم وغيرهم عن أبي قتادة الأنصاري رضي الله عنه قال: "بينما نحن ننتظر رسول الله صلى الله عليه وسلم في الظهر أو العصر، وقد دعاه بلال للصلاة، إذ خرج إلينا، وأمامة بنت أبي العاص بنت ابنته على عُنقه، فقام رسول الله صلى الله عليه وسلم في مُصلاه ، وقمنا خلفه وهي في مكانها الذي هي فيه، قال: فكبّر فكبرّنا، قال: حتى إذا أراد رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يركع أخذها فوضعها، ثم ركع وسجد،

حتى إذا فرغ من سجوده ثم قام، أخذها فردها في مكانها، فما زال رسول الله صلى الله عليه وسلم يصنع بها ذلك في كل ركعة حتى فرغ من صلاته."

وهذا يشير إلى مدى اهتمام النبي صلى الله عليه وسلم وشفقته على الأطفال وإكرامه لهم جبرًا لهم ولوالديهم كما قال الحافظ ابن حجر في فتح الباري، وهذا من تواضعه ومن شفقته على أُمامة ، فإنه كان إذا ركع أو سجد على الأرض وكأنها كانت لتعلقها به لا تصير في الأرض فتجزع من مفارقته ، فيحتاج أن يحملها إذا قام

كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يبرّ أمامة ويخصّها بهداياه كلما كانت مناسبة. فقد روى الإمام أحمد وابو يعلى والطبراني وابن سعد وابن حجر وابن عبد البرّ وغيرهم عن أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها ، ولأمامة منقبة كبيرة بين الصحابيات، حتى اضحت يشار إليها بأنها حبيبة المصطفى صلى الله عليه وسلم قالت السيدة عائشة رضي الله عنها :" أُهدي لرسول الله صلى الله عليه وسلم قلادة من جِزع (خرز) ملمعة بالذهب ونساؤه مجتمعات في بيت كُلهن ، وأُمامة بنت أبي العاص ابن الربيع ، جارية تلعب في جانب البيت بالتراب فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم :" كيف ترينَ هذه؟ فنظرن إليها فقلن : يا رسول الله ما رأينا أحسن من هذه ولا أعجب! فقال:" أرددنها إلي " فلما أخذها قال:" والله لأضعنّها في رقبة أحب أهل البيت إليّ ."

قالت عائشة: فأظلمت عليّ الأرض بيني وبينه خشية أن يضعها في رقبة غيري منهن ، ولا أراهن إلا قد اصابهن مثل الذي اصابني، ووجمن جميعًا ، فأقبل حتى وضعها في رقبة أمامة بنت أبي العاص، فسُريَ عنّا.

الفصل السابع:

الأب في الشعر العربي:

أب:

بديعة عمر الأميري شاعر النفس المؤمنة.. رحمه الله تعالى

سافر أولاده وتركوه وحيدًا، فافتقدهم، ولم يصبر عنهم فهرع إلى القلم، يبوح به، والورق يبثه أشواقه:

أين الضجيج العذب والشغبُ	أين التدارس شابه اللعبُ؟
أين الطفولة في توقدها	أين الدمى في الأرض والكتبُ؟
اين التشاكس دونما غرض	أين التشاكي ما له سبب؟
أين التباكي والتضاحك في	وقت معًا، والحزن والطربُ؟
أين التسابق في مجاورتي	شغفًا إذا أكلوا وإن شربوا؟
يتزاحمون على مجالستي	والقرب مني حيثما انقلبوا
فنشيدهم: (بابا) إذا فرحوا	ووعيدهم: (بابا) إذا غضبوا
وهتافهم: (بابا) إذا ابتعدوا	ونَجيّهم: (بابا) إذا اقتربوا
في كل ركن منهمُ أثر	وبكل زاوية لهم صخبُ
في النافذات زجاجَها حطموا	في الحائط المدهون قد ثقبوا
في الباب قد كسروا مزالجه	وعليه قد رسموا وقد كتبوا
في الصحن فيه بعض ما أكلوا	في علبة الحلوى التي نهبوا
في الشطر من تفاحة قضموا	في فضْلة الماء التي سكبوا
إني أراهم حيثما اتجهتْ	عيني كأسراب القطا سَربوا
ذهبوا، أجلْ ذهبوا ومسكنهم	في القلب ما شطوا وما قربوا
حتى إذا ساروا وقد نزعوا	من أضلعي قلبا بهم يجبُ
ألفيتُني كالطفل عاطفة	فإذا به كالغيث ينسكبُ
قد يَعجب العذال من رجل	يبكي، ولو لم أبكِ فالعجب
هيهات ما كل البكا خوَر	إني وبي عزمُ الرجالِ أبُ

محبة الوالد

للشاعر المصري: محمد الهراوي

جاء في ترجمته في مقدمة ديوانه للأطفال: شاعر عربي كبير توفي عام 1939.عاصَر الشاعرين الكبيرين أحمد شوقي وحافظ إبراهيم. اهتم بقصائد الأطفال والطلائع، ونشرت أعماله في عدد من السلاسل المخصصة لأدب الطفل مثل: (سمير الأطفال للبنين) و(سمير الأطفال للبنات) و(الطفل الجديد) و(أنباء الرسل).

وعندما أقام أدباء العروبة مهرجانًا عامًا لمبايعة شوقي بإمارة الشعر في عام 1927 تمرد جماعة من الشعراء برياسة الهراوي الذي كان يرى أن إمارة الشعر بدعة، ومجلبة للصدام بين الشعراء؛ فلكل شاعر مكانته ووضعه وأسلوبه المختلف عن الآخرين.

يرى بعض الدارسين أن الهراوي هو الرائد الحقيقي لمسرح الطفل في الوطن العربي بمسرحياته الجميلة (قصص إسلامية) التي نشرها خلال الحرب العالمية الثانية.

ملأ الهراوي المكتبة العربية بقصائد ومسرحيات تتسم بنبرة وعظية، كانت مناسبة لذلك العصر. وتقتضينا الريادة تقتضى منا أن نغض الطرف قليلا عن بعض هناته الفنية.

كم يا أبي لك من يدٍ	عندي و كم لك من أثر
أنت الذي ربيتني	ورعيتني منذ الصغر
وغذوتني.. وكسوتني	ووقيتني شر الغير
فإذا ألم بي الضنى	حل الأسى بك والسهر
تدعو الطبيب ولا تني	حتى يجاوزني الخطر
وأفدتني العلم الذي	هو كنز مالي المدخر
وتظل تكدح في الحيا	ة لحاضري والمنتظر
هذي عوارفك الحسا	ن وتلك أيديك الغرر
هي يا أبي دين عل	يَّ أرده عند الكبر

أبي

رائعة من روائع نزار، بصوره الفريدة، ومفرداته الخاصة، مع اعتذاري عن بعض مفرداته:

أمات أبوك؟ ضلالٌ!	أنا لا يموتُ أبي!
ففي البيتِ منهُ روائحُ	ربٍّ.. وذِكرى نبي
هُنا ركنُهُ.. تلكَ أشياؤهُ	تَفَتَّقُ عن ألفِ غُصنٍ صبي
جريدتُهُ.. تَبغُهُ.. مُتَّكاهُ	كأنَّ أبي – بعدُ – لم يذهَبِ
وصحنُ الرّمادِ.. وفنجانُهُ	على حالهِ بعدُ لم يُشرَبِ
ونظّارتاهُ.. أيسلو الزجاجُ	عيونًا أشفَّ منَ المغربِ
بقاياهُ، في الحُجُراتِ الفِسا	ح ِ بقايا النسورِ على الملعبِ
أجولُ الزوايا عليه.. فحيثُ	أمُرُّ.. أمُرُّ على مُعْشِبِ
أشدُّ يديهِ.. أميلُ عليهِ	أصلّي على صدرهِ المُتعَبِ
أبي لم يزلْ بينَنا.. والحديث	حديثُ الكؤوسِ على المَشرَبِ
يسامرُنا.. فالدوالي الحبالى	تَوالَدُ مِن ثغرِهِ الطيّبِ
أبي خَبَرًا كانَ من جنّةٍ	ومعنى من الأرحبِ الأرحبِ
وَعَيْنا أبي ملجأٌ للنجومِ	فهلْ يذكرُ الشرقُ عينَيْ أبي؟
بذاكرةِ الصّيفِ من والدي	كرومٌ.. وذاكرةُ الكوكبِ
أبي– يا أبي – إنَّ تاريخَ طيبٍ	وراءكَ يمشي.. فلا تتعبِ
على اسمكِ نمضي فمن طيّبٍ	شهيِّ المجاني.. إلى أطيَبِ
حملتُكَ في صحوِ عينيَّ حتّى	تهيّأَ للناسِ أنّي أبي
أشيلُكَ حتّى بنبرةِ صوتي	فكيفَ ذهبتَ ولا زلتَ بي؟
إذا فُلَّةُ الدارِ أعطتْ لَدَينا	ففي البيتِ ألفُ فمٍ مُذهَبِ
فَتَحنا لتَمّوزَ أبوابَنا	ففي الصيفِ لا بُدَّ يأتي أبي

إلى أبي

الشيخ الشاعر: مصطفى قاسم عباس شاعر حموي، يحمل إجازة باللغة العربية، من جامعة دمشق، وإجازة من كلية أصول الدين بجامعة الأزهر، وله ديوانان: الأول عنوانه "بدر الدجى" والثاني "صور من مأساتنا":

لم تكتبِ الشّعرَ يومًا ما ولا الأدبا	وما سهرتَ الليالي تقرأُ الكُتُبا
ولم تكنْ من ذوي الأموال تجمعُها	لم تكنِزِ الدُّرَّ والياقوتَ والذهبا
لكنْ كنزتَ لنا مجدًا نعيشُ به	فنحمدُ اللهَ مَن للخير قد وَهبا
أضحى فؤاديَ سِفرًا ضَمَّ قافيتي	ودمعُ عيني على الأوراق قد سُكِبا
سأنظم الشعرَ عِرفانًا بفضلك يا	مَن عشتَ دهرَك تجني الهمَّ والنّصَبا
سأنظم الشعر مدحًا فيكَ منطلِقًا	يجاوز البدرَ والأفلاكَ والشّهُبا
إن غاضَ حِبري بأرض الشّعر والهفي	ما غاض نبعُ الوفا في القلب أو نضبا
قالوا: تغالي فمَن تعني بشعرك ذا؟	فقلت: أعني أبي.. أنْعِمْ بذاك أبا
كم سابقَ الفجرَ يسعى في الصباح ولا	يعودُ إلا وضَوءُ الشمس قد حُجبا
تقول أمي: صغارُ البيت قد رقدوا	ولم يَرَوْك.. أنُمضي عمرَنا تعَبا؟
يجيب: إني سأسعى دائمًا لأرى	يومًا صغاري بدورًا.. تزدهي أدبا
ما شعريَ اليومَ إلا من وميضِ أبي	لولاه ما كان هذا الشعرُ قد كُتبا
فأنتَ أولُ من للعلم أرشدني	في حمصَ طفلًا ولمّا كنتُ في حلبا
ولم تكن أبتي في المال ذا نسب	لكنْ بخيرِ نكونُ السادةَ النّجُبَا

فالمالُ لن يُعلِيَ الإنسانَ منزلةً	إنْ لم يكنْ بالمزايا يرتقي السّحُبا
لقد نُسبتَ أبي للخير في كرم	يا منبعَ النبل.. فلْتَهْنأ بذا نسبا
نصحْتنا ما أُحيلى النّصْحَ يا أبتي	فأنت مدرسةٌ في النصح لا عَجَبا
حماك ربي من الحُسَّاد يا أبتي	قد ارتقيتَ.. وكم من حاسدٍ غَضبا
فاحفظ لنا ربَّنا دينا نَدينُ به	قد شرَّف العُجمَ طولَ الدهرِ والعَربا
واحفظ لنا والدي والأمَّ يا سندي	وإخوتي.. وأناسا حبّهُم وجَبا

البارودي باشا يرثي أباه:

وقال شاعر السيف والقلم محمود سامي البارودي يرثي أباه في قصيدة نظمها في الآستانة نحو سنة 1860 في عنفوان شبابه وفوران شاعريته – وكان حول الحادية والعشرين من عمره – وهي مليئة بالعاطفة، والفخر، وتعكس جزالة شعره منذ البواكير:

لا فَارِسَ الْيَوْمَ يَحْمِي السَّرْحَ بِالوَادِي ... طَاحَ الرَّدَى بِشِهَابِ الْحَرْبِ والنَّادِي

ماتَ الَّذى تَرهبُ الأقرانُ صَولتَهُ ... وَيَتَّقِي بَأْسَهُ الضِّرْغَامَةُ الْعَادِي

هانَتْ لميتَتِهِ الدُنيا.. وزهَّدنا ... فَرطُ الأسى بَعدَهُ فى الماءِ والزادِ

هَلْ لِلْمَكَارِمِ مَنْ يُحْيِي مَناسِكَهَا؟ ... أَمْ لِلضَّلاَلَة بَعْدَ الْيَوْمِ مِنْ هَادِي؟

جَفَّ الندى وانقضى عُمرُ الجدا وسرى ... حُكْمُ الرَّدَى بَيْنَ أَرْوَاحٍ وَأَجْسَادِ

فَلْتَمْرَحِ الْخَيْلُ لَهْوًا في مَقَاوِدِهَا ... ولتصدإ البيضُ مُلقاةً بأغمادِ

مَضَى وَخَلَّفَنِي في سِنِّ سَابِعَة ... لا يَرْهَبُ الْخَصْمُ إِبْرَاقِي وإِرْعَادِي

إذا تلفَّتُ لم ألمَح أخا ثِقَة ... يأوى إليَّ.. ولا يسعى لإنجادِي

فالعينُ ليسَ لَها من دمعها وزَرٌ ... والْقَلْبُ لَيْسَ لَهُ مِنْ حُزْنِهِ فَادِي

فإن أكُن عِشتُ فَردًا بينَ آصِرَتِي ... فَهَا أَنَا الْيَوْمَ فَرْدٌ بَيْنَ أَنْدَادِي

بَلَغتُ من فَضلِ ربِّي ما غنيتُ بهِ ... عَن كلِّ قارٍ مِنَ الأملاكِ أو بادِي

فما مدَدتُ يدي إلاَّ لِمَنحِ يدٍ ... ولا سعَت قدمِي إلاَّ لإسعادِ

تَبِعتُ نهجَ أبي فضلًا ومحميَة ... حَتَّى بَرَعْتُ.. وَكَانَ الْفَضْلُ لِلْبَادِي

أبي ، ومَن كأبي في الحيِ نَعلمهُ ... أَوْفَى وَأَكْرَمُ في وَعْدٍ وَإِيعَادِ

مُهذَّبُ النَّفسِ.. غرَّاءٌ شمائلهُ ... بعيدُ شأوِ العلا.. طلاَّعُ أنجادِ

قَدْ كَانَ لِي وَزَرًا..آوِي إِلَيْهِ إِذَا	غَاضَ الْمَعِينُ وَجَفَّ الزَّرْعُ بِالْوَادِي
لا يستبِدُ برأي قبلَ تبصِرة	ولا يَهمُّ بأمرٍ قبلِ إعدادِ
تَراهُ ذا أهبةٍ في كلِّ نائبة	كَاللَّيْثِ مُرْتَقِبًا صَيْدًا بِمِرْصَادِ

سأَلوني: لِمَ لَمْ أَرْثِ أَبي؟

وقال أمير الشعراء شوقي رحمه الله تعالى يرثي أباه:

سأَلوني: لِمَ لَمْ أَرْثِ أَبي؟	ورِثاءُ الأَبِ دَيْنٌ أَيُّ دَيْنْ
أَيُّها اللُّوّامُ: ما أَظلمَكم!	أينَ لي العقلُ الذي يسعد أينْ؟
يا أبي: ما أنتَ في ذا أولٌ	كلُّ نفس للمنايا فرضُ عَيْنْ
هلكَتْ قبلك ناسٌ.. وقرَى	ونَعى الناعون خيرَ الثقلين
غايةُ المرءِ وإن طالَ المدى	آخذٌ.. يأخذه بالأصغرين
وطبيبٌ يتولى.. عاجزًا	نافضًا من طبِّه خفيْ حنين
إنَّ للموتِ يدًا إن ضَرَبَتْ	أَوشكَتْ تصْدعُ شملَ الفَرْقَدَيْنْ
تنفذ الجوَّ على عقبانه	وتلاقي الليثَ بين الجبلين
وتحطُّ الفرخَ من أَيْكَته	وتنال الببَّغا في المنتين
أنا منْ مات، ومنْ مات أنا	لقي الموتَ كلانا مرتين
نحن كنا مهجةً في بدنٍ	ثم صِرْنا مُهجةً في بَدَنَيْن

ثم عدنا مهجة في بدنٍ	ثم نُلقى جُثَّةً في كَفَنَيْن
ثم نَحيا في عليٍّ بعدَنا	وبه نُبْعَثُ أُولى البَعْثتين
فقدا الجنةَ في إيجادنا	ونَعمْنا منهما في جَنّتين
وهما العذرُ إذا ما أُغضِبَا	وهما الصّفحُ لنا مُسْتَرْضَيَيْن
وقف الله بنا حيث هما	وأَماتَ الرُّسْلَ إلاَّ الوالدين
ليتَ شعري أيُّ حيٍّ لم يدن	بالذي دَانا به.. مُبتدِئَيْن؟
ما أَبِي إلاَّ أَخٌ فارَقْتُه	ودّه الصدقُ، وودّ الناس مين
طالما قمنا إلى مائدةٍ	كانت الكسرةُ فيها كسرتين
وشربنا من إناءٍ واحدٍ	وغسلنا بعدَ ذا فيه اليدين
وتمشَّيْنا.. يَدي في يدِه	من رآنا قال عنّا: أخوين
نظرَ الدهرُ إلينا نظرةً	سَوَّت الشرَّ فكانت نظرتين
يا أبي: والموتُ كأسٌ مرةٌ	لا تذوقُ النفسُ منها مرتين
كيف كانت ساعةٌ قضيتها	كلُّ شيءٍ قبلَها أَو بعدُ هَيْن؟
أَشرِبْتَ الموت فيها جُرعةً	أَم شرِبْتَ الموتَ فيها جُرعتين؟
لا تَخَفْ بعدَكَ حُزنًا أَو بُكا	جمدتْ منِّي ومنكَ اليومَ عين
أنت قد علمتني تركَ الأسى	كلُّ زَيْنٍ مُنتهاه الموتُ شَيْن
ليت شعري: هل لنا أن نتلقي	مَرّةً.. أَم ذا افتراقُ المَلَوَين؟
وإذا متُّ.. وأُودعتُ الثرى	أَنلقَى حُفرةً.. أَم حُفْرتين؟

فلسفة الحياة، أو: رثاء أبي

قال الشاعر المهجري الكبير إيليا أبو ماضي يرثي أباه:

طوى بعض نفسي إذ طواك الثّرى عني	وذا بعضها الثاني يفيض به جفني
أبي! خانني فيك الرّدى فتقوضت	مقاصير أحلامي كبيت من التّبن
وكانت رياضي حالياتٍ ضواحكا	فأقوت وعفّى زهرَها الجزع المضني
وكانت دناني بالسرور مليئة	فطاحت يد عمياء بالخمر والدّنّ
فليس سوى طعم المنيّة في فمي	وليس سوى صوت النوادب في أذني
ولا حسن في ناظريّ.. وقلّما	فتحتهما من قبل إلاّ على حسن
وما صور الأشياء بعدك غيرها	ولكنّما قد شوّهتها يد الحزن
على منكبي تبر الضحى وعقيقه	وقلبي في نار، وعيناي في دجن
أبحت الأسى دمعي وأنهبته دمي	وكنت أعدّ الحزن ضربًا من الجبن
فمستنكر كيف استحالت بشاشتي	كمستنكر في عاصف رعشة الغصن
يقول المعزّي ليس يجدي البكا الفتى	وقول المعزّي لا يفيد.. ولا يغني
شخصت بروحي حائرًا متطلعًا	إلى ما وراء البحر.. أدنو وأستدني
كذات جناح أدرك السيلُ عشّها	فطارت على روع تحوم على الوكن
فواهًا لو انيَ في القوم عندما	نظرت إلى العوّاد.. تسألهم عنّي
ويا ليتما الأرض انطوى لي بساطها	فكنت مع الباكين في ساعة الدفن
لعلّي أفي تلك الأبوّة حقّها	وإن كان لا يوفى بكيل ولا وزن
فأعظم مجدي كان أنك لي أب	وأكبر فخري كان قولك: ذا إبني!
أقول: لو اني... كي أبرّد لوعتي	فيزداد شجوي كلّما قلت : لو أني!
أحتّى وداع الأهل يحرمه الفتى؟	أيا دهر هذا منتهى الحيف والغبن!

أبي: وإذا ما قلتها فكأنني	أنادي وأدعو يا بلادي ويا ركني
لمن يلجأ المكروب بعدك في الحمى	فيرجع ريّان المنى ضاحك السنّ؟
خلعت الصبا في حومة المجد ناصعًا	ونزّه فيك الشيب عن لوثة الأفن
فذهن كنجم الصّيف في أول الدجى	ورأى كحدّ السّيف أو ذلك الذهن
وكنت ترى الدنيا بغير بشاشة	كأرض بلا ماء.. وصوت بلا لحن
فما بك من ضرّ لنفسك وحدها	وضحكك والإيناس للبحر والخدن
جريء على الباغي عيوف عن الخنا	سريع إلى الداعي.. كريم بلا منّ
وكنت إذا حدّثت حدّث شاعر	لبيب دقيق الفهم والذوق والفنّ
فما استشعر المصغي إليك ملالة	ولا قلت إلاّ قال من طربٍ: زدني
برغمك فارقت الربوع.. وإننا	على الرغم منّا سوف نلحق بالظعن
طريق مشى فيها الملايين قبلنا	من الملك السامي إلى عبده القنّ
نظنّ لنا الدنيا وما في رحابها	وليست لنا إلاّ كما البحر للسفن
تروح وتغدو – حرّة – في عبابه	كما يتهادى ساكن السجن في السجن
وزَنْت بسرّ الموت فلسفة الورى	فشالت وكانت جعجعات بلا طحن
فأصدق أهل الأرض معرفة به	كأكثرهم جهلا.. يرجّم بالظّنّ
فذا مثل هذا.. حائر اللبّ عنده	وذاك كهذا.. ليس منه على أمن
فيا لك سفرًا لم يزل جدّ غامض	على كثرة التفصيل في الشّرح والمتن
ضريحك مهما يستسرّ بلذة	أقمت بها تبني المحامد ما تبني
أحَبّ من الأبراج طالت قبابها	وأجمل في عينيّ من أجمل المدن
على ذلك القبر السلام فذكره	أريجٌ به نفسي عن العطر تستغني

أبي

صلاح عبد الصبور

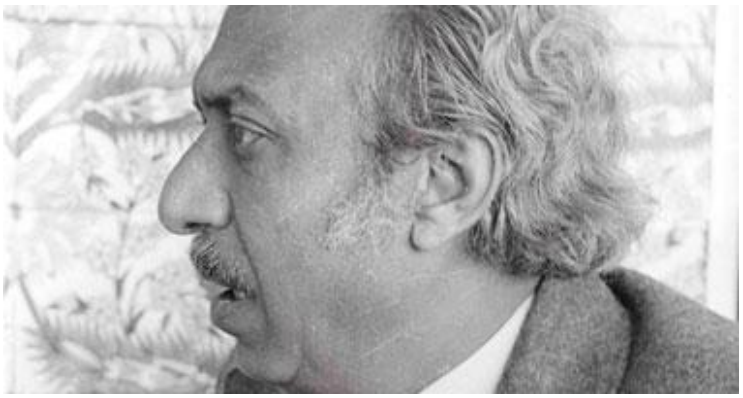

وأتى نَعِيُّ أبي هذا الصباحْ
نام في الميدان مشجوجَ الجبينْ
حولَهُ الذؤبان تعوي والرياحُ
ورفاقٌ قبَّلوة خاشعينْ
وبأقدام تجرّ الأحذية
وتدق الأرض في وقعٍ مُنَفَّر

طرقوا الباب علينا
وأتى نعيُ أبي
كان فجرًا موغلًا في وحشته
مطرٌ يهمى، وبردٌ، وضبابْ
ورعودٌ قاصفةْ
قطةٌ تصرخُ من هولِ المطر
وكلابٌ تَتَعاوى
مطر يهمى، وبردٌ، وضباب
وأتينا بوعاءٍ حجري
وملأناهُ ترابًا وخشبْ
وجلسنا نأكلُ الخبزَ المُقَدَّدْ
وضحكنا لفُكاهَة
قالها جدي العجوزْ
وتسلَّل
من ضياءِ الشمسِ موعد

فتفاءلْنَا، وحَيَيْنَا الصباح

وبأقدامٍ تَجُرْ الأحذية

وتدقُّ الأرض في وَقع مُنَفَّر

طرقوا الباب علينا

وأتى نعيُ أبي

حين ودعت أبي

من زمان

كان دَمعْي غائرًا في مُقلَتي

وشفاهي تنطقُ الحرفَ الصغيرْ

يا أبي!

مرة يخنُقُهُ الدمعُ، ويأبَى أن يذوبْ

في فراغِ العدمِ

ثم جمعتُ حياتي

وهي بعضٌ من أبي

ما الذي يقصيك عني؟

ما الذي يدعوك للبحر الكبيرْ؟

ما الذي يدعوك للدرب المضلَّل؟

لم تجفو مضْجَعَكْ؟

لم يبدو الموتُ في منزلنا

قدرًا لا يخطئُ

وأبي يثني ذراعَهْ

كهرقل

ثم يعلو بي إلى جبهته

ويناغي تارة رأسِي وطورًا منكبي

ويصرّ البابُ في صوتٍ كئيبْ

ومضى عني، وراحتْ خطوته

في السكونْ...

ونرى طَلعتْهُ بينَ الضباب

وأرى الموتَ، فأعوي

يا أبي !

وأتى نعيُ أبي هذا الصباح

نام في الميدان مشجوج الجبين

جُنَّتْ الريحُ على نافذتي

في مسائي، فتذكرت أبي

وشَكَتْ أُمَّيَ من علَّتها

ذاتَ فجرٍ، فتذكرت أبي

عقَرَ الكلبُ أخي...

وهو في الحقل يقُودُ الماشية

فبكينا

حين نادى: يا أبي!

إننا الأغرابُ في القفر الكبير

إننا ضِقْنَا وضاقَتْ روحنا

القطيع..

غاب راعيه، وطَالتْ رِحْلَتهُ

وهو في بيداءَ لا ظلَّ بها

يا لأقدامٍ تجُرُّ الأحْذِيَة

وتدقُّ الأرضَ في وقعٍ منفَّر

يا لأقدامٍ تذيعُ النَبَأَ

نَبأ المصروعِ في صخرِ الجبل

إنه مات!

إنه مات وجَفَّتْ رِحْلَتهُ

إنه مات وواراهُ الثرى

حيثُ مات

حين غابَ لهِيبُ المِدفأة

كلُّ شيءٍ كانَ يحكي النَبَأ

قطةٌ تصرخُ من هولِ المطر

وكلابٌ تتعاوى.. ورعودْ

كان فجرًا موغلًا في وَحْشَتهْ

وأتي نعي أبي

نام في الميدان مشجوج الجبين..

ما مات من ذكره منطبع!

الشاعر ماجد مهنا عليان رحمه الله

شاعر فلسطيني – من شفا عمرو – له عدد من الأعمال الشعرية منها: أحلى الكلام في الحب، والغرام/ ورد وعبير/ نفحة من الصدر/ تأملات في حقيقة الذات/ حوار مع الأنا الآخر..

كان ذا نشاط شعري وفني بارز، وشارك في تحرير مجلة مواقف، كما شارك في معظم الأمسيات الأدبية في منطقته، حتى باغته الموت عن 43 سنة. رحمه الله ورحم أباه:

ما كان يضحكني قد بات يبكيني	ضدّان.. أصلهما من سرّ تكويني
أبكي وأَضحكُ؛ لا حزنًا ولا فرحًا	لكنَّ سرَّهما سِيَّانِ في ديني
البعضُ يضحكُ مسرورًا بعيشتهِ	والبؤس يرصده صَيْدًا لِمسكينِ
والبعضُ يبكي وما في عيشهِ حَزَنٌ	فالفَرْحُ مصدرُهُ المجبولُ كالطينِ
ما فاتَ من عُمُرٍ ضيعتَه أبدًا	فكيف تأملُ خيرًا عندَ مَدْفونِ؟
أمّا المؤمّلُ غيبٌ لستَ تدركُهُ	لو كنتَ جنًّا له علمُ الشّياطينِ
فعشْ حياتَكَ مقرونًا بساعتها	فالعمرُ ينقصُ بينَ الحينِ والحينِ
هيَ الحياةُ، شقاءٌ حَظِّ عاقلها	وليسَ يسعَدُ فيها غيرُ مجنونِ
فكفُّ ميزانها يرقى لخفتِهِ	والثقل يرسُبُ فيه خيرُ موزونِ
ما كنتُ أوقِنُ أنَّ الموتَ كارثةٌ	حتى تصيَّدَ مَنْ قد كانَ يعنيني

كالذئبِ أنشَبَ في قلبي مخالبَهُ	مخلفًا ندُبًا من طعنِ سِكينِ
قالوا: أبوكَ، فقلتُ: العينُ ترمُقُهُ	قدْ ماتَ، قلتُ: شغافَ القلبِ يُعطيني
وقلتُ: أعشَقُهُ، قالوا: ستفقدُهُ	هذا الكلامُ غباءٌ لا يعزيني
فهلْ يموتُ وفي قلبي محبتُهُ	تبقى ومن دَمِهِ تجري شراييني
وهلْ يموتُ وركْنُ البيتِ لمستُهُ	مطبوعَةٌ من عُيونِ الشَّرِّ تحميني
إنْ أبدعَ المطربُ الفنّانُ أسمعُهُ	وإنْ ترنَّمَ صدّاحُ البساتينِ
وهلْ يموتُ وفي أجوائنا عَبَقٌ	منه يفوحُ وعطرٌ كالرّياحينِ
وفي الصّباحِ أُحييهِ، فيغمُرُني	عطفًا، بأحسنِ ألفاظٍ يُحييني
ما دامَ في النّاس خيرٌ فهو مصدَرُهُ	فإنْ فقدتُهُ لا خيرٌ يُهنيني
ما ماتَ مَنْ ذكرُهُ في الناس مُنطبعٌ	تبقى محبتُهُ.. فالذكرُ يكفيني

رثاء أب

الدكتور عبد الرحمن العشماوي يرثي أباه

هزي جذوعك يا غصون اللوز في
وطني الحبيب
فلربما صار البعيد لنا قريب
ولربما غنت عصافير الصفاء
وغرد القمري.. وابتسم الكئيب
هزي غصونك
وانثري في الأرض لوزك يا جذوع
ودعي النسيم يثير أشجان الفروع
ودعي شموخك يا جذوع اللوز يهزأُ بالخضوع
هزي غصونك ربما سمع الزمان صدى الحفيف
ولربما وصل الفقير إلى رغيف
ولربما لثم الربيع فم الخريف
هزي غصونك.. ربما بعث الصفاء إلى مشاعرنا بريدَهْ
ولربما تتفيأ الكلمات في درب المنى ظل القصيدة
أنا يا جذوع اللوزِ أغنيةٌ على ثغر اليقين
أنا طفلة نظرت إلى الآفاق.. رافعة الجبين
أنا من رُبا المرزوق.. تعرفني ربوع بني كبير
أملي يغرد يا جذوع اللوز في قلبي الصغير
وأبي الحبيب يكادُ بي من فرط لهفته يطير
أنا يا جذوع اللوز من صنعت لها المأساة مركبةً صغيرة

أنا مَنْ قدحْتُ على مدى الأحلام ذاكرة البصيرة

لأرى خيال أبي.

وكان رعيتي..

وأنا الأميرة

كم كنت أمشط رأسهُ وأجر أطراف العمامةْ

وأريه من فرحي رُبًا خضرًا

ومن أملي غمامةْ

كم كنت أصنع من تجهمه– إذا غضب – ابتسامة

أنا يا جذوع اللوز بنت فقيد واجبه مساعد

أنا مَنْ تدانى الحزن من قلبي

وصبري عن حمى قلبي.. تباعدْ

أنا طفلة تُدعى عهود

أنا صرخةٌ للجرح

تلطم وجه من خان العهودْ

أنا بسمةٌ في ثغر هذا الكونِ.. خالطها الألمْ

صوتي يردد في شمم:

عفوًا أبي الغالي، إذا أسرجت خيل الذكرياتْ

فهي التي تُدني إلى الأحياء

صورة من نأى عنهم

وماتْ

عفوًا إذا بلغت بي الكلماتُ حدَّ اليأس

واحترق الأملْ

فأنا أرى في وجه أحلامي خجلْ

وأنا أرددُ في وجلْ

يا ويل عُباد الإمامة والإمامْ

أوَ ما يصونون الذِّمامْ

كم روعوا من طفلةٍ مثلي

وكم قتلوا غلامْ

ولكم جنوا باسم السلامِ على قوانين السلامْ

يا ويل عُبَّاد القبورْ

هُمْ في فؤاد الأمة الغراء آلامٌ

وفي وجه الكرامة كالبثور

هُمْ – يا أبي الغالي – قذىً في عين أمتنا

وضيقٌ في الصدور

يا ويل أرباب الفتنْ

كم أوقدوا نارًا وكم نسجوا كفنْ

كم أنبتوا شوكًا على طرقات أمتنا.. وكم قطعوا فَنَنْ

كنا نظن بأنهم يدعون للإسلام حقًّا يا أبي

فإذا بهم يدعون للبغضاءِ فينا والإِحنْ

عفوًا أبي الغالي

أراك تُشيح عني ناظريكْ

وأنا التي نثرتْ خُطاها في دروب الشوق

ساعيةً إليك

ألبستنا ثوب الوقارْ

ورفعتَ فوق رؤوسنا تاج افتخارْ

إني لأطرب حين أسمع من يقول:

هذا شهيد أمانتهْ

بذل الحياة صيانةً لكرامته

أواهُ لو أبصرتَ زهوَ الدَّمع في أجفان غامدْ

ورأيت – يا أبتاه – كيف يكون إحساسُ الأماجدْ

أواه لو أبصرت ما فعل الأسى ببني كبير

كل القلوب بكتْ عليك

وأنت يا أبتي جدير

أنا يا أبي الغالي عهود

أنسيتَ يا أبتي عهود!؟

أنا طفلةٌ عزفتْ على أوتار بسمتها ترانيم الفرح

رسمتْ جدائلُها لعين الشمس خارطة المرَحْ

كم ليلةٍ أسرجتَ لي فيها قناديل ابتسامتك الحبيبةْ

فصفا فؤادي وانشرحْ

أختايَ يا أبتي وأمي الغاليهْ

يسألنَ عنك رحاب قريتنا

وصوت الساقية

أرحلت يا أبتي الحبيب؟؟

كلُّ النجوم تسابقت نحوي

تزفُّ لي العزاءْ

والبدر مدَّ إليَّ كفًّا من ضياءْ

والليل هزَّ ثيابه

فانهلَّ من أطرافها حزنُ المساء

تتساءل المرزوق يا أبتي الحبيب

ما بال عينِ الشمس ترمقنا

بأجفان الغروبْ

وإلى متى تمتدُّ رحلتك الطويلةُ يا أبي

ومتى تؤوب؟

وإلى متى تجتثُّ فرحتنا أعاصير الخطوب

هذا لسان الطَّلِّ يُنشِدُ للربا لحن البكاءْ

هذي سواقي الماء في وديان قريتنا

على جنباتها انتحر الغُثاءْ

هذا المساءْ

يُفضي إلى آفاق قريتنا بأسرار الشَّقاء

يتساءل الرمان يا أبتي ودالية العنب

والخوخ والتفاح يسألُ.. والرطبْ

وزهور وادينا تشارك في السؤالْ

ويضجُّ وادينا بأسئلةٍ تنمُّ عن انفعالْ

ماذا أصاب حبيبنا الغالي مساعد.. كيف غابْ؟

ومتى تحركت الذئابْ؟

ومتى اختفى صوتُ البلابلِ

وانتشى صوتُ الغراب؟

يا ويح قلبي من سؤالٍ لا أطيق له جوابْ

ما زلتُ – يا أبتي – أصارع حسرتي

وأسد ساقية الدموعْ

أهوى رجوعك يا أبي الغالي

ولكنْ.. لا رجوعْ

إن مُتَّ يا أبتي وفارقت الوجودْ

فالموتُ فاتحة الخلودْ

ما مُتَّ في درب الخيانة والخنا

بل مت صونًا للعهود

يا حزنُ لا تثبتْ على قدمٍ

ولا تهجر فؤادْ

فأنا أراك لفرحتي الكبرى امتدادْ

إن ماتَ – يا حزني – أبي

فالله حيٌّ لا يموتْ!

قمر جنوبي

للشاعر أحمد بخيت

إنسان مبدع وجميل من إنتاج الصعيد.. ولد في أسيوط، يوم 26 فبراير 1966. عاش طفولته وتلقّى تعليمه في القاهرة. وتخرّج من دار العلوم عام 1989. وعمل معيدًا بقسم النقد والبلاغة والأدب المقارَن بكلّية الدراسات العربية والإسلامية جامعة القاهرة – فرع الفيوم – منذ عام 1990. ثم ترك العمل الأكاديمي ليتفرغ للكتابة. حصل على جوائز عديدة، منها: الجائزة الأولى في الشعر المجلس الأعلى للثقافة أعوام 87-88-1989 م./ وجائزة أمير الشعراء أحمد شوقي عام 1998م. وجائزة (المبدعون) لأفضل قصائد عربية – الإمارت – 2000م. وجائزة المنتدى العربي الأفريقي – أصيلة – المغرب – 2000م. وجائزة الدولة التشجيعية في الشعر – مصر – 2000. وجائزة (المبدعون) لأفضل دواوين عربية – الإمارت – 2002م. وجائزة البابطين للإبداع الشعري– الكويت – عام 2002م وجائزة الشارقة للإبداع في أدب الاطفال 2005. وجائزة البردة الشريفة – أبوظبي 2005، وجائزة شاعر مكة– 2005، والمركز الثالث في مسابقة (أمير الشعراء) للعام 2008م.

ومن أعماله الشعرية: وداعًا أيتها الصحراء/ ليلى.. شهد العزلة/ صمت الكليم/ جزيرة مسك / وطن بحجم عيوننا/ الأخير أولا/ صغير كبير – شعر للأطفال/ كبير صغير/ عيون العالم/ ظل ونور/ بردة الرسول صلى الله عليه وسلم/ وغيرها. يقول:

هون عليك.. فلا هناك ولا هنا	وجهًا لوجهٍ قل لموتك: ها أنا
ضع عنك عبئك والق خصمك باسما	فعلى جسارته.. يُهاب لقاؤنا
إن لم يكن في العمر إلا ساعة	علِّم حياتك كيف نكرم موتنا
لا تنتظر خصمًا أقل شجاعة	وارفع جبينك.. مثلما عودتنا
تتبرج الدنيا.. ونكسر كبرها	ونقول: يا حمقاء غري غيرنا
لا نستجير من الجراح.. وإنما	من فرط نخوتنا نجير جراحنا
لم يرتفع جبل أمام عيوننا	إلا لنرفع فوقه أكتافنا
إنا وقد نهب الظلام نجومنا	نهدي الصباح لمن سيأتي بعدنا
في زفرة الفرس الأخيرة قبلما	يأتي اعتذار الموت عن موت المنى
سنقول للرحمن.. جل جلاله	فلتعطنا موتًا.. يليق بمثلنا
يا طائر الغربان عشك موحش	فاهدأ.. لعلك يا غريب.. لعلنا
سيقول طفل ما لدمعة أمه	ساعي البريد غدًا سيطرق بابنا
سأنام كي يأتي الصباح مبكرًا	وسنشتري لعبًا.. ونخبز كعكنا
نم يا ضناي.. الطفل أصبح شاعرًا	وأبًا.. وظل الحلم غضًّا لينًا
عشرون عامًا في انتظار الملتقى	ثم التقينا.. كي نتم وداعنا
هون عليك.. وأعط موتك فرصة	واشكره أن وهب اغترابك موطنا
يا نائيا عني بمتر واحد	الآن وسّعت المسافة بيننا
نلتف حولك.. نحن حولك يا أبى	فابسط عباءات الحنان.. وضمنا
قل مرحبًا.. قل أي شيء طيب	لا تترك الكابوس يفسد حلمنا
كنا نرى الآباء حول صغارهم	نشتاق أن تأتي وأن تحكي لنا
ياما انتظرتك وانتظرتك يا أبي	الآن بادلني الحديث.. مكفنا
زرنا.. ولو في كل عام مرة	واجلس قليلًا.. كي تدبر حالنا

جئ ضاحكًا أو ساخرًا أو غاضبًا	دلل طفولتنا.. وعاتب طيشنا
سمَرٌ شتائيٌّ.. وشايٌ ساخن	وسعالك الحنان يؤنس بيتنا
أخشى من النسيان قد يأتي غد	وتصير وحدك في الغياب ووحدنا
إنا قصائدك الجميلة يا أبي	الله أبدعنا.. وأنت رويتنا
نثر هي الأيام.. نثر باهت	وتصير شعرًا كلما اتقدت بنا
يبقى معي منك الحياةُ قصيدةً	والموت شعرًا.. والخلود مؤذنا
أتأمل الحداد في ستينه	قمرًا جنوبيًّا.. يرنق حولنا
ويقول: يا ولدي تعبت فخذ يدي	ثقل الحديد علي.. والظهر انحنى
أنصت لصوتي فيك صدقًا جارحًا	فالموت يعجز أن يبدل صوتنا
لا تحمل اسمى فوق صدرك صخرة	أسماؤنا وطن يعمره السنا
كن ما أحبك..كم أحبك فارسًا	لا ينحني فقرًا.. ولا يطغى غنى
لا يشبه الشعراء يشبه شعره	إن البناء الفذ يشبه من بنى
لا دمع يبقى.. كل دمع زائل	إلا الذي بالحب يغسل صدرنا
دمع المناحة دائمًا متأخر	في نطفة الميلاد نحمل حتفنا

وقال المعري في ديوانه (سقط الزند) يرثي أباه:	
مضى طاهر الجثمان والنفس والكرى	وسهد المنى والجيب والذيل والردنِ
فهل أنت إن ناديت رمسَك سامعٌ	نداء ابنك المفجوع بل عبدك القنِّ
وأحمل فيك الحزن حيًّا.. فإن أمت	وألقك لم أسلك طريقا إلى الحزن
وبعدك لا يهوى الفؤاد مسرة	وإن خان في وصل السرور فلا يُهني

وفي المذاكرة في ألقاب الشعراء للنشابي الإربلي قال الشاعر أبو عبد الله محمد بن أبي عتاهية يرثي أباه:	
أيا دهرُ كم لكَ من بائقةْ	وكمْ لك من نكبةٍ طارقةْ
كمْ لكَ من غمزةٍ في القلو	بِ.. وكمْ لكَ من دمعةٍ دافقة
إذا درجَ القرنُ في وقتهِ	فإنَّ القرونَ به لاحقة
عوالقُ دنياكَ مسمومةٌ	توقَّ.. فقد تقتلُ العالقة
أيا كبدًا ما لها سكنةٌ	فتسكن أحشاؤهُ الخافقةْ
كأنَّ وسادي على جمرةٍ	به، في توقِّدها، لاصقة
أبي يا صريعَ ثرى حفرةٍ	نُعيتَ بألسنةٍ ناطقة
وقد كنتَ تنعى برجمِ الغيو	بِ، فقد جاءتِ النعيةُ الصادقة

وعن عقوق الولد قال الشاعر في ابنه المسيء:	
غذوتك مولودًا وعلتك يافعًا	تُعل بما أُدني إليك.. وتنهل
إذا ليلة نابتك بالشكو لم أبت	لشكواك إلا ساهرًا.. أتململ
كأني أنا المطروق دونك بالذي	طرقت به.. وعيني تهمل
فلما بلغت السن والغاية التي	إليها مدى ما كنت فيك أؤمل
جعلت جزائي منك جبهًا وغلظة	كأنك أنت المنعم المتفضل
فليتك إذ لم ترع حق أبوتي	فعلت كما الجار المجاور يفعل
فأوليتني حق الجوار.. ولم تكن	عليّ بمال دون مالك تبخل
وَسَمَّيتَنِي بِاسمِ المُفَنِّدِ رَأْيُهُ	وَفِي رَأْيِكَ التَّفْنِيدُ لَوْ كُنْتَ تَعْقِلُ

و قال شاعر آخر في ابنه المسيء:	
فَيَا عَجَبًا لمن رَبَّيْتُ طِفْلًا	أُلَقَّمُهُ بأطْرَافِ الْبَنَانِ
أعلِّمهُ الرِّمايَةَ كُلَّ يوَمٍ	فَلَمَّا اسْتَدَّ ساعِدُهُ رَمَاني
وَكَمْ عَلَّمْتُهُ نَظْمَ الْقَوَافي	فَلَمَّا قَال قَافِيَةً هَجَاني
أعلِّمهُ الْفُتُوَّةَ كُلَّ وَقْتٍ	فَلَمَّا طَرَّ شارِبُهُ جَفَاني

الفصل الثامن: الأب في قصص الأدب العربي

الفصل الثامن: الأب في قصص العرب

أسوق هذه القصص للترقيق والاعتبار؛ مع ردها لمراجعها، والعهدة على رواتها لا عليّ:

حكاية كلاب بن الأسكر وإحساس الأب:

جاء في أخبار مكة للفاكهي، والإصابة لابن حجر، ومعجم البلدان لياقوت الحموي، عن أب يشم ريح ابنه على البعد، ويحس بوجوده، كحال سيدنا يعقوب عليه السلام، قالوا:

لما وجه عمر بن الخطاب، رضي الله عنه، الجيش إلى اليرموك، قام إليه أمية بن الأسكر الكناني فقال: يا أمير المؤمنين هذا اليوم من أيامي؛ لولا كبر سني. فقام إليه ابنه كلاب، وكان عابدًا زاهدًا، فقال: لكني يا أمير المؤمنين أبيع الله نفسي، وأبيع دنياي بآخرتي.

فتعلق به أبوه وكان في ظل نخل له وقال: لا تدع أباك وأمك شيخين ضعيفين، ربياك صغيرًا حتى إذا احتاجا إليك تركتهما!

فقال: نعم أتركهما لما هو خير لي.

فخرج غازيًا بعد أن أرضى أباه، فأبطأ وكان أبوه في ظل نخل له، وإذا حمامة تدعو فرخها، فرآها الشيخ فبكى، فرأته العجوز فبكت، وأنشأ يقول:

لمن شيخان قد نشدا كلابا	كتاب الله إن ذكر الكتابا
تركت أباك مرعشةً يداه	وأمك ما تسيغ لها شرابا
طويلًا شوقه يبكيك فردًا	على حزن ولا يرجو الإيابا
فإن أباك حين تركت شيخ	يطارد أينقًا شزبًا جذابا
إذا رتعن إرقالا سراعًا	أثرن بكل رابية ترابا

إذا غنت حمامة بطن وجٍّ	على بيضاتها ذكرت كلابا
أتاه مهاجران.. فرغّباه	عباد الله قد عقا وخابا
أناديه.. ويعرض لي حنين	فلا وأبي كلاب ما أصابا
وإنك والتماس الأجر بعدي	كباغي الماء يتَّبع السرابا
أبرًّا.. بعد ضيعة والديه	فلا وأبي كلاب ما أصابا

فبلغت هذه الأبيات عمر بن الخطاب، رضي الله عنه، فأرسل إلى كلاب فوافاه فقال: إنه بلغني أن أباك وجد لفراقك وجدًا شديدًا؛ فبماذا كنت تبره؟ قال:

قال: كنت أوثره، وأكفيه أمره. وكنت أعتمد إذا أردت أن أحلب له لبنًا إلى أغزر ناقة في إبله، فأسمنها، وأريحها، وأتركها حتى تستقر، ثم أغسل أخلافها حتى تبرد، ثم أحتلب له، فأسقيه، فبعث عمر إلى أبيه، فجاءه، فدخل عليه وهو يتهادى، وقد انحنى، فقال: له كيف أنت يا أبا كلاب؟ فقال: كما ترى يا أمير المؤمنين فقال: هل لك من حاجة قال: نعم كنت أشتهي أن أرى كلابًا فأشمه شمة، وأضمه ضمة قبل أن أموت، فبكى عمر وقال: ستبلغ في هذا ما تحب إن شاء الله تعالى.

ثم أمر كلابًا أن يحتلب لأبيه ناقة كما كان يفعل، ويبعث بلبنها إليه، ففعل. وناوله عمر الإناء، وقال: اشرب هذا يا أبا كلاب، فأخذه فلما أدناه من فمه قال:

والله يا أمير المؤمنين إني لأشم رائحة يدي كلاب. فبكى عمر رضي الله عنه وقال: هذا كلاب عندك حاضر، وقد جئناك به، فوثب إلى ابنه، وضمه إليه، وقبله، وبكى بكاء شديدًا، فجعل عمر والحاضرون يبكون، وقالوا لكلاب: الزم أبويك. فلم يزل مقيمًا عندهما إلى أن مات! فأرسل عمر، رحمه الله، إلى الناقة فجيء بها من حيث لا يعلم الشيخ فقال له: احلبها. فقام إليها وغسل ضرعها ثم حلبها في إناء. فأرسل عمر رحمه الله، بالإناء إلى أبيه فلما أتي به بكى ثم قال: إني أجد في هذا اللبن ريح كلاب.

فقال له نسوة كن عنده: قد كبرت وخرفت وذهب عقلك، كلاب بظهر الكوفة، وأنت تزعم أنك تجد ريحه! فأنشأ يقول:

أعاذل قد عذلت بغير علمٍ	ولا تدرين عاذل ما ألاقي
فإما كنت عاذلتي فردي	كلابًا.. إذ توجه للعراق
فتى الفتيان في عسرٍ ويسر	شديد الركن في يوم التلاقي
فلا وأبيك ما باليت وجدي	ولا شغفي عليك ولا اشتياقي
وإيقادي عليك إذا شتونا	وضمك تحت نحري واعتناقي
فلو فلق الفؤادَ شديدُ وجد	لهمَّ سواد قلبي بانفلاق
سأستعدي على الفاروق ربًّا	له عمد الحجيج على اتساق
وأدعو الله – محتسبًا – عليه	ببطن الأخشبين إلى دفاق
إنِ الفاروق لم يردد كلابًا	إلى شيخين ما لهما تواقي

فقال له عمر: اذهب إلى أبيك فقد وضعنا عنك الغزو، وأجرينا ك العطاء. قال: وتغنت الركبان بشعر أبيه. فبلغه فأنشأ يقول:

لعمرك ما تركت أبا كلاب	كبير السن مكتئبًا مصابا
وأمًّا لا يزال لها حنين	تنادي بعد رقدتها كلابا
لكسب المال أو طلب المعالي	ولكني رجوت به الثوابا

وكان كلاب من خيار المسلمين، وقتل مع علي بن أبي طالب رضي الله عنه بصفين، وعاش أبوه أمية دهرًا طويلًا حتى خرف..

أبر من وحرة:

ورد في كتاب مكارم الأخلاق لابن أبي الدنيا: قدم على رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وفد من الأشعريين، فقال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم: (أمنكم كانت وحرة)؟ قالوا: نعم يا رسول الله.

قال: (فإن الله عز وجل أدخلها الجنة ببرها لوالدتها، ووالدتها مشركة. أُغير على حيها، وتركوها وأمها، فحملتها تشتد بها في الرمضاء، فإذا احترقت قدماها أجلستها في حجرها، وبسطت رجليها، وجعلت رجلي أمها على رجليها، ثم حنت عليها تظلها من الشمس، فإذا راحت حملتها. فلم تزل كذلك حتى نجتها، فأدخلها الله تبارك وتعالى بذلك الجنة) قال ابن جابر: ولقد أدركت وإنه ليقال: لو كنت أبر من وحرة. وفي ذلك قال رجل من الأشعريين في الجاهلية:

ألا أبلغن أيها المغتدي	بنى جميعًا.. وبلغ بناتي
بأن وصاتي بتقوى الإله	فاحفظوا ما بقيتم وصاتي
وكونوا كوحرة في برها	تنالوا الكرامة بعد الممات
وقت أمها بشواها الرميض	وقد ألهب القيظ نار الفلاة
فظلت مطيتها في الرمال	حافيةً.. من حذار العداة
لترضي ربًّا شديد القوى	وتظفر من ناره بالنجاة
فهذي وصاتي فكونوا لها	طوال الحياة رعاة الرعاة

أبو مُنازل

قال الأصمعي: أخبرني بعض العرب أن رجلًا في زمن عبد الملك بن مروان، كان له أب كبير، وكان الشاب عاقًّا بأبيه، وكان يقال للشاب منازل، فقال الأب الشيخ الكبير:

جزت رحم بيني وبين منازل	جزاء كما يستنجز الدين طالبه
تربت حتى صار جعدا شمردلا	إذا قام ساوى غارب الفحل غاربه
تظلمني مالي كذا ولوى يدي	لوى يده الله الذي لا يغالبه
وإني لداع دعوة لو دعوتها	على جبل الريان لانهد جانبه

فبلغ ذلك أميرًا كان عليهم، فأرسل إلى الفتى ليأخذه، فقال له أبوه الشيخ: اخرج من خلف البيت، فسبق رسل الأمير.

ثم ابتلي الفتى بابن عقه في آخر حياته، واسم الولد خليج فقال منازل فيه:

تظلّمني مالي خليج وعقني	على حين كانت كالحني عظامي
تخيرته وازددته.. ليزيدني	وما بعض ما يزداد غير عرام
لعمري لقد ربيته فرحًا به	فلا يفرحن بعدي امرؤ بغلام

فأراد الوالي ضرب الابن، فقال للوالي: لا تعجل هذا أبي منازل بن فرعان الذي يقول فيه أبوه:

جزت رحم بيني وبين منازل جزاء كما يستنجز الدين طالبه

فقال الوالي: يا هذا عققت وعققت.

الأصمعي بين أبر الناس وأعقهم:

قال الأصمعي: حدثني رجل من الأعراب، قال: خرجت من الحيِّ، أطلب أعقَّ الناس، وأبرَّ الناس؛ فكنتُ أطوف بالأحياء، حتى انتهيتُ إلى شيخ، في عنقه حبل يستقي بدلو، لا تطيقه الإبل في الهاجرة، والحرُّ شديد، وخَلْفَهُ شاب في يده رشاء من قِدٍّ ملويٍّ، يضربه به، قد شقَّ ظهره بذلك الحبل!

فقلت: أما تتقي الله في هذا الشيخ الضعيف؟ أما يكفيه ما هو فيه، من هذا الحبل حتى تضربه؟ قال: إنه – مع هذا – أبي!

قلت: فلا جزاك الله خيرًا!

قال: اسكت، فهكذا كان هو يصنع بأبيه، وهكذا كان يصنع أبوه بجده!

فقلت: هذا أعقُّ الناس.

ثم جلت أيضًا، حتى انتهيت إلى شاب في عنقه زبيل، فيه شيخ كأنه فرخ! فكان يضعه بين يديه في كل ساعة، فيزقه كما يزق الفرخ! فقلت: ما هذا ؟ قال:

أبى وقد خرف، وأنا أكفله! فقلت: هذا أبر الناس!

لقاء بين الجد الرومي النصراني والحفيد العربي المسلم

قصة أب بر، لم ينس ابنته؛ على البعد!

روى ابن دريد عن أبي حاتم، عن أبي معمر، عن رجل من أهل الكوفة، قال: كنا مع مسلمة بن عبد الملك، ببلاد الروم، فسبى سبايا كثيرة، وأقام ببعض المنازل، فعرض السبي على السيف، فقتل خلقًا، حتى عرض عليه شيخ كبير ضعيف، فأمر بقتله.

فقال له: ما حاجتك إلى قتل شيخ مثلي؟ إن تركتني حيًا، جئتك بأسيرين من المسلمين شابين.

قال له: ومن لي بذلك؟ قال: إني إذا وعدت وفيت.

قال: لست أثق بك.

فقال له: دعني حتى أطوف في عسكرك، لعلي أعرف من يتكفل بي إلى أن أمضي، وأعود أجيء بالأسيرين.

فوكل به من يطوف به، وأمره بالاحتفاظ به، فما زال الشيخ يطوف، ويتصفح الوجوه، حتى مر بفتى من بني كلاب، قائمًا يحس فرسه.

فقال له: يا فتى، اضمنّي للأمير، وقص عليه قصته.

فقال: أفعل، وجاء الفتى إلى مسلمة، فضمنه، فأطلقه مسلمة.

فلما مضى، قال للفتى: أتعرفه؟ قال: لا، والله.

قال: فلم ضمنته؟

قال: رأيته يتصفح الوجوه، فاختارني من بينهم، فكرهت أن أخلف ظنه فيّ.

فلما كان من الغد، عاد الشيخ، ومعه أسيران شابان من المسلمين، فسلمهما إلى مسلمة، وقال: إن رأى الأمير أن يأذن لهذا الفتى أن يصير معي إلى حصني لأكافئه على فعله.

فقال مسلمة للفتى الكلابي: إن شئت فامض معه.

فلما صار إلى حصنه، قال له: يا فتى، تعلم والله أنك ابني!؟

قال له: وكيف أكون ابنك، وأنا رجل من العرب مسلم، وأنت رجل من الروم نصراني.

فقال له: أخبرني عن أمك، ما هي؟ قال: رومية.

قال: فإني أصفها لك، فبالله إن صدقت، إلا صدقتني.

قال: أفعل.

فأقبل الرومي، يصف أم الفتى، ما خرم من صفتها شيئًا.

فقال له الفتى: هي كذلك، فكيف عرفت أني ابنها؟

قال: بالشبه، وتعارف الأرواح، وصدق الفراسة!

ثم أخرج إليه امرأة، فلما رآها الفتى لم يشك فيها أنها أمه، لتقارب الشبه، وخرجت معها عجوز كأنها هي، فأقبلتا تقبلان رأس الفتى، ويديه، وتترشفانه.

فقال له: هذه جدتك، وهذه خالتك.

ثم اطلع من حصنه، فدعا بشباب في الصحراء، فأقبلوا، فكلمهم بالرومية، فأقبلوا يقبلون رأس الفتى ويديه، فقال: هؤلاء أخوالك، وبنو خالاتك، وبنو عم والدتك!

ثم أخرج إليه حليًّا كثيرًا، وثيابًا فاخرةً، وقال: هذا لوالدتك منذ سبيت، فخذه معك، وادفعه إليها، فإنها ستعرفه، ثم أعطاه لنفسه مالًا كثيرًا، وثيابًا، وحليًّا، وحمله على عدة دواب، وألحقه بعسكر مسلمة، وانصرف.

وأقبل الفتى قافلًا حتى دخل إلى منزله، فأقبل يخرج الشيء بعد الشيء؛ مما عرفه الشيخ أنه لأمه، وتراه أمه، فتبكي، فيقول لها: قد وهبته لك.

فلما كثر عليها، قالت له: يا بني، أسألك بالله، من أي بلد صارت إليكم هذه الثياب، وهل تصف لي أهل هذا الحصن الذي كان فيه هذا؟

فوصف لها الفتى صفة البلد والحصن، ووصف لها أمها وأختها، والرجال الذين رآهم، وهي تبكي وتقلق.

فقال لها: ما يبكيك؟ فقالت: الشيخ والله والدي، والعجوز أمي، وتلك أختي.

فقص عليها الخبر، وأخرج بقية ما كان أنفذه معه أبوها إليها، فدفعه إليها.

أنا أبوك!

يعود لابنه بعد يأس منه ثمانيًا وعشرين سنة:

قال التنوخي في الفرج بعد الشدة: سمعت شيوخنا بالصراة، وأهلنا، يتحدثون: أن عمرو بن مسعدة، كان مصعدًا من واسط إلى بغداد، في حر شديد، وهو جالس في زلال، فناداه رجل: يا صاحب الزلال: بنعمة الله عليك إلا نظرت إلي.

قال: فكشف سجف الزلال، فإذا بشيخ ضعيف حاسر الرأس، فقال له:

قد ترى ما أنا عليه، ولست أجد من يحملني، فابتغ الأجر في، وتقدم إلى ملاحيك يطرحوني بين مجاديفهم، إلى أن أصل بلدًا يطرحونني فيه.

قال عمرو بن مسعدة: فرحمته، وقلت خذوه، فأخذوه، فغشي عليه، وكاد يموت لما لحقه من المشي في الشمس.

فلما أفاق، قلت له: يا شيخ، ما حالك، وما قصتك؟

فقال: قصة طويلة. فسكّنته وطرحت عليه قميصًا ومنديلًا، وأمرت له بدراهم وشمشك، فشكرني. فقلت: لا بد أن تحدثني بحديثك.

فقال: أنا رجل كانت لله عز وجل علي نعمة جليلة، وكنت صيرفيًا، فابتعت جارية بخمسمائة دينار، فعشقتها عشقًا عظيمًا، وكنت لا أقدر أن أفارقها ساعة واحدة، فإذا خرجت إلى الدكان، أخذني كالجنون والهيمان، حتى أعود فأجلس معها يومي كله.

فدام ذلك حتى تعطل دكاني، وتعطل كسبي، وأقبلت أنفق من رأس المال، حتى لم يبق منه قليل ولا كثير، وأنا مع ذلك لا أطيق أن أفارقها.

فحبلت الجارية، وأقبلت أنقض داري، وأبيع نقضها، حتى فرغت من ذلك، فلم تبق لي حيلة.

فضربها الطلق، فقالت: يا هذا، هوذا أموت، فاحتل فيما تبتاع به عسلًا، ودقيقًا، وشيرجًا، ولحمًا، وإلا مت.

فبكيت، وحزنت، وخرجت على وجهي، وجئت لأغرق نفسي في دجلة، فذكرت حلاوة النفس، وخوف العقاب في الآخرة، فامتنعت.

ثم خرجت هائمًا على وجهي إلى النهروان، وما زلت أمشي من قرية إلى قرية، حتى بلغت خراسان، فصادفت بها من عرفني، وتصرفت في ضياعه، ورزقني الله عز وجل مالًا عظيمًا، فأثريت، واتسعت حالي، ومكثت سنين، لا أعرف خبر منزلي، فلم أشك أن الجارية قد ماتت.

وتراخت السنون حتى حصل لي ما قيمته عشرون ألف دينار. فقلت: قد صارت لي نعمة، فلو رجعت إلى وطني.

فابتعت بالمال كله، متاعًا من خراسان، وأقبلت أريد العراق، من طريق فارس والأهواز.

فلما حصلت بينهما، خرج على القافلة لصوص، فأخذوا جميع ما فيها، ونجوت بثيابي، وعدت فقيرًا.

ودخلت الأهواز، فبقيت بها متحيرًا، حتى كشفت خبري لبعض أهلها ممن أعرفه، فأعطاني ما تحملت به إلى واسط.

ونفدت نفقتي، فمشيت إلى هذا الموضع، حتى كدت أتلف، فاستغثت بك، ولي منذ فارقت بغداد، ثمان وعشرون سنة!

فعجبت من ذلك، وقلت له: اذهب، فاعرف خبر أهلك، وصر إلي، فإني أتقدم بتصريفك فيما يصلح لمثلك! فشكر، ودعا، ودخلنا بغداد.

ومضت على ذلك مدة طويلة، أنسيته فيها، فبينا أنا يومًا، قد ركبت، أريد دار المأمون، وإذا بالشيخ على بابي، راكبًا بغلًا فارهًا، بمركب محلًّى ثقيل، وغلام أسود بين يديه، وثياب حسنة، فلما رأيته رحبت به، وقلت: ما الخبر؟

فقال: طويل، وها أنا آتي إليك في غد، وأحدثك بالخبر.

فلما كان من الغد، جاءني، فقلت له: عرفني خبرك، فقد سررت بسلامتك، وبظاهر حالك.

فقال: إني صعدت من زلالك، فقصدت داري، فوجدت حائطها الذي يلي الطريق كما خلفته، غير أن باب الدار كان مجلوًّا، نظيفًا، وعليه دكاكين، وبواب، وبغال مع شاكرية.

فقلت: إنا لله وإنا إليه راجعون، ماتت جاريتي، وملك الدار بعض الجيران، فباعها من رجل من أصحاب السلطان.

ثم تقدمت إلى بقال كنت أعرفه في المحلة، فوجدت في دكانه غلامًا حدثًا.

فقلت له: من تكون من فلان البقال؟ فقال: أنا ابنه.

فقلت: ومتى مات؟ قال: منذ عشرين سنة.

قلت: لمن هذه الدار؟ قال: لابن داية أمير المؤمنين، وهو الآن صاحب بيت ماله.

قلت: بمن يعرف؟ قال: بابن فلان الصيرفي، فأسماني!

قلت: فهذه الدار من باعها إليه.

قال: هذه دار أبيه.

قلت: وأبوه يعيش؟ قال: لا.

قلت: أتعرف من حديثهم شيئًا؟ قال: نعم، حدثني أبي، أن والد هذا الرجل كان صيرفيًّا جليلًا، فافتقر، وأن أم هذا الرجل ضربها الطلق، فخرج أبوه يطلب لها شيئًا، ففقد، وهلك.

وقال أبي: جاءني رسول أم هذا، يطلب لها شيئًا، وهي تستغيث بي، فقمت لها بحوائج الولادة، ودفعت لها عشرة دراهم، فما أنفقَتها حتى قيل: قد ولد لأمير المؤمنين

الرشيد، مولود ذكر، وقد عرض عليه جميع الدايات، فلم يقبل ثديهن، وقد طلب له الحرائر، فجاؤوه بغير واحدة، فما أخذ ثدي واحدة منهن، وهم في طلب مرضع.

فأرشدت الذي طلب الداية إلى أم هذا، فحملت إلى دار الرشيد، فحين وضع فم الصبي على ثديها، قبله، فأرضعته، وكان الصبي المأمون، وصارت عندهم في حال جليلة، ووصل إليها منهم خير كثير.

ثم خرج المأمون إلى خراسان، وخرجت هذه المرأة وابنها هذا معها، ولم نعرف أخبارهم إلا منذ قريب، لما عاد المأمون، وعادت حاشيته، رأينا هذا قد صار رجلًا، ولم أكن رأيته قبل قط، وقد كان أبي مات.

فقالوا: هذا ابن فلان الصيرفي، وابن داية الخليفة المأمون، فبنى هذه الدار وسواها.

فقلت: فعندك علم من أمه أهي حية أم ميتة؟ قال: هي حية، تمضي إلى دار الخليفة أيامًا، وتكون عند ابنها أيامًا هنا.

فحمدت الله تعالى على هذه الحال، وجئت، حتى دخلت الدار مع الناس، فرأيت الصحن في نهاية العمارة والحسن، وفيه مجلس كبير مفروش بفرش فاخرة، وفي صدره رجل شاب بين يديه كتاب وجهابذة، وحساب يستوفيه عليهم، وفي صفاف الدار وبعض مجالسها جهابذة بين أيديهم الأموال والتخوت والشواهين، يقبضون ويقبضون، وبصرت بالفتى، فرأيت شبهي فيه، فعلمت أنه ابني، فجلست في غمار الناس، إلى أن لم يبق في المجلس غيري، فأقبل علي.

فقال: يا شيخ، هل من حاجة تقولها؟ فقلت: نعم، ولكنه أمر لا يجوز أن يسمعه غيرك.

فأومأ إلى غلمان كانوا قيامًا حوله، فانصرفوا، وقال: قل، أعزك الله.

قلت: أنا أبوك.

فلما سمع ذلك تغير وجهه، ثم وثب مسرعًا، وتركني مكاني، فلم أشعر إلا بخادم جاءني، فقال: قم يا سيدي، فقمت أسير معه، حتى بلغت ستارة منصوبة، في دار لطيفة، وكرسي بين يديها، والفتى جالس على كرسي آخر. فقال: اجلس أيها الشيخ.

فجلست على الكرسي، ودخل الخادم، فإذا بحركة خلف الستارة.

فقلت: أظنك تريد أن تختبر صدق ما قلت لك من جهة فلانة، وذكرت اسم جاريتي، أمه.

قال: فإذا بالستارة قد كشفت، والجارية قد خرجت إلي، فوقعت علي تقبلني وتبكي، وتقول: مولاي والله.

قال: فرأيت الفتى، قد تشوش، وبهت، وتحير.

فقلت للجارية: ويحك ما خبرك؟ فقالت: دع خبري، ففي مشاهدتك مما تفضل الله عز وجل بذلك كفاية، إلى أن أخبرك، فقل ما كان من خبرك أنت؟

فقصصت عليها خبري، منذ يوم خروجي من عندها، إلى يومي ذاك، وقصت هي، علي قصتها، مثلما قال ابن البقال، وأعجب، وأشرح! وكل ذلك بمرأى من الفتى ومسمع، فلما استوفى الحديث، خرج وتركني في مكاني.

قال: وإذا أنا بخادم، قال: يا مولاي، يسألك ولدك أن تخرج إليه.

قال: فخرجت إليه، فلما رآني من بعيد، قام قائمًا على رجليه، وقال: معذرة إلى الله، وإليك يا أبة من تقصيري في حقك، فإنه فجأني من أمرك ما لم أظن أنه يكون، والآن فهذه النعمة لك، وأنا ولدك، وأمير المؤمنين مجتهد بي منذ دهر، أن أدع هذه الجهبذة، وأتوفر على خدمته في الدار، فلا أفعل، طلبًا للتمسك بصنعتي، والآن فأنا أسأله أن يرد إليك عملي، وأخدمه أنا في غيرها، فقم عاجلًا، وأصلح أمرك!

فأخذت إلى الحمام ونظفت، وجاؤوني بخلعة، فألبستها، وخرجت إلى حجرة والدته، فجلست فيها.

ثم أدخلني على أمير المؤمنين، وحدثته بحديثي، وخلع علي، ورد إلي العمل الذي كان إلى ولدي، وأجرى علي من الرزق، في كل شهر كذا، وقلد ابني أعمالًا هي من أجل عمله، وأضعف له أرزاقه، وأمره بلزوم حضرته في أشياء استعمله فيها من خاص أمره.

فجئت لأشكرك على ما عاملتني به من الجميل، وأعرفك بتجدد النعمة.

قال عمرو بن مسعدة: فلما أسمى الفتى، علمت أنه ابن داية المأمون، كما قال.

كل فتاة بأبيها معجبة

ورد هذا المثل في مجمع الأمثال للنيسابوري، وغيره من كتب الأمثال، ويضرب في عجب الرجل برهطه وعشيرته.

وأول من قال ذلك العجفاء بنت علقمة السعدى؛ وذلك أنها – وثلاث نسوة من قومها – خرجن، فاتعدن بروضة يتحدثن فيها، فوافين بها ليلًا في قمر زاهر، وليلة طلقة ساكنة، وروضة معشبة خصبة. فلما جلسن قلن:

ما رأينا كالليلة ليلة، ولا كهذه الروضة روضة أطيب ريحًا، ولا أنضر. ثم أفضن في الحديث فقلن: أي النساء أفضل؟

قالت إحداهن: الخرود الودود الولود.

قالت الأخرى: خيرهن ذات الغَناء، وطيب الثناء، وشدة الحياء.

قالت الثالثة: خيرهن السَّموع، الجموع، النفوع، غير المنوع.

قالت الرابعة: خيرهن الجامعة لأهلها، الوادعة، الرافعة لا الواضعة.

قلن: فأي الرجال أفضل؟

قالت إحداهن: خيرهم الحظِيُّ الرضي غير الحظال (الحظال: المقتر، المحاسب لأهله على ما ينفعه عليهم) ولا التبال.

قالت الثانية: خيرهم السيد الكريم، ذو الحسب العميم، والمجد القديم.

قالت الثالثة: خيرهم السخي، الوفي، الذي لا يُغِير الحرة، ولا يتخذ الضرة.

قالت الرابعة: وأبيكن إن في أبي لنعتكن: كرم الأخلاق، والصدق عند التلاق، والفلج عند السباق، ويحمده أهل الرفاق.

قالت العجفا عند ذلك: كل فتاة بأبيها معجبة!

جزاء التي غدرت بأبيها؛ من أجل العشق!

جاء في التذكرة الحمدونية أن الضيزن بن معاوية من قضاعة كان ملكًا ما بين دجلة والفرات، وكان له هناك قصر مشيد بالحضر حيال تكريت، وملك الجزيرة وبلغ ملكه الشام، فأغار فأصاب أختًا لسابور ذي الأكتاف، وفتح مدينة بهرسير وقتل فيهم.

ثم إن سابور ذا الأكتاف جمع لهم، وسار إليهم، فأقام على الحصن أربع سنين، لا يصل منهم إلى شيء!

ثم إن النضيرة بنت الضيزن عركت – أي حاضت – فأخرجت إلى الربض، وكانت من أجمل أهل دهرها، وكذلك كانوا يفعلون بنسائهم إذا حضن، وكان سابور من أجمل أهل زمانه، فرآها ورأته، فعشقته وعشقها، فأرسلت إليه:

ما تجعل لي إن دللتك على ما تهدم به هذه المدينة، وتقتل أبي؟

قال: حكمك، وأرفعك على نسائي، وأخصك بنفسي دونهن..

قالت: عليك بحمامة مطوقة ورقاء، فاكتب في رجلها بحيض جارية زرقاء، ثم أرسلها فإنها تقع على حائط المدينة، فتتداعى المدينة!

وكان ذلك طلسمها، لا يهدمها إلا هو!

ففعل وتأهب لهم، وقالت: أنا أسقي الحرس الخمر؛ فإذا صرعوا فاقتلهم، وادخل المدينة.

ففعل، فتداعت المدينة وفتحها سابور عنوة، وقتل الضيزن يومئذ، وأباد بني العبيد قبيلته الدنيا، وأفنى قضاعة الذين كانوا معه، واحتمل النضيرة بنت الضيزن فأعرس بها بعين التمر، فلم تزل ليلتَها تتضور من خشية في فراشها، وهي من حرير محشوة بالقز. فالتمس ما كان يؤذيها فإذا هو ورقة آس ملتصقة بعكنة من عكنها قد أثرت فيها! قال: وكان ينظر إلى مخها من لين بشرتها!

فقال لها سابور: ويحك بأي شيء كان أبوك يغذوك؟

قالت: بالزبد، والمخ، وشهد الأبكار من النحل، وصفوة الخمر.

فقال: وأبيك لأنا أحدث عهدًا بمعرفتك، وأوتر لك في أبيك الذي غذاك بما تذكرين!

فكان عاقبة غدرها بأبيها وعشيرتها أن سابور غدر بها، فأمر رجلًا فركب فرسًا جموحًا، وضفر غدائرها بذنَبه، ثم استركضه فقطعها قطعًا.

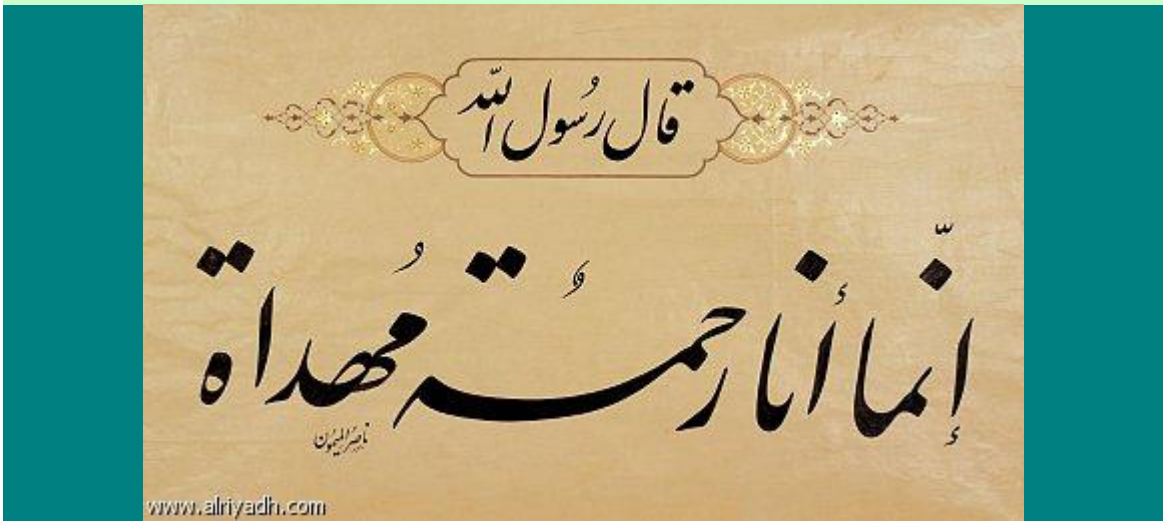

شبل من أسد:

وفي المحاسن والمساوئ: قال ميمون: قال لي عمر بن عبد العزيز: إن ابني عبد الملك قد زين في عيني، وأنا متهم لنفسي فيه، وأخاف أن يكون هواي فيه قد غلب على علمي به، وأدركني ما يدرك الوالد من الإشفاق على ولده! فأته، واسبره، ثم ائتني بعلمه، ثم انظر: هل ترى منه ما يشاكل النخوة؛ فإنه غلام حدث، ولا آمن عليه الشيطان!

قال ميمون: فخرجت إلى عبد الملك، حتى قدمت عليه، فاستأذنت ودخلت، فإذا غلام ابن ست عشرة سنة، جالس على حشية بيضاء، أحسن الناس تواضعًا. وإذا مرافق بيض، وبساط شعر. فرحب بي ثم قال:

قد سمعت أبي يذكر منك ما أنت أهله، وإني أرجو أن ينفع الله بك، وقد حسبت أن يكون قد غرني من نفسي حسن رأي والدي في؛ وما بلغت من الفضل كل ما يذكر، وقد حذرت أن يكون الهوى قد غلبه على علمه؛ فأكون أحد آفاته.

قال ميمون: فعجبت من اتفاقهما، فقلت له: أعلمني من أين معيشتك؟

قال: من عطائي، ومن غلة زراعة اشتريت عن ظهر يد ممن ورثها عن أبيه، فوهبها لي، فأغناني بها عن فيء المسلمين.

فقلت: فما طعامك؟ فقال: ليلة لحم، وليلة عدس وزيت، وليلة خل وزيت. وفي هذا بلاغ.

قال فقلت له: أفما تعجبك نفسك؟ فقال: قد كان في بعض ما كان، فلما وعظني أبي في كتابه بصرني نفسي، وما صغر من شأني، وحقر من قدري، فنفعني الله جل وعز بذلك، فجزاه الله من والد خيرًا.

فقعدت ساعة أحدثه وأتسمع من منطقه، فلم أر فتى كان أجمل وجهًا، ولا أكمل عقلًا، ولا أحسن أدبًا؛ على صغر سنه ،وقلة تجربته منه.

قال ميمون: فلما كان آخر ذلك أتاه غلام فقال: أصلحك الله قد فرغنا. قال: فسكت. فقلت: ما هذا الذي فرغ منه؟ قال: الحمام أخلاه لي. قال فقلت: لقد كنت وقعت مني كل موقع حتى سمعت هذا. قال: فاسترجع وذعر وقال: وما ذاك يا عم، يرحمك الله؟ قلت: الحمام لك؟ قال: لا. قلت: فما دعاك إلى أن تطرد عنه غاشيته كأنك تريد بذلك الكبر، فتكسر على صاحب الحمام غلته، ويرجع من أتاه خائبا؟

قال: أما صاحب الحمام فإني أرضيه وأعطيه غلة يومه.

قال قلت: هذه نفقة سرف خالطها الكبر، وما يمنعك أن تدخل الحمام مع الناس وإنما أنت كأحدهم؟

قال: يمنعني من ذاك أن أرى عورة مسلم، ورعاع من الناس يدخلون بغير أزر، فأكره رؤية عوراتهم، وأكره أن أجبرهم على أزر، فيضعون ذلك مني على حد هذا السلطان الذي خلصنا الله منه كفافًا، فعظني رحمك الله عظة أنتفع بها، واجعل لي مخرجًا من هذا الأمر.

فقلت له: ادخله ليلًا؛ فإذا رجع الناس إلى رحالهم خلا لك الحمام.

قال: لا جرم لا أدخله نهارًا أبدًا، ولولا شدة برد بلادنا هذه ما دخلته أبدًا، فأقسمت عليك لتطوين هذا الخبر عن أبي؛ فإني أكره أن يظل علي ساخطًا، ولعل الأجل يحول دون الرضى منه!

قال: فأردت أن أسبر عقله فقلت: إن سألني هل رأيت منه شيئًا تأمرني أن أكذبه؟ قال: لا؛ معاذ الله، ولكن قل: رأيت شيئًا ففطمته عنه، وسارع إلى ما أردت من الرجوع، فإنه لا يسألك عن التفسير؛ لأن الله جل وعز قد أعاذه من بحث ما ستر. قال ميمون: فلم أر والدًا قط، ولا ولدًا قط، رحمة الله وبركاته عليهم، مثلهما.

حكايات أبوية عصرية مهمة:

ثمن ساعة تقضيها معي:

اعتاد الطفل أن يطلب من أبيه أن يتحدث معه، واعتاد الأب أن يصرخ في ابنه هاتفًا: لا تضيع وقتي؛ فإنني أربح خلال الساعة التي أكلمك فيها الساعة 100 دينار!

ذات يوم عاد الطفل لأبيه يطلب منه نقودًا فصرخ فيه قائلًا: أعطيتك مصروف الأسبوع كاملًا.. فهل أنفقته كله!؟ ما هذا!؟

صباح يوم دخل الأب حجرة الطفل فوجد أمامه نقودًا متناثرة يحصيها، فقال في استنكار وتعجب: معك نقود كثيرة؛ فلماذا تطلب مني نقودًا إضافية!؟

فقال الطفل ببراءة: أدخرها لأوفر مائة دينار؛ لأعطيكها ثمن ساعة عمل، كي تتحدث معي!

ووجم الأب مندهشًا ذهلًا.. ولم يستطع الرد!

ورحم الله شوقيًّا أمير الشعراء، الذي قال:

وإذا النساء نشأن في أمية	رضع الرجالُ جهالةً وخمولا
ليس اليتيم من انتهى أبواه من	همّ الحياة.. وخلّفاه ذليلا
إن اليتيم هو الذي تلقى له	أمّا تخلّت.. أو أبًا مشغولا

كتب لأبيه أحبك؛ فكسّر عظمه!

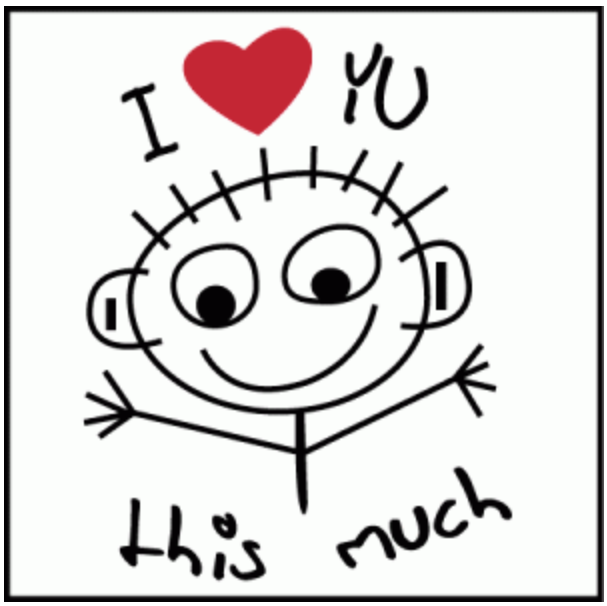

بينما كان الأب يقوم بتركيب مصدات معدنية لسيارته الجديدة، باهظة الثمن، إذا بابنه الصغير يلتقط حجرًا حادّ السن، ويحدث خدوشًا كثيرة بجانب السيارة، وهو في حالة استمتاع شديد!

انتبه الأب لما أحدث اولد في السيارة الجديدة، فاشتعل نارًا، حتى فقد شعوره، فهرع إلى الطفل، قابضًا بقوة على يده التي كتبب بها بعنف، وبيده الأخرى ضربه عدة مرات دون أن يشعر أن يده التي ضرب بها ولده كانت تمسك بمفتاح الربط الثقيل الذي كان يستخدمه في تركيب المصدات.

وفي المستشفى كان الابن الصغير يسأل الأب في براءة: متى أستطيع أن أحرك أصابعي ويدي يا أبي مرة أخرى؟

كان الأب غاية الألم والثورة، وفي غمرة انفعاله عاد مسرعًا إلى السيارة، وبدأ يركلها في غضب هستيري حتى أصابه الإرهاق، وانهار على الأرض منهكًا..

ولما استقر على الأرض نظر إلى الخدوش التي أحدثها الابن بالحجر المسنون فوجده قد كتب بها: (أحبك يا أبي).

كاد قلبه ينفطر من الحزن والانفعال، وناله الأب من الأسى ما ناله من هول ما اجترم، وقال في نفسه ودموعه تتفجر: والله لو كنت أعلم ما كتبت لكتبت بجانبها: وأنا أحبك أكثر يا بني.. لعنة الله على الشيطان الرجيم!

حرمك الله الجنة يا أبي!

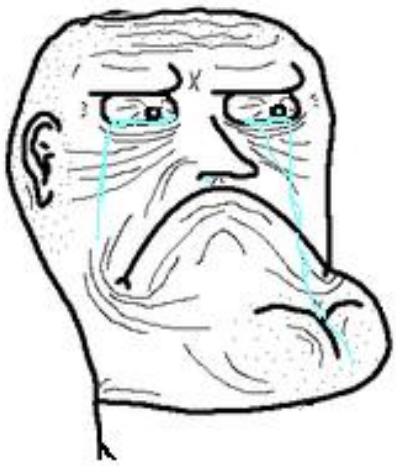

كانت الشابة التي جاوزت الأربعين في اللحظات الأخيرة من عمرها تحتضر، تخنقها آلام نزع الروح نزعَ الصوف من السَّفّود، لا يملك لها أحد شيئًا، ولا يستطيع كائن عنها دفعًا.. وبجانبها جلس الأب أبوها، لا يملك شيئًا، وبإشارة ضعيفة منها غليه استدنته:

يا أبت قترب مني.

اقترب الأب منها فقالت بصوت متحشرج:

يا أبت: قل: آمين.

فقال الأب : آمين.

فقالت ثانية: يا أبت: قل: آمين.

فقال الأب آمين.

فقالت ثالثة: يا أبت: قل: آمين.

فقال الأب فى الثالثة : آمين.

فقالت الابنة : أساله تعالى – وأنا في هذه الموقف الذي لا تصنُّع فيه – أن يحرمك الله رائحة الجنة، كما حرمتني الزواج .....

وفاضت روحها!

لا أستطيع أن أفهم ابني!

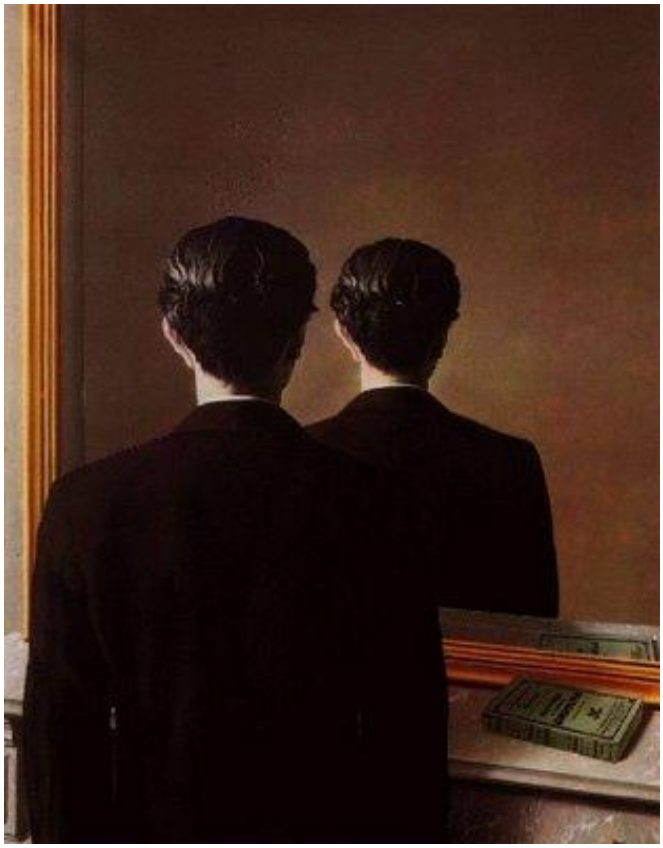

في كتاب ستيفن كوفي (العادات السبع لأكثر الناس إنتاجية) تحدث الكاتب عن أب يجد أن علاقته بابنه ليست على ما يرام، فقال لستيفن:

لا أستطيع أن أفهم ابني، فهو لا يريد الاستماع إلي أبدًا!

فرد ستيفن: دعني أرتب ما قلته للتو: أنت لا تفهم ابنك؛ لأنه لا يريد الاستماع إليك؟

– نعم؛ هذا صحيح!

– دعني أجرب مرة أخرى: أنت لا تفهم ابنك لأنه – هو – لا يريد الاستماع إليك أنت؟

فرد عليه بصبر نافد: هذا ما قلته!

– أعتقد أنك كي تفهم شخصًا آخر فأنت بحاجة لأن تستمع له!

– أوه (تعبيرًا عن انزعاجه)..

ثم جاءت فترة صمت طويلة، وقال الأب مرة أخرى :أووووه!

حاسب يا أبي:

طلب أحد الآباء من ابنه أن يبقى بالدار ولا يذهب لعمل يرتزق منه، فاشترط عليه أن يحضر له كل يوم دينارًا ويبقى.

ولكون الابن لا يعمل، ولا دخل له، ليعطي والده هذا الدينار ذهب إلى أمه يطلب منها هذا الدينار ليعطيه والده.

وكان الأب قد اتفق مع زوجته بأن تعطيه هذا الدينار يوميًّا، فيأخذه الابن، ويأتي به لوالده فيأخذه الأب، ويذهب به إلى البحر القريب من دارهم، ويرميه في الماء! والابن معه أثناء ذلك! واستمر الحال على ذلك، ثم امتنعت الأم عن إعطاء الولد ما يريد، فاضطر الابن أن يشتغل، وذهب لوالده كي يعطيه الدينار المعتاد، فأخذه الأب كالمعتاد ثم اتجه إلى البحر ليرميه كالمعتاد، فأمسك الابن بيد والده وقال: يا والدي إذا كنت لا تريده فأنا أولى به! تعجب الأب من تصرف الابن غير المعتاد، وسأله: لماذا يا بني لم تمنعني من رميه في السابق قال الابن: في السابق لم أكن أتعب في الحصول عليه، أما الآن فلا؛ فلقد تعبت في الحصول عليه!

ازرع خيرًا تحصد خيرًا:

عاش حكيم في قرية مع عائلته، وفي يوم أراد أن يذهب إلى سوق المدينة ليشتري بعض حاجياته، واصطحب معه ولده الصغير، وفي الطريق وقبل أن يصل الرجل، رغب الولد في البقاء في المروج التي تشرف على المدينة يلعب فيها ويلهو حتى يرجع الأب.

ذهب الأب الحكيم وحده وبقي الابن في أعلى التل المشرف على المدينة يلعب ويلهو منتظرًا عودة أبيه..

وفي هذه اللحظات شد انتباهه أمر غريب لم يألفه ولم ينتبه له من قبل!

كان الولد عندما يصيح يسمع صوتًا يرد عليه بنفس الكلمات التي يقولها!

وقف الولد الصغير أمام شفير الوادي وأخذ يصرخ قائلًا:

مرحبًا: فسمع صوتًا يرد: مرحبًا!

تعجب الطفل! وصرخ: من أنت؟ فرد الصوت من بعيد: من أنت؟

قال الصبي: أنا أحمد، فمن أنت؟ ورد الصوت أيضًا: أنا أحمد، فمن أنت؟

غضب الصبي وصاح بصوت مرتفع: يا غبي: سترد علي، وإلا ضربتك!

فسمع الصوت يقول: يا غبي سترد علي، وإلا ضربتك!

اشتد غضب الولد، وبدأ يصرخ بقوة، ويسب صاحب الصوت ويفه بكلمات قاسية، فيسمع الصوت يرد عليه بنفس القسوة، وبنفس الكلمات، فيزيد غضبًا!

في هذه اللحظة رجع الأب من السوق فسمع الصبي يصرخ ويسب ويلعن فقال: مهلًا مهلًا، مع من تتكلم يا بني؟

قال الابن: إن هنالك ولدًا أحمق، كلما كلمته ردد كلامي، ولعنني، وسبني!

انتبه الأب أن ولده لا يعرف حقيقة (رجع الصدى) ولكنه أراد أن يجعل من هذا الموقف موقفًا تربويًّا يعلق في ذهن الصبي، فقال له:

بني: اسمع ما سوف أقول أنا لهذا الولد!

وقف الأب وصاح: السلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

فرد الصدى: السلام عليكم ورحمة الله وبركاته بركاته ركاته كاته اته ته!.

قال الأب: كيف حالك؟ ورد الصدى: كيف حالك حالك حالك لك ك ك!

قال الأب: أنت كريم وطيب، فرد الصدى: أنت كريم وطيب طيب يب ب!

فقال الأب أني أحبك كثيرًا، فرد الصدى: أني أحبك كثيرًا كثيرًا ثيرًا يرًا رًا!

تعجب الابن! لماذا يرد هذا الصوت بهذا الأدب على والده؛ بينما كان يسبه ويلعنه هو؟

وقف الأب على ابنه وقال يا بني:

لو أنك خاطبته بأدب واحترام لبادلك هو أيضًا الحب والاحترام، ولكنك كنت قاسيًا عليه، وقمت أنت بسبه، فرد عليك بقسوة وسبك ولعنك.

يا بني كن كمثل النخلة (عندما ترمى بالحجر تسقط أطيب الثمر)!

يا بني لا تبادر الناس بالسوء، فلا يأمنوا مكرك وخداعك؛ ولكن كن مفتاحًا للخير والحب والمودة، ليبادلوك المودة بالمودة والحب بالحب!

ثقوب الروح:

كان هناك طفل يصعب إرضاؤه، أعطاه والده كيسًا مليئًا بالمسامير وقال له: قم بطرق مسمار واحد في سور الحديقة، كل مرة تفقد فيها أعصابك، أو تختلف مع أي شخص.

في اليوم الأول قام الولد بطرق (30) مسمارًا في سور الحديقة..

وفي نهاية الأسبوع فوجئ الولد بالعدد الكبير من المسامير الذي دقه في خشب السور؛ لذا قرر أن يتحكم بنفسه، وأن يعمل على التقليل من دق المسامير. وبالفعل تمكن من ذلك، فأخذ عدد المسامير التي توضع يوميًّا يقل.. عندها اكتشف الولد أنه تعلم كيف يتحكم في نفسه، فكان ذلك له أسهل من الطرق على سور الحديقة.

واستمر في ذلك حتى أتى اليوم الذي لم يطرق فيه أي مسمار في سور الحديقة!

عندها ذهب لوالده ليخبره بأنه لم يعد بحاجة إلى أن يطرق أي مسمار. فقال له أبوه:

أما الآن فقم بخلع مسمار واحد عن كل يوم يمر بك دون أن تفقد أعصابك.

ومرت أيام طويلة حتى تمكن الولد من إبلاغ والده أنه قد قام بخلع كل المسامير من السور.

عندها قام الوالد بأخذ ابنه إلى السور وقال له: قد أحسنت التصرف، ولكن انظر إلى هذه الثقوب التي تركتها في السور؛ إن مواضعها لن تعود أبدًا كما كانت.

يا بني: عندما تحدث بينك وبين الآخرين مشادة أو اختلاف، وتخرج منك بعض الكلمات السيئة، فأنت تتركهم بجرح في أعماقهم كتلك الثقوب التي تراها!

ورقة وقلم وأستيكة!

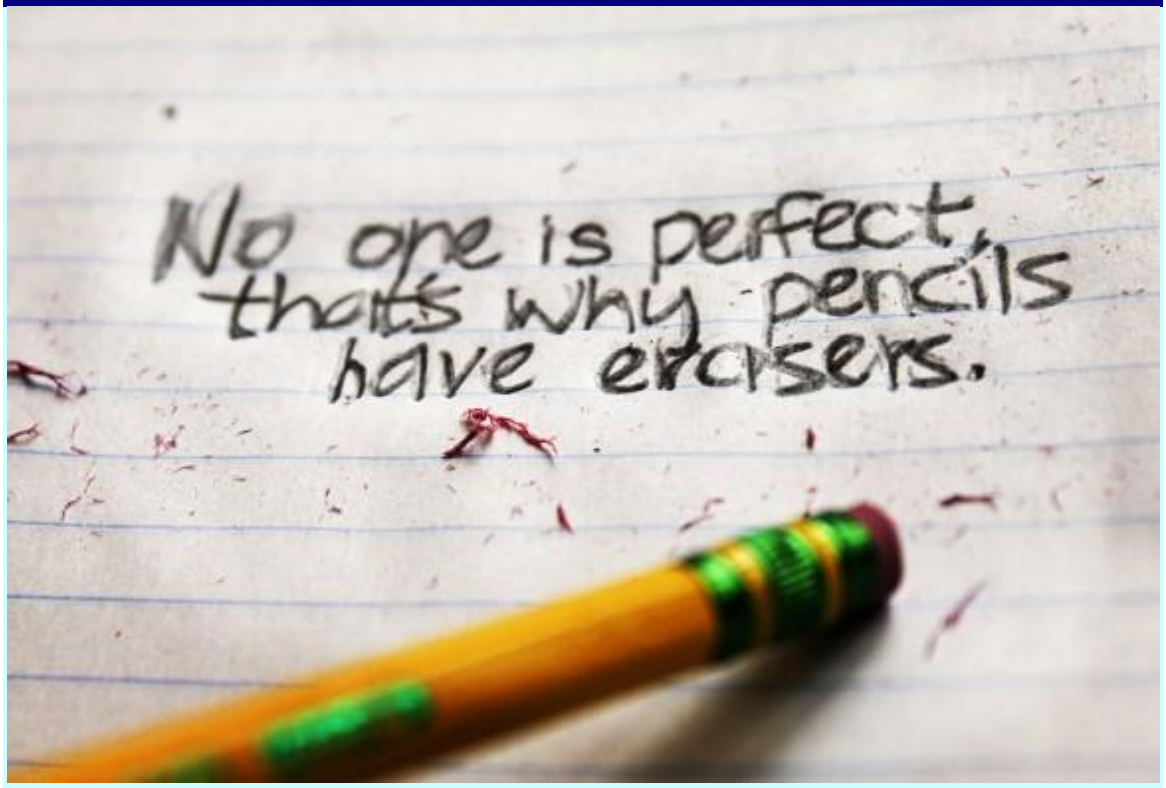

تزوج الشاب فذهب والده إليه يهنئه ويبارك زواجه، وقبل أن يجلس طلب من ابنه العريس أن يأتيه بورقة وقلم وممحاة!

فسأل الشاب: ورقة وقلم وممحاة!؟ لم يا أبي؟

فقال الأب : فقط من فضلك أحضرها ؟

امتثل الشاب العريس البار، وأحضر ورقة وقلمًا لكنه لم يجد الممحاة، فقال له الولد: إذن فانزل واشتر ممحاة.. فإنني في حاجة لها!

تعجب الشاب، لكنه لم يملك إزاء إصرار والده إلا أن يخرج ليشتري ما أراد أبوه!

فلما أحضره، أجلسه أبوه بجواره وقال: اكتب؟

- خيرًا أبي؛ ماذا أكتب؟

اكتب ما شئت.. أي شيء تريده!

كتب الشاب جملة فقال أبوه في حزم: امحها من فضلك!

استجاب الشاب، ومحاها مندهشًا. فقال الأب: اكتب..

فقال الشاب ممتعضًا: بالله عليك يا أبي.. ماذا تريد؟

قال الأب: اكتب.. وكتب الشاب!

فقال له أبوه: امحها!

محاها الشاب فقال الأب مباشرة: اكتب؟

– أسألك بالله أن تخبرني: لم هذا كله!

اكتب يا بني؟ فكتب الشاب، وقال له أبوه: امحها.. ومحاها .....

هنا نظر الأب إلى ابنه العريس وربت على كتفه قائلًا في مودة وحنو:

الزواج يا بني دائمًا يحتاج إلى ممحاة؛ فإذا لم تحمل في زواجك ممحاة تمحو بها بعض المواقف التي لا تسرك من زوجتك، وإذا لم تحمل زوجتك مثلك ممحاة تمحو بها بعض المواقف التي لا تسرها منك فإن صفحة الزواج سوف تمتلئ سوادًا في عدة أيام! هل وعيت هذا يا بني!؟

أف.. قلنا غرااااااب

كان الابن ذو ال 45 سنة، في غرفة المعيشة مع والده ذي ال 85 من عمره، وإذ بغراب يطير من القرب من النافذة ويصيح..

فسأل الأب ابنه: ما هذا؟

- غراب.
- وبعد دقائق عاد الأب وسأل للمرة الثانية: ما هذا؟

الابن باستغراب: إنه غراب!

دقائق وعاد الأب ليسأل للمرة الثالثة: ما هذا؟

الابن وقد ارتفع صوته: قلت غرااااااب.. غراب يا أبي!

وعاد الأب وسأل للمرة الرابعة: ما هذا؟

لم يحتمل الابن هذا، واشتاط غضبًا، وارتفع صوته أكثر وقال: أففففففففف.. مائة مرة تسأل نفس السؤال! قلت لك إنه غراب.. هل هذا صعب؟

عندئذ قام الأب، وذهب لغرفته، ثم عاد بعد دقائق، حاملًا بعض أوراق قديمة من مذكراته اليومية، مد بها يده نحو ابنه، قائلا: اقرأها:

بدأ الابن يقرأ: اليوم أكمل ابني 3 سنوات، كان يمرح ويركض هنا وهناك، وإذا بغراب ينعب في الحديقة فسألني: ما هذا؟ فقلت: إنه غراب..

عاد وسألني السؤال ذاته ثلاثًا وعشرين مرة، وأجبته ثلاثًا وعشرين مرة، فحضنته، وقبلته، وضحكنا معا حتى تعب فحملته، وذهبنا فجلسنا!

سبحان الله...

أبي هو الأفضل في العالم:

مراحل النمو الإنساني:

- في عمر 4 أعوام: أبي هو الأفضل!
- في عمر 6 أعوام: أبي يعرف كل الناس.
- في عمر 10 أعوام: أبي ممتاز، ولكن خلقه ضيق!
- في عمر12 عامًا: أبي كان لطيفًا جدًّا عندما كنت صغيرًا.
- في عمر 14 عامًا: أبي صار حساسًا جدًّا.
- في عمر 16 عامًا: أبي متحجر! لا يمكن أن يتماشى مع العصر الحالي.
- في عمر 18 عامًا: أبي – ومع مرور كل يوم – كأنه صار أكثر جنونًا!
- في عمر 20 عامًا: من الصعب جدًّا أن أسامح أبي، أستغرب كيف استطاعت أمي أن تتحمله هذه السنين!
- في عمر 25 عامًا: أبي رجل غريب! إنه يعترض على كل موضوع!
- في عمر 30 عامًا: من الصعب علي جدًّا أن أتحكم في ابني، لقد كنت أرتعب من أبي، وأنا في مثل سنه!
- في عمر 40 عامًا: أبي رباني في هذه الحياة مع كثير من الضوابط، ولا بد أن أفعل مع أبنائي الشيء نفسه.
- في عمر 45 عامًا: أنا محتار، كيف أستطاع أبي أن يربينا جميعا!؟
- في عمر 50 عامًا: تكبد أبي العناء الكبير لأجل أن يربينا ويحافظ علينا، وأنا غير قادر على التحكم في أطفالي الثلاثة؟ معقول؟!
- في عمر 55 عامًا: أبي كان ذا نظرة بعيدة، وخطط لعدة أشياء تنفعنا في مستقبلنا، لقد كان أبي مربيًا مميزًا ولطيفًا.
- في عمر 60 عامًا أبي هو الأفضل.

الفصل العاشر: كرتون عن الآباء

MARTIN
phillipmartin.info

Celebrate Father's Day
June 15th

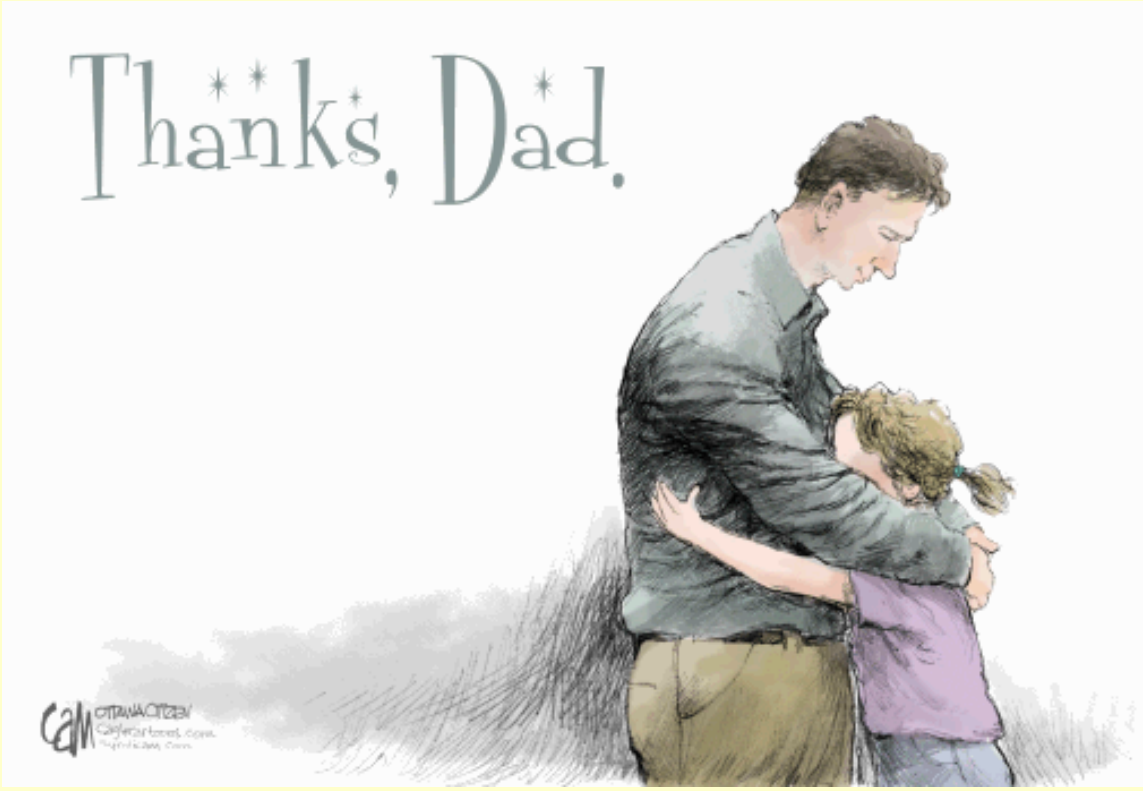
Thanks, Dad.

© Ron Leishman * www.ClipartOf.com/439991

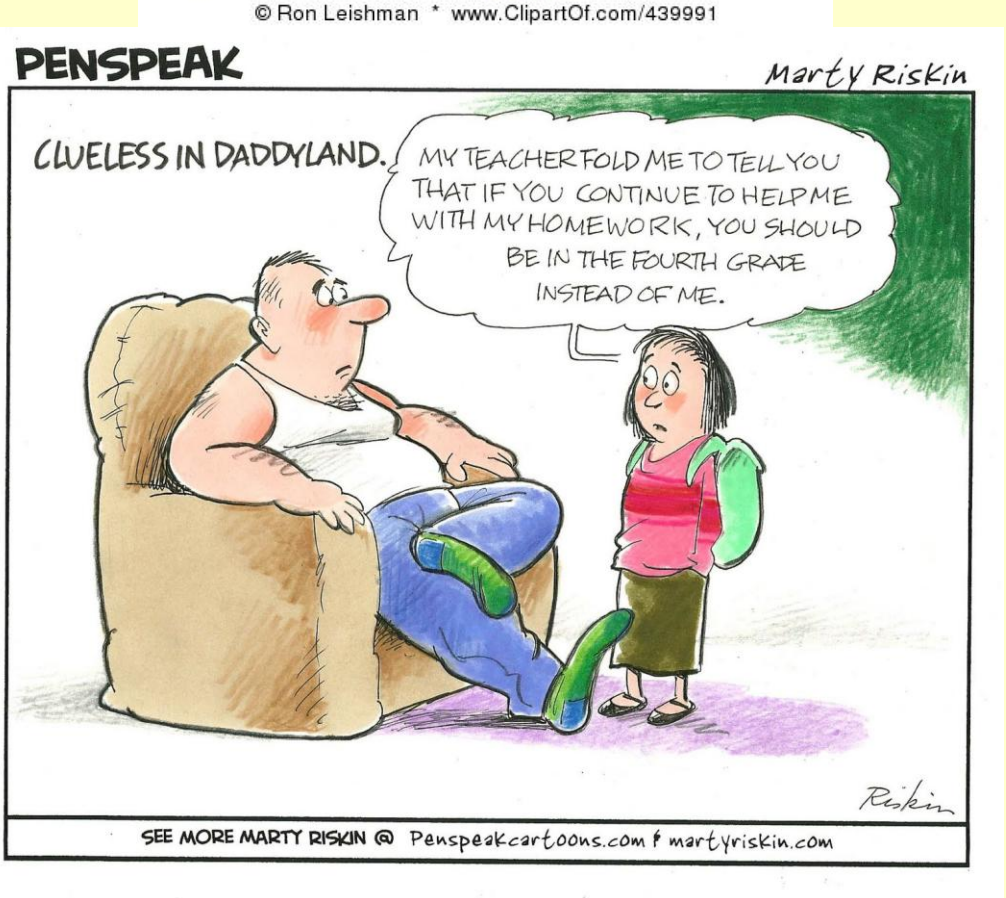

الفهرس

العنوان	الصحيفة
مقدمة	5
الفصل الأول: مداخل	6
إحصائية	7
الأب في اللغة العربية	8
التكنية بالأب	10
لكل منا آباء عدة	15
الانتساب لغير الأب	19
بم ينادى الإنسان يوم القيامة	20
الفصل الثاني: رؤية غربية للأب:	21
أولاً: تأليه الأب في عقائد الشعوب	22
ثانيًا: تداعيات عن الآباء: أ: عقدة الأب أو عقدة إلكترا	30
ب: من أنواع الآباء:	32
ج: اختلاف المفاهيم بين الآباء:	35
ثالثًا: من أجمل ما قيل عن الآباء:	39
الفصل الثالث: الصورة القرآنية والنبوية للأب:	46
أولاً: صفات الأب وطبيعته	47
ثانيًا: حرمة الأب	50
ثالثًا: من حقوق الأب	52
رابعًا: من المحاذير في معاملة الأب	64
خامسًا: واجبات الأب	68

سادسًا: من بر الأب	74
سابعًا: الأب بعد الموت	81
ثامنًا: من خطايا الآباء	83
الفصل الرابع: النبي صلى الله عليه وسلم أبًا:	88
الفصل الخامس: مواقف للآباء في القرآن والسنة	102
أولاً: مواقف الآباء في القرآن الكريم	103
ثانيًا: مواقف للآباء في السنة المشرفة:	113
الآباء والأبناء والأحفاد: نظرة أدبية تاريخية	117
1 – من وصايا الآباءفي الشعر:	118
2 – بعض الوصايا الأبوية المنثورة	144
الفصل السادس: في محاسن الآباء ومساوئهم:	159
الفصل السابع: الأب في الشعر العربي: من روائع القصائد	186
الفصل الثامن: الأب في قصص العرب	216
الفصل التاسع: حكايات أبوية عصرية مهمة	236
الفصل العاشر: كرتون وصور عن الآباء	248

سبحانك اللهم وبحمدك، أشهد أن لا إله إلا أنت، أستغفرك وأتوب إليك

والحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم وبارك على سيد الأولين والآخرين

رسول الله الكريم، وعلى آله وصحبه أجمعين.

وكتبه راجي العفو والبر: عبد السلام البسيوني